تاريخ الجزيرة العربية

Ein

سيرة الإمام أحمد بن سليمان

٥٣٢ - ٥٦٦ هـ

لسليمان بن يحيى الثقفي

تحقيق: دكتور عبد الغني محمود عبد العاطي





سيرة الإمام أحمد بن سليمان



تاريخ الجزيرة العربية

سيرة الإمام أحمد بن سليمان
٥٣٢ - ٥٦٦ هـ

تاليف

سليمان بن يحى الثقفى

تحقيق

الدكتور عبد الغنى محمد عبد العاطى

الطبعة الأولى
٢٠٠٢م



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
ËIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

المستشارون

د . أحمد إبراهيم الهوارى

د . شوقى عبد القوى حبيب

د . قاسم عبده قاسم

مدير النشر: محمد عبد الرحمن عفيفى

تصميم الغلاف : محمد أبوطالب

الناشر : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

- ٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع - تليفون - فاكس ٣٨٧١٦٩٣

Publisher: EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St., Alharam - A.R.E. Tel : 387169

المحتويات

المقدمة

ارتبط التاريخ السياسى والمذهبى فى اليمن بتاريخ أئمة الزيدية الذين كانت لهم سيادة غير واضحة على معظم أقاليم شمال اليمن . كما كانت هذه السيادة تتغير وتتبدل بشكل سريع وفقا لإعلان القبائل اليمنية عن ولائها أو خلافها للإمام القائم ، أو نتيجة للصدام العسكرى مع القوى السياسية والمذهبية الأخرى. وبالتالى فإن دول هؤلاء الأئمة لم تأخذ شكل الدولة المستقرة ذات النظم الثابته فى الحكم والإدارة بل لم تكن لهم حدود دائمة ولكن مناطق نفوذهم كانت تتسع وتنكمش وفقا لما تمليه الظروف السائدة . كما أن الزيدية لم يعترفوا بنظام الأسر الحاكمة التى يتوارث فيها الأبناء الحكم بعد آبائهم ولكنهم اشترطوا فقط أن يكون الإمام من آل بيت الرسول عليه السلام لتكون له الأحقية للمناداة بنفسه إماما ، وعلى الرعية أن تقرر صلاحيته للإمامة وفقا للشروط الشخصية التى يجب توفرها فى الإمام . فإذا حصل على البيعة وصار إماما فعليه جهاد المخالفين ؛ أى أنه يقضى معظم وقته فى شن الحروب والإغارات على المخالفين في المذهب أو المناوئين لحكمه .

ووفقا لهذه الحياة التى عاشها هؤلاء الأئمة فقد امتلأت حياتهم بالنشاط والحركة والتنقل فى أرجاء اليمن لدخول مدينة أو للاستيلاء على حصن أو إخضاع قبيله أو من أجل تنفيذ الحدود الشرعية .

ومن ثم فإذا تصادف وقام أحد رجال الإمام بتدوين سيرته فإنها تكون سيرة حافلة بالأحداث المتميزة وذلك لأن كتب السير تتميز عن غيرها من كتب التاريخ فى خصوصية الأحداث التى تتناولها . ولأن صاحب السيرة يكون هو المحور الأساسى للكتابة فإن الكاتب يحرص دائما على ذكر الكثير من التفاصيل

والأحداث التى يغفلها غيره من المؤرخين .

والجدير بالذكر أنه لم تظهر مؤلفات تاريخية تغطى القرون الأربعة الأولى من تاريخ الزيدية فى اليمن ومن ثم فقد استقى كبار المؤرخين مثل ابن حاتم والخزرجى ويحيى بن الحسين معظم معلوماتهم عن تلك الفترة من كتب السير التى كتبت لأئمة الزيدية أو أمرائها ، بل اعتمد البعض على تلخيص هذه السير فى كتبهم مثل الشرفى فى كتابه اللآلىء المضية . والمنشور من هذه السير قليل مثل سيرة الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين وسيرة الأميرين الجليلين وسيرة الإمام عبد الله بن حمزة المعروفة بالسيرة المنصورية . ولهذه السير دور كبير فى تصويب بعض المعلومات والأحداث ، كما تضيف الكثير من المعلومات المتعلقة بالحياة الاجتماعية والثقافية والعادات والتقاليد فى تلك الفترة . كما تصور حركة القبائل اليمنية فى التقارب والتباعد بين التأييد والمناصرة ومناصبة العداء لأسباب غالبا ما تكون عرضية أو شخصية وليست وفقا لاستراتيجية معينة أو سياسة تقليدية للقبيلة إذ يكفى مقتل أحد أفرادها لتغير القبيلة من سياستها وولائها .

وقد بدأ اهتمامى بالكتابة فى تاريخ اليمن منذ عام ١٩٨٥م فى بداية عملى بجامعة صنعاء . وقد قمت بتحقيق السيرة المنصورية كما شاركت الدكتور رضوان السيد فى تحقيق سيرة الأميرين الجليلين فضلاً عن العديد من البحوث والدراسات التى قمت بكتابتها فى موضوعات جديدة ومتنوعة فى تاريخ اليمن .

والواقع أن تاريخ اليمن له سحره وجاذبيته الخاصة كما يتميز بخصوصيته الشديدة ولكن لن تتيسر كتابته بشكل علمى والتعرف على مختلف جوانب الحياة

السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية في العصور المختلفة ما لم يتم تحقيق ونشر كتب التراث اليمنى نشرا علميا سليما . وقد نادى البروفسير مادلونج بضرورة نشر كتب سير الزيدية لأنها من وجهة نظره مصادر من الطراز الأول ليس للتاريخ السياسى والدينى لشمال اليمن فقط بل وللجغرافية التاريخية وللحياتين الدينية والإجتماعية بتلك النواحي من اليمن .

وتعود أهمية « سيرة الإمام أحمد بن سليمان » إلى أنها تغطى فترة تمتد من سنة ٥٣٢ إلى ٥٦٦ هـ لم تأخذ حظها من التدوين مع أنها تتناول فترة تاريخية فى غاية الأهمية لتاريخ اليمن وهى فترة تفكك الدولة الصليحية وقيام الإمارات المستقلة على أنقاضها . كما تتناول علاقة الإمام المتوكل أحمد بن سليمان بالقبائل اليمنية وبأبناء عمومته فى المخلاف السليمانى ، وبالقوى السياسية الأخري مثل بنى حاتم فى صنعاء وبنى نجاح فى زبيد وبنى زريع في عدن وبنى مهدى فى تهامة . كما تتناول أيضا الصراع العلمى والفكرى الذى شهدته اليمن في القرن السادس بين فرق الزيدية الثلاث وهى المخترعة والمطرفية والحسينية وعلى وجه الخصوص بين علماء المطرفية من ناحية وبين القاضى جعفر صاحب الفضل فى تأسيس مدرسة علمية فى اليمن اعتمدت على فكر المعتزلة وقد صار تلاميذه أقطاب الحياة العلمية فى اليمن فى النصف الثانى من القرن السادس وأوائل القرن السابع .

كما حفظت السيرة أشعار الإمام أحمد بن سليمان التى عبر فيها عن كل الأحداث التى مر بها ، والتى تعد مرآة للحياة الأدبية السائدة فى القرن السادس الهجري وكان من أقطابها نشوان بن سعيد الحميرى . وتوضح السيرة

أيضا اهتمام الإمام باستصلاح الأرض وزراعتها في منطقة الجوف وكذلك اهتمام ابنه المطهر باستزراع الأرض في نواحى ذمار وهي من الأمور التى لم نعهدها فى إمام سابق .

والمخطوطة التى نحن بصددها كان من المتفق عليه أن أتعاون مع الدكتور رضوان السيد الأستاذ بالجامعة اللبنانية فى تحقيقها إمتداداً للتعاون الذى بدأ بتحقيق سيرة الأميرين الجليلين . ولكن حالت ظروف الدكتور رضوان وكثرة تنقلاته بين لبنان وأوربا والولايات المتحدة دون التنسيق بيننا ، ومن ثَم فقد قمت بالعمل منفرداً . وتوجد المخطوطة بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير فى صنعاء ، وتقع فى ٢٣٦ صفحة مرقمة بطريقة عشوائية ولاتدل الأرقام المدونة على الرقم الحقيقي للصفحات . والمخطوطة مبتورة من أولها ومن آخرها ، وليس ذلك بسبب تلف المخطوطة ، فالمخطوطة بحالة جيدة . وإنما يعود ذلك إلى النسخة الأصلية المفقودة التى تم النقل عنها . وقد كتب بأعلى الصفحة الأولى : هذه سيرة الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام . كما كتب على الهامش الأيسر للصفحة الأولى : بسم الله الرحمن الرحيم هذا من وقف سيدى المولى العلامة محمد بن الحسن رضوان الله عليه . وقد عين مولانا الإمام المتوكل علي الله حفظه الله وأحيا به معالم الدين بقاءه في مكتُبته الجامعة لكتب الوقف بمحروس جامع صنعاء . وحرر بتاريخ شهر رجب ١٣٤٣ . وفى أسفل الهامش : من خزانة مولانا ملك الأمير محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين رضوان الله وسلامه عليه وهو كسائر كتبه الوقوفة على ذريته . يعلم ذلك وكتبه الفقير إلى الله سبحانه عبد الله بن محمد بن زيد . سلخ شهر رجب سنة ١١٧٥ هـ .

والإمام المتوكل أحمد بن سليمان وفقا لما جاء في كتب التراجم هو أبوالحسن أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن على بن الناصر أحمد بن الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم .... ابن الحسن بن على بن أبى طالب . وأمه الشريفه مليكه ابنة عبد الله بن القاسم بن أحمد بن أبى البركات ... ابن الحسن ابن على بن أبى طالب . ولد فى سنة خمسمائة من الهجرة .

تلقى أحمد بن سليمان العلم عن أشهر علماء الزيدية فى عصره منهم الفقيه العالم الحسن بن محمد من ولد المرتضى والفقيه عبد الله العنسى الذى حضر إلى اليمن فى سنة ٥٠١ هـ قادما من الجيل والديلم وعلى الشيخ العالم إسحاق بن أحمد بن عبد الباعث . ولم يتردد أحمد بن سليمان بعد أن تولى الإمامة فى أن يأخذ المزيد من العلم عن الفقيه العالم زيد بن الحسن بن على الخراسانى البيهقى الذى وصل إلى اليمن سنة ٥٤٠ هـ .

وللإمام أحمد بن سليمان الكثير من المؤلفات فى الأصول والفروع . كما له العديد من الرسائل فى الرد على المطرفية ؛ من ذلك كتاب الرسالة الهاشمة لأنف الضلال من مذاهب المطرفية الجهال ؛ وكتاب الرسالة الواضحة الصادقة فى تبيين ارتداد الفرقة المارقة المطرفية الطبعية الزنادقة . وله كتاب الحقائق فى أصول الدين والمدخل فى أصول الفقه ، وكتاب الحكمة الدرية والدلالة النورية شرح فيها فضائل أهل البيت عليهم السلام . وله فى الأحاديث الفقهية كتاب أصول الأحكام فى الحلال والحرام جمع فيه مايزيد على ثلاثة آلاف وثلاثمائة حديث .

وكانت مدة ولايته ثلاثة وثلاثين عاما ، وأصابه العمى في آخر عمره ، وتوفي

فى شهر ربيع سنة ست وستين وخمسمائة بحيدان من أرض خولان .

وفى هذا المقام أتقدم بالشكر لكل من قدم مساعدة لانجاز هذا العمل .

وأسأل الله جل وعلا الهداية والتوفيق ؛

دكتور

عبد الغنى محمود عبد العاطى

الرياض فى :

٢١ صفر ١٤٢١ هـ

٢٥ مايو ٢٠٠٠ م

تمهيد

مخطوطة سرة الإمام أحمد بن سليمان كما سبق القول لايوجد منها سوى نسخة واحدة فقط هى التى اعتمدت عليها فى التحقيق كما أن المخطوطة مبتورة من أولها ومن آخرها ، ومن حسن الحظ أن الشرفى في كتابه اللآلئ المضية قد قام بتلخيص ما جاء فى سيرة الإمام أحمد بن سليمان كما هى عادته فى النقل عن كتب سير أئمة الزيدية وأمرائها . ومن ثم فقد ساعد ذلك أحيانا فى سد الفجوات الموجودة فى النص الأصلى . ولما كان الشرفى قد نقل عن مخطوطة كاملة للسيرة فقد اتضح عند المقارنة بالنص الأصلى أن نهاية المخطوطة موضوع التحقيق لم يفقد منها إلا النزر اليسير حيث ذكر الشرفى وفاة الإمام باقتضاب شديد قائلا : وتوفى الإمام عليه السلام في شهر ربيع سنة ست وستين وخمسمائة بحيدان من أرض خولان ومشهده هناك مزور مشهور وكان مولده سنتة خمسمائة وله من الأولاد مطهر الأكبر وكان من عباد الله الصالحين ومن أعيان العترة وكان من أكبر أعوان أبيه وملك ناحية من الجهة اليمنية وقصته في ذلك مشهورة . ومات في حياة أبيه ثم مطهر الأصغر ويحيى وسيأتى ذكره فى سيرة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة إن شاء الله تعالى ومحمد وسليمان وفليته وقاسم ومحسن وابنتان [1] .

ومن ذلك يتضح أن المعلومات التى ذكرها الشرفى عن وفاة الإمام أحمد بن سليمان هى نفس المعلومات الموجودة في المصادر الأخرى ولاتتميز عليها فى شيء . أما ابتداء دعوة الإمام وقيامه أى بداية المخطوطة فإن مافقد منها

---

(١) الشرفى ، اللآلىء المضية ، جـ ٢ ، ورقة ٢٠٥ .

لايتضمن الكثير من الأحداث ولكنه يحتوى على معلومات مهمة نقلها الشرفى من السيرة ولم يذكرها أحد غيره من المؤرخين . قال الشرفى نقلا عن كتاب السيرة :

وكان ابتداء دعوته عليه السلام من الجوف بعد عيد الأضحى بأربعة أيام سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة . وخرج من الجوف ومعه رجلان من شيعته فوصل برط وبايع قوما من دهمة ، ثم سار إلى أملح ثم هبط إلى نجران وبلغ إلى الشيخ الأجل العون بن زغبة بن على اليامى . ففرح بقدومه وقال أنزلت من السماء أم خرجت من الأرض ! فقد أردنا أن يقبل إليك منا رجال ولا نعذرك من القيام . وأخبره بما قد ظهر فى نجران من الفواحش والمنكرات وذلك فى أول المحرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة . وانتظم أمره أولاً فى صعدة وأعمالها ونجران ثم الجوف والظاهر .

وروى عن الداعى يحيى بن الحسن بن محفوظ قال : كان قوم من همدان يقال لهم أبناء صايد يسكنون فى شعاب ذروة من أسفل البون فوقع بينهم وبين الشرفاء الحمزيين فى ذلك الزمان شجار هنالك فمنعوا الشرفاء ورود الماء فأنفت سائر بطون الشرف من ذلك فضربوا ملقى لأولاد على عليه السلام كافة إلى موضع يقال له مدبر بالبون ، فاجتمع منهم ألف شريف وثمانى مائة شريف من صلب أمير المؤمنين على عليه السلام فدار بيُنهم الكلام فى أمور الخمول والوهن الذى لحقهم مع الكثرة والوفرة وخذلان الناس ما دعاه إلى المهاجرة فى ضيعة جده الهادى عليه السلام وترك النظر في أمورهم . قال فخرج إليه ثلثمائة وبضع عشرة فحضوه على القيام والدعاء إلى ماسبق فساعدهم بعد جهد شديد ورفع الهضم عن سائر بطون الشرف وأعزهم في أيامه . واتسع أمره وملك صنعاء وزبيد وذمار وقهر جبابرة اليمن وصدق الله ظنون المؤمنين .

ونقلت من سيرته عليه السلام التى ألفها الشيخ الأديب سليمان بن يحيى الثقفى رحمه الله تعالى غررا . قال مصنف سيرته عليه السلام : ينشحط للقيام فى صغره لما يرى من فساد العصر وأهله وما يعانيه من ظلمهم وكفرهم وكان في ذلك الوقت نشأ رجل من أولاد المرتضى عليه السلام يقال له الحسن بن محمد وكان عفيفا زاهدا ورعا عابدا ممن يرجى للقيام ويشار إليه . وكان الإمام عليه السلام يرجوه ويكاتبه ويحثه على القيام وكتب إليه شعراً يقول فيه :

هو الدهر أما صرفه فنوائب ... تغم وأما حكمه فعجائب

ومن عجب الأيام أن نوى الردى ... عزاز وأن الجور للعدل غالب

وأن نوى العليا الكرام أذلة ... ضعاف وأن الندب للنذل راهب

ومنه :

عسى الله أن يثأر للحق إنه ... مضاع مهان كالح الوجه عاطب

بأروع من آل النبى مطهر ... كريم له فوق الثريا مراتب

كمى تقى أريحى مهذب ... له مكرمات جمة ومناقب

بسيدنا المذكور بالحسن الذى ... محبته فرض على الناس واجب

إلى آخرها . قال : وكان عليه السلام يسكن بحوث من بلد وادعة ومولده فى نواحيها وهي مابين صنعاء وصعدة وكان يختلف إلى الجوف ويهم بالهجرة فيه . وفيه تزوج الشريفة الفاضلة أم المطهر الأكبر بنت سبأ بن أحمد بن جعفر . قال: ومما قاله وهو بالجوف قبل قيامه شعرا يقول فيه :

أشمت سنا برق يلوح يمانى ... بمنهل ودق من رسوم غوانى

ومنه :

وقائلة كم فى ذرى المجد والعلا ... لكم من يد فى حادث وزمانى

لكم إرث مجد من أبيك محمد ... على المشترى والنجم والسرطانى
وأنتم أناس كالمصابيح والملا ... ظلام وكالأرواح فى الحيوانى
فما بال ماتحوى من المال قاصرا ... وما العسر والإيسار يستويانى
فقلت لها لاغرو إن كنت معسرا ... فليس الغنى والمجد يتفقانى
ومالى فهو الحلم والعلم والتقى ... وإنى لذوا صبر على الحدثانى
ألم تعلمى أن الفتى غاية الغنى ... وكل الذى فوق البسيطة فانى

ومنه :

وقد حملتنى همة حسنية ... تطول على كيوان والدبرانى
على لم شمل المسلمين وعزهم ... لأنى لا أرضى لهم بهواني
وجمعهم فى هجرة ذات زهرة ... بنشان أو بالغيل من عمرانى
وإظهار دين الله بعد خموله ... بحد المواضى والقنا المتدانى
وقمع المعادى للإله وحزبه ... بكل حسام مرهف وسنانى
أمثلى يرضى بالخمول وعيشه ... كعيش المهين العاجز المتوانى
وقد درس الإسلام وانهد ركنه ... وولى وأبلى رسمه الملوانى
ولى همة تعلو على كل همة ... وعزم ربيط الجأش غير جبانى
ولى فى كتاب الله إرث وأحمد ... نبي الهدى خير الأنام نمانى
وصنو رسول الله جدى ووالدى ... علي وسبطى أحمد الحسنانى
وفاطمة الزهراء أمى وجدتى ... ومرضعتي من ثديها بلبانى
ويحيى الذى أحيا الهدى وأعزه ... أبى قد حلانى للملا وسمانى
وها أنا إلا منهم وطريقهم ... سلكت دعاهم ربهم ودعانى

إلى آخرها . ثم أقام عليه السلام مدة وقال شعرا يقول فيه :

أما إنه لولا الرجا لدعوة ... مباركة تهدى لدين الفواطم
وعلمى بأن الله ليس بغافل ... وأن نعيم الدهر ليس بدائم

لأليت لا أخشى الزمان وصرفه ... ولو زارني يوما بإحدى العظائم
بموت مريح وهو أفجع زائر ... وكنت بهذا رابحا غير غارم
لأجل الذى شاهدت من أهل عصرنا ... وعاينت من عصيانهم والمآثم
نسوا حقنا واستأثروا بنصيبنا ... من الأمر هذا من كبار المظالم
وقد خصنا الرحمن بالأمر دونهم ... وأورثنا هُو وهو أحكم حاكم
ونحن أولوا الأمر الذين أمرتهم ... بطاعتنا من دون كل مخاصم
ولكن نصر الله قد آن وقته ... لنا يابنى الزهراء بنهضة قائم
كريم أخى علم وفضل وسؤدد ... وذى همة تعلو السها وعزائم
وصبر وإقدام وحزم ونجدة ... وشدة بأس عند ضرب الجماجم
فإن أخر الله الكريم منيتى ... إلي أمد إذ لست عنها بسالم
وصادقته ذى صحة وسلامة ... علي مضمر نهد مليح القوائم
ولم أبتذل فى الله جهدى وطاقتى ... وأقدم حزب الله عند التصادم
وأبلى لساني فى الجهاد مؤنبا ... وطرسى وأقلامي ورمحي وصارم
وأبذل نفسى فى الحروب وغيرها ... وأرمى بها المأقط المتلاحم
فما أنا من أبناء لؤى بن غالب ... ولم أدع يوما من ذؤابة هاشم

إلى آخره . فلما أن فرغ منها قام بها وأنشدها بين يديه فى عيد رمضان بالجوف رجل يقال له يحيى بن الناصر بن مفضل العمرانى ، ثم تقدم بها معه إلي صعدة فأنشدها الشرفاء الأجلاء بني الهادى عليهم السلام . وكان فيهم الشريف الفاضل على بن زيد فحثه ذلك على القيام والدعاء إلى نفسه وكان قليل العلم . فلما أن بلغت دعوته الإمام عليه السلام وهو مقيم بالجوف لم يرفع لها رأسا ولا أظهر بها إيناسا حتي بلغه أن على بن زيد جمع قوما وحارب بهم أهل صعدة . وكان ذلك أول ما أبدأ دعوته وأظهر كلمته ، فنظر الإمام عليه السلام فى

أمره وقال : إن أنا خذلته ووقفت عنه كنت عونا لأعداء الله وخاذلا لأولياء الله ، فلم ير عليه السلام إلا المعاونة له . فتقدم إليه ومعه حي صنوه الشريف الأجل يحيي بن سليمان وصنوه الشريف الفاضل عبد الله بن سليمان وحى الشريف الأجل القاسم بن يحيى بن حمزة رحمة الله عليهم فوافوه بالحقل مخرجه الذى دخل فيه صعدة فى خيل وافرة ورجال ، فقام معه عليه السلام وعاضده وجمع له القبائل من همدان وخولان وكهلان وسائر قحطان . فلما كان من أموره ما كان من طلوع شظب وماجرى من القتل وماجرى عليه من القتل هناك حين أسلمته العشائر وذلك فى شهر جمادى الآخرة من سنة إحدى وثلاثين وخمسمائه ، رجع الإمام إلي الجوف وأنشأ القصيدة التى يذكر فيها أمره وما بذله من المشورة فى ذلك التى أولها .

من ضيع الحزم لم يرشد ولم يصب واغتاله الدهر بالخذلان والنصب

ذكر ابتداء قيامه عليه السلام .

ثم إن الإمام عليه السلام خرج من الجوف ومعه رجلان من شيعته وأصحابه فوصل برط وبايع قوما من دهمة . وخرج إلى أن بلغ أملح ثم هبط نجران وبلغ إلى الشيخ الأجل العون بن زغبة ففرح بقدومه وقال : أنزلت من السماء أم خرجت من الأرض فقد كنا نريد أن نكاتبك ويصل إليك منا رجالا ولا نعذرك عن القيام .وأخبره بما قد ظهر في نجران من الفواحش والمنكرات وذلك فى شهر المحرم أول سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة . ثم أرسل الإمام لمن بنجران من همدان وسألهم البيعة فبايعوه وذلك فى شهر صفر من هذه السنة . وأقام بنجران شهر صفر وشهرى ربيع وكتب كتاب دعوة إلى جميع المسلمين وأرسل بها إلى بلاد خولان وإلى اليمن وسائر البلدان فتركت ذكرها أنا إختصاراً . فلما أمر الإمام عليه السلام بهذه الدعوة إلى الشام واليمن لم يتحرك لها كثير من الناس

لأجل فترة كانت معهم بسبب على بن زيد وملال وقلة رغبة فى القائم ولم يجبه فى ذلك أحد من الخواص ولا من أهل الأديان ، وعرضت العوام أنفسها للنصرة والقيام معه فتثاقل عن ذلك . ووصل إليه الشريف الأجل صنوة يحيى بن سليمان وجماعة من الأشراف بنى القاسم منهم صنوة لأمه حميدان بن القاسم وصهره عيسى بن سبأ وأحمد والحسن ابنا جعفر بن أحمد والشريف الأجل محمد بن يحيى وأقاموا عنده بنجران أياما، وأشاروا عليه أن ينتقل إلى الجوف ويتوسط فيه لهمدان ويرسل لهم من كل مكان فساعدهم ، وخرج من نجران وهم فى صحبته والشيخ الأجل العون بن زغبة بن على بن الجعد اليامي وحاتم بن سليمان اليامى وسالم بن الحطير اليامى فنزل بضاة ، وحضر إليه بنو عامر وقابلوه بالمقابلة الجميلة . وتقدم إلى أن وصل أملح وأرسل لوائلة فبايعوه ، ثم سار إلى برط ووقف عنده خمسة أيام إلي أن حضرت دهمة بدوهم وحضرهم فبايعوا الإمام عليه السلام على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وقال فى ذلك اليوم شعرا يذكر فيه همدان ويتألفهم .

أأغضى على صرف الزمان وجوره	وأرضى بحظ ناقص وخمول
وقد خصنى ربى بأزكى عطية	وفضل ومجد فى الزمان أثيل
وحولى همدان بن زيد ذوو الحمى	بناة العلا فى حاشد وبكيل
هم نصروا الهادى إلى الحق جدنا	بكل رقيق الشفرتين صقيل

وقال أيضا فى هذا الوقت شعرا يقول فيه :

أكثرت لومى غاية الإكثار	يا لائمى فعليك بالإقصار

هذا ، الشعر هو بداية النص الذى تضمنته المخطوطة ومن هذا يتضح أن الجزء الفاقد هو الجزء الخاص ببداية قيام الإمام أحمد بن سليمان والدعوة

العامة التى أرسلها إلى القبائل يقدم فيها نفسه ومنهاجه ويطلب منها التأييد والمناصرة .

وقال ايضا في هذا الوقت شعراً يقول فيه

أكثرت لومي غاية الإكثار ❊ يا لائمي فعليك بالاقصار

أتلومني في الاقتصاد وهل يلا ❊ م البدر في النقصان والإبدار

وتقول ما عذر امرءٍ ذي همة ❊ حسنية تنمو الى الاوطار

ألا يمد الى المعالي باعه ❊ فينال اقصى منتهى الاوطار

وترويت بيتا صاغه ذو فطنة ❊ متخيّناً قد شاع في الاقطار

الهون في جوف الهوينا كامن ❊ وجلالة الاخطار في الاخطار

او لست تعلم انني لا ارتضي ❊ هوناً واني لا يشق غباري

وفي ذلك الوقت قال شعراً يذكر فيه بني حسن في الشام وامر بنيهم

ما ان بكيت على ربع ولا دمن ❊ ولا بطالعه ظلني اعيد حسن

لكن بكيت على الاسلام حين ثوى ❊ مخضرّ وثوى في اللحد والكفن

لما رأيت الهدى قد مات واندرست ❊ اعلامه فسبيل الحق لم يبن

نهضت ادعو عباد الله مجتهداً ❊ الى الهدى وفروض الدين والسنن

كيما اجلي كروب المؤمنين معاً ❊ وما اعتراني من بث ومن حزن

يا لائمي في قيامي اذ عجلت به ❊ اني مقامي لنصر الدين تعذلني

وبالمصائب والشر المعجّل والـ ❊ ـشقل الموجل والبلوى تخوفني

اقتصر بما اللوم عما لست اطلبه ❊ من نصرة الدين والاسلام تردعني

ان هان عندك ذل المؤمنين معاً ❊ فذاك عندي وبسم الله لم يهن

والله لا صنت نفساً قد سخت بها ❊ في طاعة الله من قبل ولا محن

لم لا ابيع من الرحمن خالقنا ❊ نفسي الذميمة بالوافي من الثمن

لم لا اقوم بنصر الدين مجتهداً ❊ وغيرة ورسول الله يحسبني

الصفحة الأولى من المخطوط


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فكم سائل فيما صنعت كأنه ✧ عليل يرجى منك احيا ضره

ابا حسن سقى بمدى الدهر كلما ✧ صنعت ولا عفى الزمان بذكره

فكن قيل همدان الذي قيل الله ✧ سينصره في الدين اخر عمره

فلا هو يرجو اليوم غيرك ناصرا ✧ ولا يختشى نرجو الحق الا بنصره

وان الذي املته هو هين ✧ فكل مقال فيه من فوق خبره

ودم سالما تحيى بك المجد والعلا ✧ مدى الدهر ما غنى الحمام بوكره

قال الراوي فلما سمع السلطان هذه الابيات بعد المبندمة من الامام عليه السلام الى الميدان وكتب الى كل قبيلة من يليه وحرك المحرج فخرج السلطان الاجل وجمع عساكره من همدان وحب وسنحان وبني شهاب ✧ وقد كان الامام عليه السلام عند رجل من كبار اهل صنعا واهل المذهب الشريف فكان من ذلك الرجل وجمع كبار الزيدية من اهل صنعا وحدة وسناع وقال لهم قد حضر هذا الامام وهو الذي احيا الاسلام واوضح الاحكام بعد جده الهادي عليه السلام، وقد صار في اخر عمره ونحن نحتاج نجمع اليه ونتوجه فقد رأينا الا نزيد نلتقي به ✧



الصفحة الأخيرة من المخطوط



وقال - أيضاً - فى هذا الوقت شعراً يقول فيه :

أكثرت لومى غاية الإكثار ... يا لايمى فعليك بالإقصار
أتلومنى فى الاقتصاد وهل يلا ... م البدر فى النقصان والإسرار
وتقول ما عذر امرء ذى همة ... حسنية تنمو إلى الأطهار
ألاّ يمد إلى المعالى باعه ... فينال أقصى منتهى الأوطار
ورويت بيتا صاغة ذو فطنة ... مستحسنا قد شاع فى الأقطار
الهون في جوف الهوينا كامن ... وحلا له الأخطار في الأخطار
أو لست تعلم أننى لا أرتضى ... هونا وأنى لايشق غبارى

وفي ذلك الوقت قال شعراً يذكر فيه بني حسن[1] فى الشام[2] وأمر به إليهم وهو هذا:

ما إن بكيت على رسم ولا دمن ... ولا بطلعة ظبى أغيد حسن
لكن بكيت على الإسلام حين ذوى[3] ... مخضره وثوى[4] فى اللحد والكفن
لما رأيت الهدى قد مات واندرست ... أعلامه فسبيل الحق لم يبن
نهضت أدعو عباد الله مجتهدا ... إلي الهدى وفروض الدين والسنن
كيما أجلى كروب المؤمنين معا ... وما اعتراني من بث ومن حزن
يالايمى فى قيامي إذ عجلت به ... أفى مقامى لنصر الدين تعذلنى
وبالمصائب والشر المعجل وال ... قتل المؤجل والبلورى تخوفنى

---

(١) بنو حسن : أشراف مكة ينسبون إلى الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب .
والأشراف بنو سليمان أهل المخلاف السليماني ، وهم بنو حسن أيضاً ينسبون إلى الحسن بن الحسن بن على بن على بن أبي طالب .
عمر بن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ١١١ - ١١٥ ؛ أحمد بن يحيى ، الدر المنثور، ورقة ٨٨ .
(٢) الشام هنا تعنى شمال اليمن فى المخلاف السليمانى شمال حرض .
(٣) فى الأصل ثرى . والتصويب من أئمة اليمن ، جـ ٢ ص ٩٦ .
(٤) ثوى بمعنى هلك . وثوى بمعنى قبر .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ثوا .

أقصر فما اللوم عما قمت أطلبه ... من نصرة الدين والإسلام تردعنى
إن هان عندك ذل المؤمنين معا ... فذاك عندى وبيت الله لم يهن
والله لا صنت نفسا قد شمخت بها ... فى طاعة الله من قتل ولامحن
لم لا أبيع من الرحمن خالقنا ... نفسى الذميمة بالوافى من الثمن
لم لا أقوم بنصر الدين مجتهدا ... وعزه ورسول الله أنجبنى
وما عُرفت بجهل كان ينقصنى ... عند الأنام ولابخل ولا حين
[ ] [١] تدبير كهل كل نازلة ... تدنو وعزم غلام باسل شطن
[ ] [٢] حازم [ ] [٣] يقظ ... محض النجاد صبور عاقل فطن
ولى قبيل معين ليس يخذلنى ... من إخوتى وبنى عمى بنى حسن
هم جناحى وهم حصنى وهم عضدى ... وهم سنانى وهم سيفى وهم جننى
قوموا جميعا بنى الزهراء وانتصروا ... مما أضر بكم من سالف الزمن
وجاهدوا فى سبيل الله وانتقموا ... للحق واستيقظوا [٤] من غمرة الوسن
إنى نهضت للم الشمل شملكم ... وما لويت على أهل ولا وطن
فإن تجيبوا أملككم بلا كذب ... على الشريعة أرض الشام واليمن
وأقتنى لكم ما ينفعكم ... ويحفظ العز من حصن ومن حُصُن
ياقوم إن تسمعوا منى أكن لكم ... أصفى من الماء أو من خالص اللبن

رجع الحديث قال : فلما أن بلغ السلطان جحاف بن ربيع [٥] وصول الإمام عليه السلام وقيل له إنه فى جمع وإنه واصل فى عسكر إليه ، فكتب كتابا وبرد

---

(١) بياض فى الأصل مقدار كلمة .
(٢) بياض في الأصل مقدار كلمة .
(٣) بياض فى الأصل مقدار كلمة .
(٤) فى الأصل واستيقضوا .
(٥) جحاف بن ربيع من آل دعام بالجوف ، وهم من قبائل بكيل .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ١٢٣ – ١٢٤ .

بريداً إلى عند الإمام يسأله أن لايغشاه بالناس، فإن أراد منه عقداً أو كلاماً لقيه إلى حيث يريد وذلك من شدة كانت في البلاد . فلما وقف الإمام على كتابه غضب منه وأسرها في نفسه ، ونزل من برط [١] بأصحابه حتى بلغ الشط من المراشي[٢] وبات به ليلته تلك وعزم على أن لا يطأ الجوف [٣] في تلك المرة حتى يطأه والأمر فيه أمره والحكم حكمه ، وراوده بعض أصحابه على النزول إلى أولاده ولا يلتفت إلى كلام جحاف فكره ذلك وتقدم حتى بات بخيوان [٤] فأمسى بمسلت [٥] وأقام بها عند صنوه الشريف الأجل يحيى بن سليمان خمسة عشر يوماً ، ونفذ بعض الشرفاء والشيخ العون بن زغبة من الشط إلى الجوف فأقاموا به أياما ثم طلعوا

---

(١) بَرَطْ : جبل في شرقي صعدة ، وهو جبل واسع فيه قرى كثيرة وأودية ، يتكون منها قضاء برط . وفي غربي برط مدينة سوق العنان وهي مركز الناحية .
الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ص ١٠٨ ، التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ ١ ص ١ - ١٣

(٢) المراشي ناحية في قضاء برط ، محافظة صنعاء ، في الشمال الشرقي لحرف سفيان .
التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ ٢ ص ٦٠٢ - ٦١٢ : خريطة ج . ع. ى ، ١ : ٥٠٠٠٠٠ ، قطعة رقم ١ .

(٣) الجوف منخفض من الأرض بين جبل نهم الشمالي وأوين الجنوبي ، وينقسم إلي قسمين : الجوف الأعلى والجوف الأسفل .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ؛ الويسي ، اليمن الكبرى ، ص ٨٥ ، الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ص ١٩٥ - ٢٠١ .

(٤) خيوان بفتح الخاء وسكون الياء . أرض خيوان بن مالك ، وهي الحد بين حاشد وبكيل . وخيوان عزلة من ناحية حرف سفيان . وخيوان عزلة في ناحية حوث . وقرية خيوان على بعد ١٠ كم جنوب مدينة الحرف وتقع ما بين ٤٤ ً ١٦ َ ١٦ ْ شمالا ٥١ ً ٣ َ ٤٤ ْ شرقا .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١١٥ ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ، ص ٢١٥، ٢٢٣ ، التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥ ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ ٢ ص ٤٤٥ ، ٤٥٨ ؛ خريطة ج . ع. ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، قطعة 1644 Cl .

(٥) مسلت : قرية من عزلة بني قيس ، ناحية خمر ، وهي من أوطان بني صريم .
التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥ ؛ النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦ ، الحجري ، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٢١٧ .

شوابة [١] ووصلوا بعد ذلك إليه إلى مسلت وقد وصلته مكاتبة من خولان [٢] يستدعونه إلى بلادهم ويعدونه النصر بالنفوس والأموال ، وفى مكاتبتهم شعر يقولون فيه :

مقامك أيها الملك الإمام ... مقام لا يقاس به مقام
نهضت بخطة نهضت قديما ... بها آباؤك الغر الكرام
وكنت بها وإن ثقلت حريا ... تدبر أمرها فخلاك ذام

ثم رجع من مسلت إلى أن بلغ إلى أخيه عبد الله بن سليمان وهو ساكن بالشعائف [٣] من بلد بنى ربيعة من وادعة [٤] فوقف عنده هو وأصحابه يومين وقال له الإمام عليه السلام إحمل عنى فريضة والدتنا وأنا أحمل عنك فريضة الجهاد فأسعده إلى ذلك .

---

(١) شوابة بضم الشين ، واد من أعمال ذيبين في بلاد بكيل ، ينحدر ماؤه إلي الجوف ، وإليه تنسب قرية شوابة في عزلة سفيان ؛ ناحية ذيبين .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٨ ؛ الويسى ، اليمن الكبرى ، ص ٨٢ ، النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦ .

(٢) خولان من القبائل اليمنية الكبرى ، وهى ثلاثة أقسام ، خولان صعدة وصنعاء وقضاعة ، وفى كل قسم عدد من البطون . وتنسب كلها إلى خولان بن عمرو ... بن مالك بن حمير بن سبأ .
أنظر : ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٧٨ – ٧٩ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ص ٣١٣ – ٣٢٢ ؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٢٢٨ – ٢٣٢ .

(٣) في الأصل الشقايف ، والشعائف من عزلة وادعة ، ناحية خمر .
التوزيع السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، جـ ٢ ص ٤١٠ .

(٤) وادعة من بطون حاشد وهم ولد وادعة بن عمرو بن عامر .. بن جشم بن حاشد ، وقبائل وادعة فى ثلاث جهات هى وادعة عسير شمالى نجران ، ووادعة صعدة فى ناحية الصفراء قضاء همدان ، ووادعة حاشد فى ناحية خمر .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٧٦١ ، التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صعدة ، ص ١٢٢ – ١٢٤ ؛ التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، جـ ٢ ص ٤١٠ – ٤١١ .

قال الراوى : وكان قد وصلت الإمام بنو قيس من بنى صريم (١) فبايعوه، [وسلم له] (٢) شيخهم حاتم بن أبى الخير بن المكم حصنه بأثافت (٣) ووصلت إليه قوم من بنى صريم فبايعوه ووصلت إليه بنو يحير (٤) إلى أثافت فبايعوه ثم نهض فأمسى بحوث (٥) عند حى والدته رحمها الله وهى عند الشريف الأجل القاسم ابن الحسن بن إبراهيم استخلفها بعد حى أبيه سليمان بن محمد رحمه الله فبات عندها ليلة ، ونهض هو وأصحابه إلى الهجر ؛ هجر الهراثم (٦) فتلقوه بالجميل وبايعوه ونزل معه الشيخ ابن بايع إلي البطنة ؛ بطنة حجور عذر فبات بها ليلة عند غميض بن ربيع ثم تقدم إلى الشيخ محمد بن أبي الغلب إلى

---

(١) بنو صريم بن مالك بن حرب ، من قبائل حاشد ، وتنقسم بنى صريم إلى تسعة أتساع منها تسيع بنى قيس . ومركز الناحية مدينة خمر .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ص ٢١٦ - ٢١٧ ؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ١٥٨ .

(٢) بياض في الأصل والإضافة من اللآلىء المضية ، جـ ٢ ورقة ١٧٢ .

(٣) أثافت بضم الهمزة وكسر الفاء ، وذكرها البعض بفتح الهمزة ، بلدة بالقرب من دماج شرقي خمر .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١١٤ - ١١٥ ؛ البكرى ، معجم ما استعجم ، جـ ١ ص ١٠٥؛ ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ص ٨٩ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ص ٥٦ - ٥٧ .

(٤) يحير بفتح الياء وكسر الحاء ، اسم قبيلة وعزلة من خبان رعين ، وفرقة منهم في مخلاف ذى مازن بالغرب من صنعاء .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٢ ، ح ٣ نفس الصفحة .

(٥) حوث بضم الحاء ، من بلاد حاشد وهى مركز ناحية حوث بقضاء خمر وتقع ما بين ٥٥ ً ١٣ َ ١٦ ْ شمالاً ، ٥٤ ً ٥٨ َ ٤٣ ْ شرقا .
خريطة ج .ع. ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، قطعة 1643 D4؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ص ٢٢١ - ٢٢٢ ؛ البكرى ، معجم ما استعجم ، جـ ٢ ص ٤٧٤ ؛ الويسى ، اليمن الكبرى ، ص ٨٣

(٦) هجر الهراثم من بلاد وادعة حاشد .
يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ ١ ص ٣٠٦ ، ٣٤٩ .

حيدان [١] فلقيه بالريح وقدمه فى موكب وزى حسن ، ولم يبق شىء من الجميل إلا فعله معه ، وركب معه فى أفراس من أصحابه إلي شعب [٢] وهم قوم سوقه فحضر من فى السوق من عذر [٣] وغيرهم من العرب فبايعوه وبات عندهم ليلته [٤] تلك وتقدم إلي أن بلغ الحيدان من بلد خولان وهو القد اليمانى [٥] وذلك فى جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة . ودخل سوقا لزبيد [٦] ففرحوا

---

(١) فى الأصل صدان .
وحيدان قرية وناحية فى قضاء خولان بمحافظة صعدة ، وهى سوق خولان ، وتقع إلى الجنوب الغربى لمدينة صعدة .
الويسى ، اليمن الكبرى ، ص ١١٢ ، التسقيمات الإدارية لعام ١٩٨٥ ؛ التعداد السكانى التعاوني لمحافظة صعدة ، ص ٩٩ - ١١٢ ؛ التوزيع السكانى فى محافظة صعدة ، ص ٤١ - ٥٦؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٢١١

(٢) شعب بكسر الشين من قبائل خولان وبلادهم من أعمال ساقين فى ناحية خولان غربى صعدة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٩ ؛ الحجرى ، مجموعة بلدان اليمن ، جـ ٢ ص ٣٠٢ ، جـ ٣ ص ٤٧٦ .

(٣) عذر بضم العين بطن من همدان القحطانية .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ص ٤٧ ؛ كحالة ، القبائل العربية ، جـ ٢ ص ٧٦٧ .
وعذر وطن وقبيل مشهور ، نسب إلي عذر بن سعد .. بن حاشد ، وتقع بلادهم بالشمال من حاشد . ومنهم عذر مطرة في بلاد نهم .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٧ ، ح ٣ نفس الصفحة ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ٢ ص ٢٢٢ ، جـ ٣ ص ٥٩٥ .

(٤) فى الأصل ليله .

(٥) القد بالكسر والفتح أشهر ، يوجد بهذا الإسم أكثر من موضع في ناحية حيدان قضاء خولان بن عامر ، وتذكر باسم القدود الشامية أو اليمانية .
أنظر ، الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٨ ، ١٣٥ ؛ التعداد التعاونى لمحافظة صعدة ، ص ١٠٤ .

(٦) زُبيد بضم الزاى وفتح الباء وسكون الياء ، إسم لبعض قبائل مذحج . ووادى زبيد عزلة من ناحية حيدان قضاء خولان .
الحجرى مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ص ٣٩١ - ٣٩٣ ؛ التوزيع السكانى فى محافظة صعدة ، ص ١٠٤ .

به وبايعوه وقال شعرا يذكر فيه همدان [1] وقبائلها وخولان ومفاخرها وقيامهم مع الأمة من قديم الزمان ، وأمر به فأنشد وقد اجتمعت قبائل خولان من أهل القد اليماني وهو هذا :

نهضت بأمر الله لله غاضبا ... بذاك رسول الله جدي أوصاني

لأنصر دين الله في كل بلدة ... وأظهره حقا على كل الأديان

وأشفي صدور المؤمنين من العدى ... وأروى سيوف الهند من كل خوان

وقد سمعت همدان مني وسارعوا ... إلي كل ما أهوي فأكرم بهمدان

بيام [2] بن أصبا رأس حاشد [3] كلها ... ووادعة لم يلتقوني بخذلان

وشاكر [4] طرا ابن مير [5] ودهمة [6] ... ووائلة [7] الأنجاد والكل لباني

---

(١) همدان أشهر قبائل اليمن ، وتنحصر قبائل همدان فى البطنين حاشد وبكيل ابنى جشم بن خيران .. بن همدان .
الهمداني ، الإكليل ، جـ ٢ ص ٣٩٤ - ٣٩٦ ؛ ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٢) يام من قبائل حاشد ، وموطنهم بنجران .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٥٤ ، الحجري ، مجموعة بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٧٣٤ ، ٧٧٤ .

(٣) حاشد من أكبر قبائل اليمن ، تنسب إلي حاشد بن جشم بن همدان ، وتنقسم إلي أربعة أقسام، بنو صريم ، وخارف ، والعصيمات ، وعذر . وكل واحدة تنقسم إلى عدة بطون .
أنظر ، الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ص ٢١٣ - ٢٢٦ .

(٤) شاكر من قبائل بكيل وهم ولد شاكر بن ربيعة بن الدعام ، وهى قبيلتا وائلة ودهمة . وبلاد شاكر ما بين مأرب ونجران ومنها الجوف وبرط وخب وأملح وغيرها .
ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٩٧ ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٢ - ١٦٤؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٣ ص ٤٣٩ - ٤٤٠ .

(٥) هكذا فى الأصل . ومير بلد واسع بين بلد حاشد فى جنوبيه وبلاد خولان صعده من شماليه . وأكثر ساكنيه من شاكر وحجور وخولان .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٧٢٦ .

(٦) دُهمَة بن شاكر بن ربيعة بن الدعام ، ومواطنهم في برط والجوف وصعدة ومأرب .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ص ٣٣٦ ؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٢٥٢ .

(٧) وائلة من قبائل بكيل وهم وائلة بن شاكر بن ربيعة وبلادهم فى ناحية همدان بصعدة .
الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ص ٤٧٣ ، ص ٤٧٧ .

[ ] [1] من غلب أرحب [2] ونهم [3] الحماة المانعين وذُبيَان [4]
ووداعة سعد وقيس مجيبة وشم بكيل [5] من صياف [6] وسفيان [7]
وكل مجيب دعوتى ومسارع لما شئت من عقد وثيق وإيمان
فلما أجابوني نطقت بمخرج على الفور إن شاء الإله لنجران [8]
وأبدى به قيل البلاد جميعها لما فيه من كفر شهير وعصيان
وكم فيهم من مجبّر ومشبّه ورجس يهودى ومرب ونصراني

---

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمتين .

(٢) أرحب من قبائل بكيل ، وهم ولد أرحب بن الدعام الأكبر وتقع بلادهم في شمال شرق صنعاء .
نشوان بن سعيد ، منتخبات في أخبار اليمن ، ص ٤٠ ؛ كحالة ، معجم قبائل العرب ، جـ ١ ص ١٤ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ ٢ ص ٩٢ - ١١١ .

(٣) نهم من قبائل بكيل ، وإليهم تنسب ناحية نهم شمال شرق صنعاء
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٦٢ ؛ كحالة ، معجم قبائل العرب ، جـ ٣ ص ١١٩٨ ، التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ ١ ص ٢٢٠ - ٢٣٠ .

(٤) ذُبيَان من قبائل بكيل .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٤٧ .

(٥) بكيل قبيلة من همدان تنسب إلي بكيل بن جشم أخو حاشد بن جشم .. بن همدان . وتتفرع بكيل إلي سبع بطون كبيرة هي أرحب ونهم ومرهبة وشاكر وسفيان وذبيان وبني الدعام .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٤٧ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٦) صياف بكسر الصاد بطن من سفيان .
الهمداني ، الإكيل ، جـ ٢ ص ٣٩٥ .

(٧) سفيان قبيلة من قبائل بكيل ، وهم ولد سفيان بن أرحب بن الدعام ، ولهم بلاد واسعة سميت باسم القبيلة ، تعرف بحرف سفيان في قضاء خمر .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ص ٤٢٤ ؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٣٢٤؛ التعداد السكاني التعاوني ، جـ ٢ ص ٤٥٨ - ٤٧٠ .

(٨) نجران بفتح أوله وسكون ثانيه ، تقع في الشمال الشرقي لمدينة صعدة علي بعد مائة كيلو متر تقريباً .
البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٤ ص ١٢٩٨ ؛ الويسى ، اليمن الكبرى ، ص ١١٧ - ١١٨ .

فقال ذرا همدان لاتبغ غيرنا ... نسير برجل كالجراد وفرسان

فقلت لهم كونوا على الزاد واسكنوا ... فليست تطيب النفس إلا بخولان

إلى أن تجيء منى إليكم رسالة ... فلابد من خيل إلى الحقل يلقاني

وعدت إلي خولان أطلب نصرة ... لديهم جميعا وابتدأت بحيدان

بغلب زُبيد الصيد والرأس من بني ... نؤيب[1] ومن أبنا شهاب [2] ومران [3]

ومن شعب حي [4] والأديم [5] جميعهم ... كذاك بنو سعد [6] ذوا المجد أعواني

وإن بني بحر [7] وأبنا جماعة [8] ... ذوي المجد ما قد قمت فيه لهم عاني

---

(١) بنو نؤيب قرية وعزلة في ناحية حيدان ، قضاء خولان ، محافظة صعدة .
التوزيع السكاني في محافظة صعدة ، ص ٤٥ – ٤٨ .

(٢) بنو شهاب بن العاقل ، اختلف النسابون فيها فمنهم من ينسبهم إلي كنده ومنهم من ينسبهم إلى قبائل خولان بن عمرو من قضاعة .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٣٥ ، ح٣ نفس الصفحة ؛ ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ١٢٥ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ص ١١٩ ، جـ ٢ ص ٢٢٠ .

(٣) مَران بفتح الميم وتشديد الراء ، من قبائل خولان بن عمرو من قضاعة .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٥١ ، ٧٨ .

(٤) شعب حي من قبائل خولان وبلادهم من أعمال ساقين غربي صعدة .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٩ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ص ٣٠٢ .

(٥) الأديم من قبائل خولان .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٨ ، ٢٢٥ .

(٦) سعد من قبائل خولان وبلادهم في نواحي متفرقة منها عزلة بني سعد ناحية ساقين .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٥ ؛ الإكليل ، جـ ٢ ص ١٢٤ ، ١٣١ ، ١٤١
التوزيع السكاني في محافظة صعدة ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٧) بنو بحر بطن من خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة في بلاد صعدة .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٥١ ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ص ١٠٤ .

(٨) بنو جماعة من قبائل خولان بن عمرو ، وبلادهم من أعمال صعدة .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٢ ؛ ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٥١ ؛
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ص ١٩١ .

ومن حل فى ساقين [١] والرأس من بنى حيى [٢] من أبناء حى [٣] وبوصان [٤]
وأيضا فاكرم بالربيعة [٥] والذرى بنى مالك [٦] من كل مُرغِم أقران
وللبقرا عزم وصبر وهمة ويرسم [٧] أعوانى والفى وجيرانى
فإن لم أعز الدين بعد اهتضامه وأروى حسامى فى نجيع دم قانى
فما أنا من أبناء لؤى بن غالب وما أنا أدعا أحمد بن سليمان
وكيف ولى صبر وعزم وهمة تطول على برج السماك وكيوان
ألا يا عباد الله من يشترى غنى مقيما بنزر تافه ناقص فان
ويضحى مع الحور الحسان مخلدا بجنات عدن ذات روح وريحان
وفاكهة ما إن تزال كثيرة بها كل ما يهوى ونخل ورمان
ويصبح جارا للنبى محمد واخوانه فى جنة ذات أفنان
عليهم من الرحمن أزكى تحية وبر ورضوان وفضل وإحسان

---

(١) ساقين بلدة وناحية من قضاء خولان محافظة صعدة .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صعدة ، ص ٧٧ - ٩٨ .
(٢) بنو حُيى بضم الحاء من قبائل صعدة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٤ .
(٣) بنو حى من قبائل خولان بن عمرو بصعدة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٥ ؛ ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٥١ .
(٤) بوصان قرية من عزلة بنى عباد ناحية مجز قضاء جماعة .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صعدة ، ص ٤٧ .
(٥) الربيعة من قبائل خولان بن عمرو بن قضاعة .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٥١ ، ٥٨ .
(٦) بنو مالك بطن من سحار بن خولان بن عمرو .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٦٨٧ .
(٧) يرسم برفع الياء وسكون الراء من قبائل صعدة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٤ .

قال : فلما أن بايعوه وأجابوه إلى المخرج وعلم بذلك من يكره مخرجه أمروا بشيء ففرقوا به بين الناس إلي أن حدثت فتنة بين خولان فأقام عندهم آخر جمادي الآخرة ورجب وشعبان ورمضان ثم [خرج منهم مخرجا] [(١)] في شوال ، فبلغ [به] [(٢)] حدا قريبا ثم دخل بينهم الفساد ، فعادوا فلما علم بذلك أهل الحقل[(٣)] وكانوا من أكره الناس لقيامه من أجل ما تقدم عندهم من قتل الأمير الأجل محسن بن الحسن – رحمه الله – وما جرى لهم في حياته وبعد وفاته ، ولأجل ما نالهم من مقام علي بن زيد ، فصاروا لا يسمعون بقائم من أهل البيت إلا وأيقنوا أنه يهتك أستارهم ويخرب ديارهم ، فلما أن كان منهم التقوا وتحالفوا وتواثقوا ألاّ أطاعوا أبدا ولا يطأ الحقل ، فلما علم بذلك الشرفاء الأجلاء بنو الهادي [(٤)] ركب منهم جماعة وتقدموا إلى بني جماعة [(٥)] فاستدعوهم وسألوهم البيعة فسارعوا إلى ذلك وأجابوا إلى هنالك فبايعوا بأجمعهم وعقدوا على المخرج وقالوا يصل إلى عندنا الإمام ، فرجع الشرفاء إلى موضعهم وأنهوا إلى الإمام عليه السلام ذلك فخرج حتى وافقه عيد الأضحى بساقين فعيد هنالك عند الشريف الأجل محمد بن يوسف الأشل . ونهض ثاني العيد ومعه الشريف محمد

---

(١) بياض في الأصل . والإضافة من اللآلي المضية ، جـ ٢ ، ورقة ١٧٢ .

(٢) بياض في الأصل والإضافة من اللآلىء المضية جـ ٢ ورقة ١٧٢ .

(٣) الحقل هو القاع الواسع ويذكر منسوبا إلى الناحية التي يقع فيها أو المدينة المجاورة والموقع المعنى هنا حقل صعدة ويقع في شمال مدينة صعدة في بلاد خولان .
الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ص ٢٧٨ ، المقحفي ، مجموع البلدان والقبائل ، ص ١٩٦

(٤) بنو الهادي وهم أولاد الإمام يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الرسي ، وهو مؤسس دولة الزيدية في اليمن . وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب .

(٥) بنو جُماعة من قبائل خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة لهم بلاد واسعة تمثل إحدى قضاءات محافظة صعدة .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٥١ ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ص ١٩١ ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صعدة ، ص ٤٠ – ٧٦ .

بن يوسف إلى أن باتوا بصبر [١] ، ونهضوا آخر ليلتهم إلي مجز [٢] وكان ذلك اليوم ملقى لبني مالك ولبني حذيفة [٣] ولبني حي إلى فلله [٤] من أجل الإمام يريدون الفساد عليه ، فلقيه الشرفاء إلى مجز وتقدم إلى بلاد بني جماعة فعقدوا له على المخرج معه وأوثقوا له على ألف قوس ومائتي ترس واتعدوا ليوم ثالث إلى موضع في العرض [٥] يقال له أيلة ، وعقد كل شيخ من بني جماعة على بني عمه وأدى بهم وبلادهم مساعدة ، ووصل بعض أهل الفساد إلى شيخ من بني جماعة يقال له على بن الجابر فبذلوا له شيئا من الحطام فقال لهم قد تفرقت بنو جماعة وليس عادهم في يدى ، فأجمع رأيهم على أن يرسلوا إلى كل قبيلة من بني جماعة رسولا يقول لهم إن الإمام قد أخر المخرج ففعلوا ذلك إلا رجلا منهم من آل جابر [٦] . يقال له السعر بن أبي الليل فوفى بعقده وأتى بأصحابه . وكان عقد على مائة قوس وثلاثين ترسا فوصل بهم ورجلا من بني

---

(١) صَبَّر بفتح الصاد والباء واد في غربي صعدة ، يبعد عنها نحو خمسة أميال .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٣ ص ٤٦٢ .

(٢) مَجز بسكون الجيم ، قرية وعزلة في بني جماعة من بلاد صعدة .
التوزيع السكاني في محافظة صعدة ، ص ٢٨ ، الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٦٨٩ .

(٣) بنو حذيفة قبيلة من بني جماعة في بلاد صعدة .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٩ .

(٤) هجرة فللة قرية من عزلة فللة ناحية مجز قضاء جماعة .
التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صعدة ، ص ٢٦ .

(٥) العرِض بكسر العين ، من أودية صعدة .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٤ .

(٦) آل جابر أحد وديان بني جماعة ، ويبدو أنه قد أطلق عليه اسم القبيلة .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٣ ص ٤٧٥ .

عامرْ [١] كان عقد على مائة قوس فوصل أيضا وتخلف آخر بني جماعة . فلما رأي ذلك الإمام عليه السلام فسح لأولئك فانقلبوا ، وأمر لأصحابه الشرفاء بالإنقلاب وتقدم يوْم غيل جلاجل [٢] ، وسار معه جماعة من العامريين فما وجدوا على طريقهم أحدا مسيرة يوم إلا انهزموا من طريقهم لما أن علموا بهم إلى أن بلغوا المجازة [٣] ، فلما أن بدوا عليهم انهزموا هزيمة عظيمة ، فأرسل فيهم من ينادى لا بأس عليكم، فتراجعوا بعد تعب وبات عندهم تلك الليلة وأمر العامريين بالرجوع فرجعوا، وتقدم إلى أن بلغ قتام [٤] ونزل عند رجل من بنى حيى يقال له مفلح بن سالمَ فأكرمهم وقراهم قِرى [٥] فاضلا ، وقد كان لهم من البلاد ثلاثة أيام على الزبيب واللحم وذلك لعدم الطعام فى ذلك الوقت من شدة القحط فى البلاد ، ثم تقدم إلى الشيخ الأجل على بن أحمد الحيى السنافىَ فأكرمه وأتحفه ، وتقدم معه هو ومفلح بن سالم إلى الحاجز [٦] فلما وصلوا جبلا فوق قتام

---

(١) يفهم من النص أن بنى عامر من قبائل جماعة . وبني عامر من قبائل كنده .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٩٥ .
وآل عامر قرية من عزلة ولد عياش وعريمة ، ناحية حيدان قضاء خولان ، وآل عامر قرية من عزلة وادعة ناحية الصفراء قضاء همدان .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صعدة ، ص ١٠٦ ، ١٢٣ .

(٢) جلاجل بضم الجيم الأولى وكسر الثانية ، بلد وغيل فى بلد وادعة فى الشمال الغربى من صعدة.
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٥ .

(٣) لم نستدل علي موقع بهذا الإسم .
وفى صعدة أكثر من موضع يسمى « الحازة » أو المنجارة » .
انظر التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صعدة ، ص ٣٣ ، ٧٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٨ .

(٤) يفهم من النص أن قتام موضع (قرية أو واد) في بلاد بنى حيى من قبائل جماعة من خولان بن عمرو .

(٥) قَرى الضيف قِرى وقراء : أضافهُ .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قرا .

(٦) يبدو من النص أن الحاجز أيضا من قرى صعدة .

استوقفاه وشكيا عليه الجدب العظيم الذى لم يشاهدوه فى أعمارهم فدعا إلي الله سبحانه واستسقى لهم ، فلما بلغوا الحاجز آخر نهارهم أنزل المطر فى ذلك النهار فسقى قتام والحاجز غيثا غزيرا هنيا والحمد لله ، ثم تقدم إلى أن بلغ وادعة وضرب لهم ملقى فاجتمعوا من الغيل [١] والعرين [٢] فبايعوه بأجمعهم . وكان يريد التقدم إلي راحة بنى شريف [٣] فكسروا عليه وقالوا له نحن نكفيك المخرج إلى نجران وعقدوا له بالخيل والرجل وواعدوه إلي موضع يقال له الرفادة فوق نجران ، وتقدم إلى يام وأخذ فى واد يقال له الخانق [٤] أيام فنهض من أسفل الغيل فأخذ فى ذلك الوادى إلى العصر المسى وهو يؤم إلي قوم من يام فى دروب فى ذلك الوادى ، وكان عندهم زرع قد اجتمعت عليه البوادى من كل مكان والناس يومئذ فى حطمة شديدة فبلغ خبر وصوله إلى أهل الوادى ، وأوقع عندهم أنه واصل فى جمع كثير، وأنه يريد حربهم فقدموا رجلا منهم فى ذلك الوادى فلقيه وهو عاشر عشرة من أصحابه وخدمه ، فلما أن رآهم انثنى فأخبر

---

(١) الغيل من أودية بلد خولان غربى صعدة ، والغيل قريتان من عزلة حشبة ناحية قطابر قضاء جماعة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٣ ؛ التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صعدة ، ص ٣٣، ٣٤ .

(٢) العرين قرية وعزلة من ناحية رجوزة قضاء برط .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، جـ ٢ ص ٥٩٥ ؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٤٥١ .

(٣) بنو شريف ، بضم الشين ، من قبائل خولان من بلاد صعدة .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٣ ص ٤٥٢ .
وراحة واد فى بلاد جنب حيث موطن بنى شريف .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٧ .

(٤) الخانق من أودية صعدة وهو من روافد وادى نجران .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٣ .

أصحابه وصرخ صارخهم فأتوا مجتمعين في لقائه للإساءة عليه ، فلما أن وقعت وجوههم في وجهه وأرسلوا ما بأيديهم من النبل والحجارة إليه وإلي أصحابه ، لزم عنان فرسه واستل سيفه وجعل يحامي على نفسه وأصحابه ثم تفرق أصحابه عنه [وأخذوا] (١) سلاحهم وثيابهم وجعلوا يدورون به وبفرسه ويرمونه بالنبل والحجارة فما نصروا عليه ولا نالوا منه منالا ، فلما لم يحسنوا فيه حيلة تواصوا بعقر فرسه فكانوا كلما قربوا من فرسه واجتمعوا إليه حمل عليهم وهز السيف في وجوههم فرجعوا على أعقابهم ، ولم يكن له عليه السلام ملجأ يلجأ إليه فيوقع السيف فيهم فتجاول هو وإياهم مليا ، ثم وصل إليه رجل منهم فعرفه فقال لهم : هذا قد بايعه ابن عمي حاتم بن سليمان بن الرونّة وصرخ بأصحابه فاجتمعوا إليه وكف أولئك عن القتال ثم دنا فسلم على الإمام ورحب به وسار بين يديه إلى درب له في ذلك الوادي واسترد لأصحابه ما أخذ لهم . وأراد ذلك الرجل حرب أولئك القوم الذين عدوا على الإمام وعلى أصحابه فمنعه الإمام عليه السلام عن ذلك ، وبات عنده تلك الليلة وتقدم من عند ذلك الرجل إلى أن وصل إلى شيخ من بني ألغز (٢) يقال له أحمد بن منيع بن المغلس فلقيه بالبشر والكرامة وأعلمه بميعاد وادعة فقال : أنا أرسل إليهم رسولا فإذا أنهضوا أنهضت بقومي وبأصحابي ولقيتهم . وتقدم الإمام عليه السلام حتى بلغ موضعا يقال له الجفة (٣) في أسفل ذلك الوادي ، فوصل إلى قوم طغام لايدرون إلى ما يدعوهم ، فلما رآهم كذلك أمسك عن الدعوة لهم وتقدم يريد نجران ؛ لأنه منعه

---

(١) بياض في الأصل والإضافة من اللآلىء المضية جـ ٢ ورقة ١٨٧ .

(٢) ألغز بن مذكر من قبائل همدان .

ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٤٧ ، ١٢٠ .

(٣) الجفة من بلاد قبيلة مذكر بنجران ، وهي من قرى وادي حبونا .

الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ، ص ٧٣٤ ؛ البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص ٢٠٥ .

من الرجوع خوف مكيدة العدو ومكره وسار إلى أن حط على منهل فتوضأ من مائه ، وخبز أصحابه دقيقا كان معهم وطعموا منه وشربوا من ذلك الماء ، ونهضوا منه وقت صلاة العصر فساروا فى قفرة إلى أن جنهم الليل ، فسأل عن الماء فقيل إنه بنجران ولا يبلغ إلا عشية غد ، فبات هو وأصحابه ظمأى [١] تلك الليلة . وكان معه شريف من بنى العباس [٢] بن على عليه السلام يقال له إبراهيم بن فتيح [٣] فلما أن أصبحوا صلوا صلاة الفجر بالتيمم وكان ذلك فى أول الشتاء فى غير وقت مطر ولا سحاب .

قال الراوى : وركب الإمام عليه السلام وقد أجهدهم العطش وهم فى فلاة من الأرض وليسوا يرجون الماء إلا على مسيرة يوم ، فبيناهم كذلك إذ رأوا عند طلوع الشمس بين أيديهم على مسيرة ميلين أو قريبا منها شيئا مثل السحاب الرقيق أو الضباب وهم لايحدثون أنفهسم فى ذلك الوادى بمطر ، ثم تجلى ذلك السحاب وهم على سيرهم إذ وقعوا على أمارات المطر من الندى فى الأرض وذلك الندى يزداد إذ وقعوا على غدرات من الماء القراح فشربوا منه وحمدوا الله وأثنوا عليه ، وقال الإمام عليه السلام لأصحابه وقد كان تقدم منه كلام معهم يأمرهم فيه بالصبر ويعدهم عليه المثوبة والأجر ويقول لهم : لاتحزنوا إن الله معنا فقالوا: بلى يا مولانا ورأوا تصديق ذلك ، وقال له ذلك الشريف العباسى كنت فى هذه الليلة قد ساء ظنى واستيأست مما أرجو ثم قلت فى نفسى داعيا إلى الله : اللهم بين لى أمر هذا القائم برحمة منك فإن يسرت لنا ماء من السماء فهو الذى نرجوا

---

(١) فى الأصل ظلمآ .

(٢) ينسب الأشراف العباسين باليمن إلي العباس بن على بن أبى طالب .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ١١١ ؛ أحمد بن يحيى ، الدر المنثور ، ورقة ٨٨ .

(٣) الكلمة غير منقوطة فى الأصل .

ونأمل وإن لم تيسره فليس به . فأعلمهم بذلك وأقسم على نفسه بنذر صيام سنتين لله تعالى أنه أسر ذلك فى نفسه . قال : ثم إنهم انطلقوا يخوضون الماء إلى أن نزلوا عقبة مشرفة على نجران من غربية يقال لها اللحى صعبة عسرة فلما أشرفوا على قابل [١] وادعة استنكروهم وتصاعقوا عليهم من كل مكان فقال الإمام عليه السلام : لايقفن منكم أحد واستمروا على حالكم ولا توهموهم خوفا ، فانطلقوا ولم يحفلوا بهم ولم يبالوا بأصواتهم . فلما رأى أهل القابل قلة احتفالهم بهم سكنوا عنهم ، ونزل الإمام عليه السلام هو وأصحابه إلى درب من دروب وادعة يقال له الدرب الجديد فباتوا عندهم تلك الليلة وكان الناس فى شدة وقحط فما وجد لهم أهل ذلك الدرب ضيفة إلا قرب الصبح ، وكان أهل نجران قد وقع عندهم أمر علم تخريج الخرج [٢] من بلاد بنى جماعة فقطعوا التمر قبل أوان قطعه . فلما أن علموا بعلم الإمام عليه السلام وصل إلى عنده جماعة من أهل نجران منهم الشيخ العون بن زغبة وعلى بن الجعد فقالوا له : ما كلفك على المنزل هكذا ، وكنا نقول إنك تصل فى عساكر تدمغ بها أهل الفساد ، فأتيت عاشر عشرة فقال لهم الإمام : إذا انقطع الدلو فى البئر لم يكن له بد من بلوغ قعره ، وتقدم معهم إلى أن بلغ إلى موضع الشيخ العون بن زغبة فأقام عنده الإمام عليه السلام شهر صفر وربيع من شهور سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، ووصل إليه

---

(١) قابل نجران بأعلى وادى حبونن من بلاد يام .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٦ .
ويبدو أنه يوجد أكثر من مكان في نجران يحمل هذا الإسم ويتم نسبته إلي القبيلة مثل يام وقابل وادعة بنجران .
ويبين النص بعد ذلك أن قابل وادعة بالقرب من شوكان بأعلى وادى نجران .

(٢) الخرج هو الخراج
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة خرج .

قوم من همدان ومن جنب [١] فيهم منيف بن الجابر بن عبد رب فسألوه القيام بهم على بنى الحارث [٢] وكانوا يريدون نكايتهم فلم يساعدهم إلى ذلك ، وقال : أنا أطلب قوما إن أمرتهم ائتمروا وإن نهيتهم انتهوا فى كل وقت وأوان ولستم بهذه الصفة ، فرجع من عنده منيف بن الجابر إلى موضعه ، وكان نازلا على بئر حميد بأسفل نجران ثم إن بنى الحارث نزلوا إليه وأعطوه مائة دينار على أن ينصرف عنهم خوفا منه أن يميل إلى الإمام ، فأخذها منيف وانصرف إلى أن حل بموضع يقال له الفرط [٣] ، فعدا عليه قوم يقال لهم مهرة [٤] من أهل الغائط [٥] فأخذوا له إبلا كثيرة ومالا كثيرا فعجب من ذلك من علم بإخلافه بالإمام . ثم وصل الشريف الأجل محمد بن يحيى بن يحيى بكتاب من الربيعة يستدعون فيه الإمام عليه السلام ويعدونه بالنصرة والقيام فعمل على التقدم إليهم وجعل طريقه على بلاد وادعة ، فلما أن وصل بهم ونزل إلى عند الشيخ الأجل عمر بن أحمد اليرسمى وهو ساكن بالعرين فلم يبق شيئا من المعروف إلا فعله من بذل المال

---

(١) جَنب بفتح الجيم وسكون النون . حى من مذحج ، كانت مواطنها هران ذمار . ويطلق اسم جنب على عدة قبائل منها جنب المذكورة بالنص وتقع بلادهم إلى الشمال من صعدة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٣٠ ، ٢٢٦ ؛ نشوان ، منتخبات ، ص ٢٢ ، ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٦٤ – ٦٥ .

(٢) بنو الحارث بن كعب حى من مذحج وهم ملوك نجران .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٦٥ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ص ٧٣٤ – ٧٣٥ .

(٣) الفُرط بضم الفاء من بلاد بنى الحارث .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٢ .

(٤) مَهرَة من قبائل قضاعة .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٥١ .

(٥) فلاة اليمن وتسمى الغائط . وهو القاع الذى تنتهى إليه سيول وادى نجران .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٤ ؛ البلادى ، بين مكة وحضرموت ، ص ١٣١ .

والنفس واللسان ، وحضرت وادعة إلى الإمام فاعتذروا إليه من إخلافهم بوعده الذى كانوا وعدوه به لمنزله ، وقالوا : كنا على أمر الملقى والنهوض حتى بلغنا خبر العدوة التى عديت عليك فى بلاد يام وقيل لنا إنك قد جرى عليك جراحات فعذرهم، وتقدم إلى موضع يقال له القبضة من بلاد بنى حى فعلم به رجلان منهم من أهل قتام وهما على بن أحمد ومفلح بن سالم فوصلا إليه إلى القبضة فخلفا عليه إلى قتام ، فنهض إليه وهو واد جليل القدر إلا أنه قد أضرت به الحطمة حتى كادت أصول أعنابه أن تنقلع وكذلك نجران كانت به حطمة شديدة . روى أن الإمام عليه السلام أنه لما وصل إلى الشيخ الأجل العون بن زغبة وأقام عنده فقرب ذات ليلة عشاء من خبز بر وأدمة قدر كفاية قوت نفس فسأله أن يقف معه ويتعشيان من ذلك الطعام فاعتذره وقال : لى عشاء غيره فلح عليه الإمام عليه السلام فى العشاء معه وأدى عشائه إليه ، فلما لم يعذره من ذلك أتى الشيخ بعشائه فإذا هو شىء مسلوق من عضاة [1] تسمى الضدح لا شىء غيره فعجب الإمام منه ومن مواساته له ونصيحته وصادق مودته . وكانت الزرائع يومئذ قد قربت حصادها ، وقد كان أطيان آل زغبة قد خرجت من أيديهم ورهنوها إلى قوم تجار من جيرانهم من يهود ونصارى من عصر قديم من أجدادهم وآبائهم وإياهم، فسأل الإمام الشيخ العون عن سبب ذلك وقصته فقال : يا مولانا إن هذه الأموال جميعها من أجدادنا وآبائنا ومنا وإن الرجل منا إذا احتاج رهن الجربة [2] فى بعض قيمتها فإذا أتى بعد ذلك يستخرجها ممن هى فى يده امتنع

---

(١) العضاة اسم يقع على شجر الشوك له أسماء مختلفة يجمعها العضاة واحدتها عضاهة .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة عضض .

(٢) الجِربَةُ ، بالكسر : المزرعة
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة جرب .

عليه وتأبى وظلم صاحبها فصارت جميع أموالنا فى أيدى هؤلاء التجار ما تم لنا منها شيء حتى علف خلينا ويمتنعون بهشام [١] وأهل نجران ويتجورون بهم ، وكانت لآل زغبة نفوس أبيه وكرم مبرح يعرفون به قال : فوجع الإمام ذلك فلما كان من الغد أمر للتجار الذين في أيديهم هذا المال وقال لهم : اعطوا آل زغبة الحق فى أموالهم وحاسبوهم بما قد أخذتموه من غلاتها ، فعسر ذلك عليهم وامتنعوا فشد عليهم الإمام شدة عظيمة . وأقسم بالله لإن لم يرضوهم لآمرن البدو والحضر ولأنهبن جميع الزرائع والخضر ، فلما رأوا منه الجد وعرفوا صدق ما وعدهم به دخلوا إليه وسألوه أن يصالح لهم آل زغبة على نصف هذه الثمرة الحاضرة ويأخذوا أطيانهم ففعل ذلك ، وفرح بذلك آل زغبة ودعا له الصغير منهم والكبير ، وكانوا فقراء فأصبحوا أغنياء وقال له العون بن زغبة ، لقد صدق قولك يا مولانا فى شعرك الذى تقول فيه ؛ من قصيدة له طويلة يقول فى أولها :

لأوفــرن لآل زغــبــة حــقــهــم	عـنـدى وأنـزلـهـم بـأشـرف مـنـزل
الـعـون عـون كاسـمـه لـبـنـى عـلـى	الـسـالـف الماضـى ولـلـمـسـتـقـبـل

فكان ذلك من عظيم بركات الإمام عليه السلام وحسن عدله وسيرته قال : ولما صار الإمام عليه السلام بقتام وهو واد جليل القدر وقد أتى الجدب عليه وأضرت به الحطمة فكادت أصول أعنابه أن تنقلع ، وعدم الماء فى الآبار حتى ما كان يرى عندهم شجرة خضراء فبات عندهم تلك الليلة فلما كان من الغد نهض من عندهم ومعه هذان الرجلان إلى أن طلعوا جبلا فوق قتام فقالا له : أنظر يا مولانا

---

(١) هشام من قبائل حمير .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٥٠ .

ضعف هذا الوادى وسوء حاله وما نزل علينا فيه من الجدب حتى أن هممنا بالنقلة منه ، فادع الله لنا يسكنا فى بلادنا بالمطر ، فتوجع لهما عليه السلام ودعا إلى الله وابتهل إليه أن يسقيهم وأن يعطف عليهم برحمته ، ثم تقدم هو وأصحابه إلى أن بلغ موضعا يقال له الحاجز ، فنزلوا عند أهل درب فيه ثم أنشأ الله سحابا على فروع ذلك الوادى قتام في غير وقت مطر ، ثم ادلهم [١] ذلك السحاب ورعد وبرق وأسبل وثج على فروع ذلك الوادى آخر ذلك اليوم ، فما شعر الإمام ومن معه حتى نزل وادى الحاجز بسيل كبير ، ففرح ذلك الرجلان وحمدا الله على ذلك ، فأخبرا أهل ذلك الموضع بما كان من دعوة الإمام عليه السلام فعجبوا من ذلك وحمدوا الله كثيرا ، ورجع ذلك الرجلان إلى بلدهما فأتيا وقد عطف الله عليهم برحمته ، وقد غيث ذلك الوادى غيثا هنيئا حتى سقى فيضه بلاد يام . وتقدم الإمام هو وأصحابه إلى أن باتوا عند بدو من بنى حى ثم نهضوا من الغد فباتوا عند آل غبير الليلة الثانية وتغدوا من الغد عند الشيخ الحسن بن العلاء المالكى بالصعيد [٢] ، وعلم بذلك الشرفاء الأجلاء بنو الهادى إلى الحق عليه السلام فوصلوا إلى الإمام فركب ونهض معهم إلى درب بنى الهادى ، وكان بين بنى مالك وبين الربيعة حرب وخلفة ذلك الوقت ، وقد وقع بينهم فتن شديدة وقتل ، فلما علم بوصوله أهل الحقل وخافوا أن يميل إليه أحد الفريقين فسارعوا

---

(١) ادلهم : كثف واسود .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : دلهم .

(٢) الصعيد كما سيأتى بعد ذلك من بلاد آل مسعود . وولد مسعود عزلة من ناحية سحار قضاء صعدة ؛ والصعيد بلده في العوالق العليا من عزلة حشبة ، ناحية قطابر ، قضاء جماعة ، محافظة صعدة .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صعدة ، ص ١٣ - ١٤ ؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٣٩١ ، ص ٤٧٧ .

فى الصلح بينهم وسعوا فى ذلك ، وبذلوا فيه المال فما لبثوا أن اصطلحوا بينهم. وأقام الإمام بدربه قريبا من شهر ، ثم طلع إلى بلاد الربيعة فاجتمعت الربيعة إليه وحضر معهم قوم من أهل صعدة [١] فلم يلتزم له الربيعة بحديث وأخلفوا بوعدهم وكتابهم . وتقدم الإمام عليه السلام متوجها إلى القد إلى أن بلغ آل زبيد ودخل سوقا لهم واجتمعوا إليه من كل مكان وفرحوا بقدومه إليهم وأمر بشعر قاله فأُنشد وهو :

دعوت إلى الهدى كل العباد ... وطفت على الحواضر والبوادى
وناديت البرية غير وان ... إلى سبل السلامة والرشاد
وما ينفك قوم من نذير ... وداع للأنام إلى الجهاد
وكنت لما دعوت إليه أهلا ... يدل عليه صبرى واجتهاد
وبعدى عن هوى نفسى احتسابا ... وقربى من مجالدة الأعادى
وصبرى واحتسابى واغترابى ... وذاك أشد من خرط القتاد [٢]
وكنت دعوت خولان بن عمرو ... ذوى العلياء والهمم البعاد
وجئت إليهم فى شر عام ... يمر على الملا من عصر عاد
فلبوا دعوتى ووعوا كلامى ... وجاءوا يهْرعون إلى المنادى
وأجمع رأيهم واستنظرونى ... إلى وقت الفراغ من الحصاد
فقلت أصونهم من بعض ثقلى ... إلى أمد وأضرب فى البعاد

---

(١) صعدة بفتح وسكون ، عاصمة محافظة صعدة فى شمال اليمن ما بين ٤٥ َ ٥٦ َ ١٦ ْ شمالا ، ٥٠ ً ٤٥ َ ٤٣ شرقا

الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١١٦ ، ١٢٤ ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٣ ص ٤٦٧ - ٤٨٠ .

The yemen Arab Repuplic and Neighouring Areas,1: 250000, Sheet 1.

(٢) القَتاد : شجرة شاك صلب . وفى المثل من دون ذلك خَراطُ القتاد .

ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قتد .

وأبناء الربيعة إذ دعوني ... قالوا نحن مفتاح البلاد

بحيي مالك وكليب [1] أرجو ... قليعة من يميل إلى الفساد

وبالصيد الحماة ذوى المعالي ... بني بحر الكرام ذوى الأيادي

وفي ساقين قوم أهل عزم ... حماة في السهول وفي النجاد

ومن ساد الورى من شعب حي ... سمام الضد حتف ذوى العناد

وبالغلب الأديم ذوى الحمايا ... ومن يصفي له محض الوداد

ومران العلا وبني ذؤيب ... وأبنا مالك حتف المعادي

ولم أنس الرعا وبني شهاب ... وأهل الصبر في وقت الجلاد

بأهل المغرب الأنصار حقا ... غدا دين الإله إلى ازدياد

[ ] [2] مشايخنا قديما ... رجاء الأجر في يوم المعاد

وهم باعوا نفوسهم جميعا ... إلى الرحمن بالنعم الرغاد

وهم حزب لنا وعماد عز ... نلوذ به فيالك من عماد

وحزب الله منصور قوي ... وحزب الظالمين إلى نفاد

فقوموا يال خولان بن عمرو ... لحرب ذوى الغواية والتمادي

وثوروا ثورة لابد منها ... بعزم واحتساب واحتشاد

وسيروا في جحافل يقتفيها ... جحافل مثل أثوار الجراد

وصلى الله ما هبت جنوب ... على المختار أحمد خير هادي

قال : فأجابته زبيد وكافة الأديم ومران وبنو ذؤيب وشعب حي وبايعوه ،

---

(١) بنو كليب تقع مساكنهم في وادي جبل المطرق ووادي علاف من بلاد خولان بنواحي صعدة . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٨ ، ٢٢٤ .

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمتين .

وكان عندهم قوم من الشيعة قد بايعوا له وشهدوا له بالإمامة ، ثم إن قوما منهم جعلوا يدورون فى الناس ويثبطونهم عنه ، وكان كراهيتهم له أنهم يستولون على أموال الله في ناحيتهم ، وأرادوا أن لا تكون له يد عليهم . فلما علم بذلك منهم زاد في تحريض الناس ودعائهم وحضهم على الجهاد معه وقال فى ذلك شعرا يقول فيه :

دعوت الملا طرا إلى دين أحمد ... نبى الهدى خير البرية عن يد
لأنصر دين الله فى كل بلدة ... وأظهره فى كل غور ومنجد
وتضحى بلاد الله إن شاء ربنا ... مطهرة عن كل غاو ومفسد
وهذا مقام عادة قد جرت لنا ... بنا يقتدى كل الأنام ويهتدى
ونحن مصابيح الظلام وذادة الأنـ ... ـام عن المرعى الوخيم المنكد
ومازال منا قائم بعد قائم ... يسود الملا فى اليوم والأمس والغد
وسادة خولان السمادع نصرنا ... بصبر وعزم صادق وتجلد
هم نصرونا من قديم وحادث ... وهم عرفوا فرض الجهاد المؤكد
وهم أظهروا الإسلام فى كل بلدة ... وكم فيهم من كل أروع أصيد
لهم فى شبام (١) مفخر شاع ذكره ... بهم تضرب الأمثال فى كل مشهد

---

(١) شبام بكسر الشين اسم مشترك بين أربعة بلدان فى اليمن هى شبام حضر موت وشبام حراز حصن مطل على مناخة أما شبام كوكبان وكانت تسمى شبام أقيان أو شبام حمير . وهى قرية على بعد ٧ كم جنوب مدينة ثلا وتقع ما بين : ٣٢ً ٣٠َ ١٥ْ شمالا ، ١٣ً ٥٤َ ٤٣ْ شرقا . وتقع قرية شبام الغراس على بعد ١٨ كم شمال شرق صنعاء ما بين ٠٥ً ٣١َ ١٥ْ شمالا ، ١٤ً ١٩َ ٤٤ْ شرقا .

الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٣ ص ٤٤١ – ٤٤٢ ؛ خريطة ج .ع.ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ قطعة 1543 B4 ؛ القطعة رقم 1544 A4.

وفي صعدة قاموا بنصر محسن ... ولى الإمام بن الإمام المؤيد

كذلك فى نجران ثم تفردوا ... بنصر ابن زيد الأريحى المجد

وإنى لأرجو أن يكونوا بطانتى ... وأجدر إن قاموا بفرض مشدد

وإن عز نصرى منذ يوم فإنه ... يعز على الإنسان ما لم يعود

فقد ربما يأتى رجال لنصرنا ... ونصرة دين الخالق المتعبد

يجيئون من أرض الشام ليفتحوا ... لنا بالمواضى كل باب مصفد

ورب مشك فى كلامي وماقت ... ومستهزء فى سره متمرد

وعادة خولان المحقين نصرنا ... وما أنا فيما قلته بمفند

فقوموا جميعا وانصروا الحق واصبروا ... فبالبصر يقتاد الصواب بمقود

فقد جاء كم بالله ما كان يرتجى ... من النصر والفتح القريب المسدد

أقول لقوم فى مقامى تحيروا ... ولم يجهلوا فضلى وحلمى ومولدى

أتنتظروا غيرى يجيء من السما ... فيا عجبا من عارف غير مهتدى

فياصيد خولان بن عمرو تأهبوا ... لنصر الهدى واسعوا لعز مخلد

فإن بنى بحر وأبناء جماعة ... كذا شعب حى ناظرون لموعدى

فلا يك يا غلب الرجال جوابكم ... سوى قولكم إدن الركائب واشدد

وصلى إله الناس ماهبت الصبا ... على المصطفى خير الأنام محمد

قال : فلما سمعوا الشعر استنظروا فأنظرهم إلى أن يفرغوا ، وأقام عندهم بحيدان شهر جمادى وجمادى ورجب وشعبان ورمضان وأمر بعمارة هجرة

بوادى حيدان بموضع يقال له الحجفان [١] وعانى [٢] فيها عناء عظيما ، ثم إن الإمام عليه السلام زعزع الناس للمخرج فى شهر شوال فأجابوه إلى ذلك . وأجابوه فى أول ذى القعدة بمائتى ترس وألف رجل حتى بلغ ساقين ، وقال له القوم الذين معه : أرسل لنا للربيعة فإنا لا نطأ بلادهم إلا بهم ولأنَّا لو كاشفناهم لكانوا حدنا ، فنهض إليهم الشريف الأجل أحمد بن يحيى بن يحيى والشريف أحمد بن رحمه والشيخ عبد الله بن المبارك البرجى فوصلوا إلى الربيعة فلم يلتفتوا إليهم ؛ وكان قد بُذل لهم بذل كثير فرجعوا من عندهم . فلم ير الإمام مكاشفتهم فى ذلك الوقت صوابا ، فعزم على أن يتطرق غزوه وينزل وادى صبر ، فلما علم بذلك القوم الذين كانوا معه من خولان أجابوه إلى ذلك ، فلما أن نهض اقتاد إليه رجل من أهل ساقين يقال له على بن أبى الغارات [ ] [٣] معه وكان يريد بذلك نفاعة أهل الحقل وسألوه الانثناء فأنعم لهم بذلك [ ] [٤] من ساقين بعد ثمانية أيام ثم إن ذلك الشيخ على بن أبى الغارات رمى بالمحن فأمحقت زرائعه ومات ولد له ومازال قرين فراشه حتى مات . وتوجه الإمام عليه السلام إلى بلاد بنى بحر وقال فى رجوعه من ساقين شعرهُ الذى يقول فيه وبالله التوفيق:

لا يسأم الدهر ولا يقصر ... يقرعنى دأبا بما أحذر
لو أنه أنصف فى حكمه ... ما أختلف المنذر والمنذر

---

(١) الحجفان قرية من عزلة الغربى وجبل يزيد ناحية حيدان ، قضاء خولان .
التوزيع السكانى فى محافظة صعدة ، ص ٤٣ .
(٢) في الأصل عنى
(٣) بياض فى الأصل بمقدار كلمة .
(٤) بياض فى الأصل بمقدار كلمتين .

يقذف بالخطب سواد الملا ... فيتقى بالأصغر الأكبر
وتلك منه عادة قد جرت ... لم ينج منها المصطفى الأطهر
لكننى عودته عادة ... لا أنثنى عنها ولا أفتر
أصبر للكبار من صرفه ... فى حيث لا يلقى إمرء يصبر
أدفع عن قلبى الأسا بالأسا ... بسلفى الأكبر فالأكبر
صادفت عصرا سره ظاهر [1] ... تضحك من أفعاله الأعصر
له أُهَيلٌ جل أفعالهم ... تكره في الناس وتستنكر
دعوتهم طرا إلى رشدهم ... فأعرضوا عنى واستكبروا
فلم أزل أدعوهم دائبا ... حتى التقانى منهم معشر
وأقسموا لى جهد أيمانهم ... لا أبطنوا فيَّ ولا أظهروا
حتى إذا ثُرناً وخاف العدى ... وابتهج الإخوان واستبشروا
قادوا شيوخا منهم رغبة ... عن طاعة الرحمن واستنظروا
وقد مضت من قبله فعلة ... معى وأخرى وهم أنكروا
ولم أجد فى الوقت لى نصرة ... فى الناس والله الذى ينصر
قليل فى الشدة أعواننا ... لكنها وقت الرخا تكثر
أعجب من قومى وإعراضهم ... لا سمعوا منى ولا أبصروا
[ ] [2] الأمر منا كله واحد ... إن أنجدوا فى الأرض أو أغوروا

---

(١) فى الأصل طاهن . والتصويب من الحدائق الوردية ، جـ ٢ ص ١٢٣ .
(٢) بياض فى الأصل بمقدار كلمة .

[ ] (١) وهو لى مقنع ... ما مثله يُقلا ولا يهجر
فى طاعة الله وغفرانه ... وعزهم طرا ولم يشعروا
قمت بأمر الله دون الملا ... لأننى حقا به أجدر
قرعت بابا مبهما مغلقا ... لايفتح الباب ولايكسر
أرتجه قبلى ذوو عزة ... يورد أحيانا ولا يصدر
فلم أزل أجهد في فتحه ... وليس شىء رمته يعسر
بعزة الله وتوفيقه ... أشكره وهو الذى يشكر
حتى انفتا (٢) الباب وشاع الهدى ... كأنه الصبح إذا أسفر
يعرف ربى صدق قولى وقد ... يعرفه الغُيَّب والحضَّر
وصارم فى شفرتيه الردى ... يعرفنى والرمح والمغفر
وسابغ مستحكم سرده ... كأنه فى حسنه الجعفر
وسابح ذو منعه سابق ... نهد رحيب شجره (٣) مضمر
والخيل والليل وحسن اللقا ... والضيف والمسجد والمنبر
والنظم والنثر وفعل العلا (٤) ... والطرس والأقلام والدفتر
والفضل والمجد معا والوفا ... أرديتى والشرف الأشهر
لم يغشنى ذام ولا ذلَّة ... ولا كلام أبدا معور
لى همة ما مثلها همة ... وعنصر ما مثله عنصر
إن أنا لم أثأر من أعدائنا ... للحق بالسيف فمن يثأر

---

(١) بياض فى الأصل بمقدار كلمة.
(٢) كذا فى الأصل ويبدو أنها ضرورة شعرية .
(٣) شجر الفرس : ما بين أعالى لحييه من معظمها ، والجمع أشجار وشجور .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة شجر .
(٤) فى الأصل العلى .

فسوف أفني معشرا حسّرا   في أرضهم يستحسن المنكر
لهم دروب سوف يعميهم   في وسطها الدخان والعِثْيَرُ [١]
نرفع من هامهم [٢] بيضنا   يستل منها العلق الأحمر
بجحفل من بعده جحفل   وعسكر في إثره [٣] عسكر
لا نبرح الغارات في أرضهم   أهون ما يأتيهم المنسر
حتى يكونوا عبرة للملا   يعرفها السائل والمخبر

قال الراوى : فلما أن وصل الإمام عليه السلام إلى بنى بحر واستدعاهم فأجابوه واستنظروه إلى خروجهم من عيد الأضحى وكان ذلك فى شهر ذى القعدة ففعل ذلك ، وأقام عندهم وأنزل الله عليهم مطرا غزيرا ينهمر جودا شهرين كاملين ليلا ونهارا .

قال الراوى : خبرنى قيس بن موسى أنه وصل إلى الإمام عليه السلام وهو ببلاد بنى بحر فرأى من صبره مالا يصبر عليه أحد إلا هو وآباؤه ، وذلك أنه أقام هذه المدة متغربا عن أهله ووطنه على غاية مايكون من الضرة والضيق والعسرة وقلة الأعوان وبعد الإخوان ، وقد قيل ذلك فيه إنه يؤتم عرسه ويتعب نفسه . وكان فى ذلك الوقت أمسى الإمام عليه السلام فى صفان [٤] عند شيخ يقال له محمد بن صعيب من بنى بحر وكان فى وقت المطر الشديد قد أقام المطر شهرين ما

---

(١) العثير بتسكين الثاء : العجاج الساطع
ابن منصور ، لسان العرب ، مادة : عثر .
(٢) فى الحدائق الوردية هاماتهم .
(٣) فى الأصل ما مثله ولكنها مشطوبة ومعدلة على هذا النحو .
(٤) صفان : وفقا للنص فإنها لبنى بحر من خولان . أما الهمدانى فيذكر أنها من بلاد وادعة .
انظر الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٧٠ .

أضحى . ثم خرج [١] في وقت صلاة الفجر يلتمس الماء ليتوظأ به فلم يجد ماء يطيب نفسه ولا وجد ترابا يتيمم به ، فقعد في موضع يفكر كيف يصنع في الصلاة ، ثم التفت على يمينه فوجد ترابا محمولا مكثويا عن يمينه من غير جنس تراب البلد جافا وتحته الندى ، فدعا أصحابه وأشهدهم عليه ثم تيمم هو وأصحابه يومه ثم عرف أهل البلاد ذلك فبنى موضع التراب مسجدا وهو باق إلى الآن . قال : ثم إن الإمام عليه السلام زعزع [٢] مخرجا من بلاد بني بحر ، وبلغ به تحت عرو [٣] . ثم استقل العسكر أنفسهم وذلك لأجل عسر كان في ذلك الوقت وشدة عظيمة في البلاد ، واستعاد الإمام عليه السلام إلى حيدان فأقام به شهر المحرم وصفر من سنة أربع وثلاثين وخمسمائة [٤] . ثم قام في أمر مخرج وقد وصل إليه الشيخ الأجل العون بن زغبة بمكاتبة من السلطان هشام بن نباته المداني وذلك أنه كان مسافرا باليمن ، فلقيه الشيخ الأجل محمد بن عليان البحيري فبايعه للإمام عليه السلام ، وزاد أيضا بايعه الشيخ العون بن زغبة للإمام بصعدة ؛ وقد كان أهل الحقل سألوه القيام معهم في وجه الإمام فكره ذلك، فلما أن عزم الإمام عليه السلام على المخرج ، وحرك الناس ، فتثاقلوا لأجل ما كان معهم من الفترة والملال من بعد علي بن زيد ، فأقام ضاربا بمضربه بوسط حيدان أربعة أيام . فلما أن رأي العون بن زغبة ملل الناس وبطئهم [٥]

---

(١) في الأصل أخرج .

(٢) زعزع بمعنى حرك .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة زعع .

(٣) عَرو جبل في بلاد همدان بصعدة
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .

(٤) في الأصل وخمسمائة سنة وتم الحذف ليستقيم المعنى .

(٥) في الأصل بطائهم .

وتثاقلهم قال : إني وجدت في كتاب عندى أن صاحب هذا الأمر ينصره الله بوابل من الجراد يبيد المغارب ، وذلك لخلفهم بأيمانهم ، فبيناهم فى هذا الحديث إذ بمثل الغمام من الجراد قد أتى فغشى ذلك الوادى وأكل زرعه وأقام به أربعة أيام ، فلما رأت ذلك زبيد اعتبروا وخرجوا هم وقوم من مران وبنى ذؤيب ، فلما بلغوا وسحة [١] ، وقابل بينهم الإمام عليه السلام وبين شعب حى على المخرج معه وأمن بَيْنَهم . فبيناهم كذلك إذ بلغهم قتل إنسان من أهل وسحة بسبب بعض أهل الفساد ، فافترق الناس فى السوق ووقع بينهم الحرب من صدر النهار إلى أن جنهم الليل . ثم إن الإمام عليه السلام خرج إلى بلاد بنى بحر وأخبرهم بما كان من القوم الذين كان بينهم ، فغضبوا لغضبه وعقدوا له على المخرج ، وأرسل إلى بنى جماعة الشريف الأجل أحمد بن يحيى والعباس بن على وحصين بن صاعد الجماعى وواعدهم إلي صبر ليوم عاشر . وخرج ببنى بحر فى تراس كثيرة ، فلما صار بهم فى عرو ، وصار بنو جماعة فى مجز وعلم بذلك أهل الحقل، فاجتمعوا إلي صعدة وتحالفوا على الخلاف عليه وأنه لا يطأ الحقل . وأرادوا أن يجعلوا مركزهم بصعدة فقال لهم حسين بن محمد الشمرى : إن كنتم تقدرون فالقوه إلى صبر ، فإن منعتموه من صبر فأنتم تمنعونه من صعدة ، وإن لم تقدروا على ذلك لم تقدروا على منعه من صعدة . فتحالفوا على لقائه إلى صبر، وعلى منعه من الحقل ، وركزوا فى أربعة مواضع فى سحامة [٢]وفى المصنعة [٣]

---

(١) وسحة ، قرية من عزلة عزيمة ناحية حيدان ، قضاء خولان .
التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صعدة ، ص ٥١ .

(٢) سُحامة اسم بلد واسم سهل في حقل صعدة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٤٠ ، ح ١ نفس الصفحة ، المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٣١٣ .

(٣) يوجد أكثر من موضع يحمل اسم المصنعة حول صعدة منها قرية من عزلة بني معاذ ناحية =

وفى بلاد بني معاذ [1] وفى صعدة . ثم نزل الإمام عليه السلام ولقيه بنو جماعة في ألف وخمسمائة قوس بوادى صبر ، فشرح على الناس الإيمان وتوبهم وعرفهم مايجهلون من أمر الجهاد وغيره ، وأرسل إلى أهل الحقل رسلا يعرضون عليهم الطاعة والإلتزام بحبل الجماعة وبات ليلته تلك بصبر ، ورجعت إليه رسله بغير كلام مفهوم ، وزاد [أن] [2] أرسل إليهم فأتوا وقد زادوا تواثقا على الحرب والمقاتلة . وقالوا نحن في بلادنا وهم فى غير بلادهم ، والمادة تصلنا والزاد ، وهم لا مادة تصلهم ولا زاد . فلما علم بذلك الإمام عليه السلام عبأ عساكره وصفهم وتأهب للحرب ، وكان القوم فى قريب من مائة وخمسين فارسا ، وخيل الإمام عليه السلام ثمانية عشر فارسا ، فقال لجنده : أما الخيل فكفيتموها وأما أنتم فتسيرون على صفوفكم زحفا إلى عدوكم . وخرج بالخيل التى معه ميمنة ، وأراد أن يشت خيل القوم لأنها كانت فى مكان ضيق بين جبلين . فلما رأوا عزمه عليه السلام على الحرب وشدة بأسه ، أقبلوا إليه مستسلمين ومبايعين له على طاعة الله وطاعته والدخول فى جملته . وكان معهم الشيخ جعفر بن أحمد الشمرى ، فبايعه وأطاع على أهل صعدة ، واختلط العسكران وسار إلى أن دنت الشمس للغروب وهو بالرونة ، فنزل وتيمم وصلى معه قوم كثير كانوا قاطعين للصلاة ، وأظهروا التوبة لله سبحانه والإنابة . وركب وتقدم بمن معه من

= سحار ، وقرية من عزلة بكيل ناحية رازح ، والمصنعة قرية من عزلة مران ناحية حيدان: والمصنعة المعنية يجب أن تكون الأقرب إلي مدينة صعدة أى مصنعة عزلة معاذ .
انظر التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صعدة ، ص ١٨ ، ٣٨ ، ٩٩ ، ١٧٩ .

(١) بنو معاذ عزلة ناحية سحار قضاء صعدة
التعداد السكاني التعاونى لمحافظة صعدة ، ص ١٩ - ٢٠ ؛ التوزيع السكاني في محافظة صعدة ، ص ٩٢ - ٩٤ .

(٢) ما بين الحاصرتين اضافة .

العساكر إلي أن دخل الجبجب [١] ليلا فبات فيه . فلما كان من الغد ، وصل إليه على بن محمد الشمرى فبايعه هو وجماعة معه من أهل صعدة . وبقيت الربيعة لم يطيعوا، وكانوا راكزين عند بني معاذ في زهاء من ألفى رجل . وأراد بنو بحر وبنو جماعة حربهم ، فكره الإمام عليه السلام ذلك من قبل الإعذار إليهم والإنذار . وأرسل إليهم رسلا فقالوا نحن لا نأمن القوم الذين معه ، لأنهم لنا عدو . فسار إليهم الإمام عليه السلام في زهاء من ثلثمائة رجل ممن معه إبلاغا للحجة عليهم، فلما وصلهم بايعوه وأطاعوه بأجمعهم . وعاد بهم إلى الجبجب وبات العسكر بصعدة كله تلك الليلة ، فلما أن كان من الغد شرح المخرج إلى نجران وفسح لأكثر بني بحر وبني جماعة في المراح إلى بلادهم . وكان في ذلك الوقت ظهور نجم من ذوات الذوائب من المشرق ، فأقام ينظر سبع ليال ، وكان يروى أنه من دلائل قيام المنصور بالله عليه السلام وظهوره . قال : ثم إن الإمام عليه السلام خرج متوجها إلى نجران بمن بقى معه من أهل المغرب وبأهل الحقل ، فلما أن بلغ قرية درهم [٢] دخل عليه قوم من الشرفاء والمقدمات وهو في منزل الشيخ الأجل على بن العباس الباقرى ، فأشاروا عليه بالرجوع والتخلف عن ذلك الوجه، وقالوا : إن أهل الحقل بالأمس كانوا مخالفين لك وتتخذهم اليوم جنداً لا نأمن عليك مكرهم ، فقال لهم الإمام عليه السلام هذا منكم رأى ضعيف وأنا أعرف بهم منكم وبغيرهم ألم تسمعوا قول الله عزل وجل ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ

---

(١) الجبجب محلة من قرية زبون من عزلة بنى نويب ، ناحية حيدان . التوزيع السكانى فى محافظة صعدة ، ص ٤٨ .

(٢) درهم قرية على وادى البَطنَة ، كما سيأتى ذكر ذلك .

ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) ﴾ (١) فخرجوا من عنده مستضعفين لرأيه ، وركب وخرج بمن معه وهم زهاء من ألف رجل وخمسين فارسا ، وتقدم حتى أمسى بحظيرة (٢) بنى سابقة (٣) ، وقد لقيه هنالك السلطان هشام بن نباته المدانى والعون بن زغبة فى ثلاثين فارسا من بنى الحارث وهمدان . ثم نهض من الحظيرة فبات بموضع يقال له اللبيدة ، ثم غدا فحط بقابل وادعة وذلك يوم الجمعة فى آخر جمادي الأولى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، فخطب عليه السلام وصلى بالناس صلاة الجمعة بشوكان (٤) ، وأمسى هنالك ، ونهض إلى الأرباط (٥) وقد لقيه جميع من بنجران وسمعوا له وأطاعوا . وكان أحمد بن حميد وابن أخيه حميد بن الهندى قد خربا دربا لبنى عمهما بنى كعب ، ويقال لهم بنو دهى (٦) من بنى معاوية ، وأنهبا متاعا لهم ولجيرانهم ، وطرداهم عن مواضعهم ، وكانوا قد وصلوا إلى الإمام عليه السلام إلى القد وسألوه الانتصار لهم ، فعقد لهم بذلك . وكان أحمد بن حميد من أكثر الناس كراهية لهذا المقام ، فلما علم بوصول الإمام سأله الأمان فأمنه ،

---

(١) سورة فصلت الآية ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) الحظيرة بلدة بأعلى وادى جبونن بنجران .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٦ .

(٣) بنو سابقة ينسبون إلى أنمار بن ناشج من وادعة عمرو بن عامر بن ناشج . وهم من قبائل صعدة وتقع بلادهم على الطريق من صعدة إلى نجران وفى أعلى وادى نجران .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٤ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ .

(٤) شوكان في أعلى وادى نجران .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٤ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٧٣٦ .

(٥) الأرباط من أوطان بنى الحارث بنجران .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٤ .

(٦) بنو دهى من قبائل نجران .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٧٣٥ .

وأرسل إليه بسوطه . وكان قد خرج من [١] دربه من اليتيمة [٢] إلى عند بنى ربيع فلما وصله الأمان لقى الإمام إلى الأرباط وأراد أن يبايعه فشرط عليه النصفة لبتى عمه بنى دهى فرفع يده من البيعة وخرج وقد عقد له الأمان إلي بلوغه مأمنه، فلما ركب فرسه أسقطه الفرس، ولحقه روح بن ربيع وجماعة من همدان فردوه ، فأتى بولدين له صغيرين يقودهما بأرسان [٣] الخيل إلى الإمام فقبل منهم ما جاء وا فيه ونهض وجميع من معه من العسكر حتى دخل مدينة نجران الهجر [٤] ، وعمد إلى السلطان هشام بن نباته بكوكبان [٥] فبات عنده . فلما أن كان من الغد أتى إليه السلطان روح بن ربيع وكافة بنى ربيع فسألوه التحول إليهم ، وقد أعدوا له ولمن معه ضيافة . فنهض إلى عندهم صدر النهار ، فأتوا ليدخلوه دار ابن أبى القاسم بجامعة بنى ربيع ، فجلس على درجة الدار وقال : لا أدخل حتى يدخل جميع من معى ويعيشون [٦] . وظل نهاره ذلك جالسا على الدرجة وهو في لامة حربه إلي آخر النهار حتى عاش جميع من كان معه ، فلما أن طابت نفسه بمعاشهم ، دخل وبات تلك الليلة هنالك . وأصبح فنزل إلى بنى

---

(١) فى الأصل من من .

(٢) لم نستدل على موقع باسم اليتيمة ، وربما كان الموقع المذكور هو اليتمة ، وهو واد من بلد دهمة بنجران .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٨ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٧٣٥ .

(٣) الرسن : الحبل والجمع أرسان .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : رسن .

(٤) الهجر قرية بنجران وقد حلت هذه القرية القديمة موضع الأخدود .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٣ .

(٥) كوكبان موضع بنجران ، وهي غير حصن كوكبان المشهور بالقرب من صنعاء
انظر الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢١٢ ، جـ ٤ نفس الصفحة .

(٦) يعيشون أي يطعمون .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : عيش .

خيثمة [1] بأسفل نجران ، وأقام بنجران إثنى عشر يوما لتثبيت أمور البلاد . وأقام بها القاضى والوالى واستعاد إلي الحقل في أول جمادى الآخرة ، فأقام بالجبجب إلى رمضان فلما كان في آخره أحدث قوم من الحناجر [2] حدثا على قوم من النسور [3] من دهمة . فأرسل الإمام عليه السلام إلى بنى بحر وبنى جماعة وبنى حى ليصل إليه منهم قوم ، وأراد أن يخرجهم إلى المحدثة ورسم عيدهم عنده ، فوصلوا في مائتى رجل . واستنكر أهل الحقل وصولهم فى وجه العيد . فلما كان يوم الفطر ، أرسل لمنبر من مسجد الهادى إلى الحق عليه السلام فأخرج إليه ، وبلغه أن قوما من أهل الحقل جاءوا إلى أهل صعدة ، وقالوا لهم : إن الإمام لم يأمر لهؤلاء الذين عنده إلا وهو يريد المكرة بكم عند اجتماعكم إليه لصلاة العيد . فلما علم بذلك كتب إليهم كتابا ينكر لهم فيه أنه قد بلغه ما قيل لهم ، وخوفا به . وقال إن شئتم أن تحضروا الصلاة فاحضروا ، فو الله لو أمكنتنى الفرصة من كل عدو لى ما أخذته بمكر ولا بغدر ولا حاربته حتى أنبذ إليه على سواء ، إن الله لايحب الخائنين . وإن خفتم فليصل بكم الشيخ الأجل إسحق بن أحمد بن عبد الباعث ، فلما قرؤا كتابة أمنوه واطمأنوا إليه وحضروا بأجمعهم الصلاة معه ، وانقلبوا وقد طابت أنفسهم . ووصل قوم من الحناجر فنادوا إليه والتزموا بما أحدث أصحابهم وفسح للبحريين والجماعيين فراحوا . وبلغ أن قوما من أهل صنعاء يريدون الحج منهم ابن دلال وخافوا أن

---

(١) بنو خيثمة ، وهم فرعان آل شماخ وآل فضالة وأصلهم من قحطان .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) الحناجر من قبائل وادعة وبلد خولان .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٢ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٧٦١.

(٣) النسور بضم النون وتشديدها ، من قبائل دهمة .
الهمدانى ، الاكليل ، جـ ٢ ص ٣٩٥ .

يفعل بهم كما فعل بهم على بن زيد من حبسهم وأخذ ما معهم ، فهموا أن يتطرقوا تهامة [١] فابتدأهم الإمام عليه السلام بكتاب يرسم فيه الأمان لهم واردين وصادرين ، فلما أن وصل إليهم كتابه اطمأنوا وكتبوا إليه كتابا فيه أبيات يقولون في أولها :

وافى الكتاب على أوان توقع   منا لوقت وصوله ووروده

قال : فقدموا إلى صعدة وأتوا إلى الإمام مسلمين عليه وهو بالجبجب ومعهم شيء من المال يريدونه على وجه الهدية فلم يقبله ورده إليهم ، وقال : إنى أريد أن أرتق ما فتقه على بن زيد وأنا لا أقبل منكم هذا لأنه إذا كان الظالم يدارى والإمام العادل يدارى فما الفرق بينهما . قال : فأثنوا عليه ودعوا له بالنصر وقال ابن دلال : هذا والله هو الإمام العادل الذى تطيب نفوسنا بتسليم أموالنا إليه وأرواحنا ليس بمن حبسنا وأخذ أموالنا ظلما . وكان الذى أخذ لهم على بن زيد جميع أموالهم التى كانت معهم واستخلصوا أنفسهم من الحبس بأربعة آلاف دينار أرسلوا لها إلى منازلهم عند ذلك ، قال : وكان عند الإمام عليه السلام يومئذ وفود من أقطار البلاد منهم الشريفان الأجلان القاسم بن إبراهيم وجعفر ابن على بن جعفر وجماعة معهما من بنى القاسم [٢] وكثير من همدان وخولان، فانبسطت ألسنتهم بالدعاء له والثناء عليه ، ثم إنه توجه إلى ناحية المغرب من بلد

---

(١) تهامة هى القسم الواقع بين جبال اليمن والبحر من جهة الغرب والجنوب . ويدخل تحت اسم تهامة نواحى عدن وأبين ولحج وما إلي ذلك من البلاد الواقعة في جنوب اليمن . أما تهامة الغربية فتمتد من باب المندب جنوبا إلى حدود الحجاز شمالا .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) بنو القاسم هم الأشراف أولاد ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم الرسى .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ١٠٣ .

خولان فبلغ ساقين فوقف به عشرة أيام لرد أجوبة مسائل وردت عليه من علماء اليمن وصل بها الشريف الأجل عمران بن أحمد بن عتبة الأبيتى ، ثم تقدم الإمام عليه السلام إلى بلاد بنى بحر فأقام بها ذا القعدة ونصف ذى الحجة ونهض بعسكر كثير فيه أربعمائة ترس وألف فرس وكانت طريقهم على سحامة ، وكان بينهم وبين أهل سحامة فتن وقتل متقدم فخافوهم فصفوا على دربهم بالتراس والعدد ، ووقع بينهم قتال ، فرمى رجلان من بنى جماعة بسهمين فادنقا [١] وعقرت فرس لرجل من بنى مالك ، فلما أن علم بذلك الإمام عليه السلام وحضر إليه بنو جماعة وبنو مالك واستعدوا إليه ، فبحث عمن ابتدأ بالحرب فشهد عنده شهود أن المبتدىء بالحرب بنو جماعة ، فأمر بفرس فقيد إلى بنى مالك عوضا من فرسهم التى عقرت فغضب من ذلك بنو جماعة ، ورجع أكثرهم وبقى منهم قوم قليل ممن لزمهم الدين . فتركهم وتقدم إلى أن أمسى بالبطنة [٢] عند بنى مالك وبات هو بقرية درهم وهو يريد المخرج إلى نجران ، وكانوا قد فتروا وضعفت طاعتهم وهم أضداد لبعضهم بعض . وكان كل قوم منهم يزكى نفسه بالمكاتبة ويدلون على أضدادهم وينسبون إليهم الخلاف ، فأراد أن يطأ نجران بالعساكر وينظر المخالف من المؤالف فلقيه الشريف الأجل عبد الله بن محمد المهول وكان واليه بنجران ومعه ولد بن روح وجماعة من أهل نجران أسفل من رهوان ، وتقدم إلى أن بات ليلته تلك فوق الركب بطريق نجران ثم نهض فبات بقابل وادعة ، ولقيه من الغد السلطان ابن نباته وتقدم إلى أن حط بالأرباط ،

---

(١) دنق الرجل : مات ، وقيل دنق للموت تدنيقا دنا منه .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة دنق .

(٢) البَطِنَةُ بفتح الباء وكسر الطاء وفتح النون ، بلدة وواد فى ظاهر خولان من بلاد صعدة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٤ .

وكان ذلك يوم الجمعة فأقام ذلك اليوم هنالك . ولقيه خبر موت أحمد بن حميد وكان من أشد الناس له كراهة ، ولقيه بنو دهى وقالوا له : قد علمت بوصولنا إليك إلى القد ووعدك لنا بالنصرة والنصفة من حميد بن الهندى في خراب منازلنا وأخذ أموالنا ، وقد كان وعدتنا وعدا فى مخرجك الأول فلما أن غبت مطلونا [١] ولم يفوا بما وعدوا لنا فقال لهم : تقدموا فخربوا الدرب الذى بقرقر [٢] وضو [٣] بجميعهم . وكان قد بلغه وهو فى الأرباط أنهم يطلبون الإخلاف وأنهم مجدون فى الخلاف ، وكان عندهم قوم من بنى مرة من نهد [٤] فى مائة فرس ومائة نجاب [٥] وصاحب أمرهم مسلم بن حجوش المرى فبذلوا له ولأصحابه ألف دينار هَادية [٦] ورسموا لهم على الآبار والنخيل شيئا معروفا على أن يحالفوهم ويحاربوا معهم الإمام عليه السلام فكرهوا ذلك ، وقاموا من مشورتهم فنهبوا تمراً من نخيل كان بقربهم للذين طلبوا منهم الحلف، وقالوا : إنا من أمة محمد ونحن لا نحالفكم على حرب من أطاعته أمة محمد (ﷺ) ، وركبوا خيلهم وركائبهم وأصعدوا فى لقاء الإمام عليه السلام فلقيهم أول عساكره فوق

---

(١) المطل ، التسويف .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة مطل .

(٢) قرقر من أوطان بلحارث بنجران .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٣ ، ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ص ٢٠٩ .

(٣) ربما صحة الكلمة (ضوى) أى انضم أو مال .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : ضوا .

(٤) نهد من قبائل قضاعة .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٥١ ، ٧٨ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٦٥٢

(٥) النجيب من الرجال الكريم وكذلك البعير والفرس اذا كانا كريمين .
الزبيدى تاج العروس ، مادة نجب .

(٦) ربما المقصود من دنانير الإمام الهادى يحيى بن الحسين .

يولس [١] فتبادرت إليهم قوم من خولان وأرادوا أن يرموهم ، وظنوا أنهم لقيوا الحرب فنكسوا الحراب وقالوا إنا طاعة ، فلزموا أيديهم عنهم وأقبلوا جميعا إلى الإمام عليه السلام فسلموا عليه وبايعوه على الطاعة لله وله وسار معهم فى عساكر كثيرة ، وجحافل موفورة ، إلي أن دخل مدينة الهجر بنجران . وكان قد استوهب منه النهديون شر ذلك اليوم ففعل ، ووصل إلى عنده فى الليل جماعة من بنى الحارث وهمدان ومعهم ابن الهندى وسألوه الصفح عن خراب الدرب الذى كان أمر بخرابه ، وإن لم يفعل فلا عذر من ذلك ، فقالوا إنه لايقدر على غرامة ما أتلف ولكنا نرى أن يتوسط بينهم بصلح وهو أن يدفع لهم مائتى دينار أو رهنا بها فأجابهم إلى ذلك . فلما أن أعلموا ابن الهندى بذلك كرهه وقال أنا أدفع المائتين لخولان فلا يصبح منهم بنجران أحد ، وراح إلى موضعه خارجا من الطاعة فقال لأهل دربه لا بأس عليكم فإنى قد كفيتكم الناس . وكان قد أوذن بالخراب ، إلا أنه أراد نكاية أصحابه فلم ينقلوا شيئا من أمتعتهم. فلما أن كان من الغد نهض الإمام عليه السلام بمن معه من العساكر فلقيه المعافى بن حميد وكان خارجا مما دخل فيه ابن أخيه ، فسأل الأمان فأمنه وأعطاه الراية فنصبها على داره ووقف الشيعة على دار المعافى ؛ فلما أن علم بمكيدته الإمام عليه السلام أمر بتحريم القتال والخراب وانقلب راجعا إلى الهجر . وكان قوم من همدان قد أخذوا دوابا لأهل قرقر وعبيدا من قبل أن يصلهم ، فأمر برد جميع ما أخذ فردته همدان جميعه ، فلما أن رأي ذلك أهل نجران ردوا حلمه وعدله عليه السلام عجزا وضعفا، وزهدا فى العسكر وأسمعوهم الأذى ولزموا ما كان فى

---

(١) الكلمة غير منقوطة ، وتم ضبطها من سيرة الهادى .
انظر العباسى ، سيرة الهادى ، ص ٢٣٦ .

أيديهم من حقوق الله ، وكان أعظم ما رأى من خبثهم ومكرهم أن الإمام عليه السلام نزل إلي أسفل نجران إلى بنى خيثمة . فلما أن صار بجنوده فى ساحة بلدهم أقبلوا إليه يهرعون ، ووصل منصور بن الفضل وقد داخله الرعب والجزع العظيم لما رأى من كثرة التراس والخيل والقياس وهو يرتعش فسلم على الإمام ، فلما رأى الإمام منه ذلك رحمه ورق له وسكن روعته وأمر بصائح ينادى فى الناس ويحرم عليهم الإيعاث ومد أيديهم إلي ما ليس لهم من النخيل وغيره. وكان التمر يومئذ رطبا في رءوس النخيل فلزم الناس أيديهم وكفوا عما حرم عليهم . وكانوا قد أنفدوا أزوادهم فظلوا يومهم ذلك يتقلبون من الجوع تحت النخيل والتمر يمسح رؤسهم . فما رأوا أن ينيلوهم منه شيئا حيث أمنوا وأيقنوا بالعدل والحلم فأرسل إليهم الإمام عليه السلام أن يطعموا العسكر من أعشار التمر فقالوا إن أرادوا أن يأخذوا شيئا بأيديهم فيأخذوا ، فأما نحن فلا نفعل ذلك . فخاف أن يأمر بأخذ شيء من الأعشار فيشيع عليه وكان عليه السلام يتباعد عن مواضع التهمة ، فبات تلك الليلة هنالك وانقلب من الغد إلى الهجر ، وكان العسكر قد استضر من الجوع ، وكانت طريقتهم تحت النخيل فربما يرمى المضطر بالحجر النخيل فيسقط من التمر شيء فنهاهم الإمام عن ذلك وقال : اللهم إنى أبرأ إليك من معرة العسكر بحيث ألا يأكله [1] مضطر . فلما رجع إلى الهجر واجتمع إليه أهل نجران وقال لهم : يا أهل نجران إن كنتم رجالا فأطيعوا أو خالفوا ، فإنى لم أجد عندكم أيهما ، فردوا عليه بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، فقال الله المستعان . وتمثل بقول الشاعر :

همة رذلة ورأى سخيف   قل من لا يطيق منك انتصارا

---

(١) فى الأصل ألاكله .

فأقام بنجران أياما ثم ولى بها الولاة ونهض بعساكره راجعا إلي صعدة . وكان يقال إن أهل صعدة لايساعدونه على تسليم الحصن إليه ولايطمئنون [١] بدخوله له . فلما أن رأوا ما كان من عدله بنجران اطمأنوا إليه ورضوا [٢] به . وتقدم بمن كان معه إلى أن حط بدرب ألغز [٣] بصعدة لإثنى عشر يوما باقية من شهر المحرم سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . ثم تحول إلى الجبجب يفد إليه كل يوم وفود العرب من الشام واليمن والمغرب وسار في الناس أحسن سيرة وأمّن السبل وأنصف المظلوم من الظالم وأقام الحدود ولم تأخذه في الله لومة لائم .

قال الراوى : ومما رأيت من شدته على أعداء الله وشدة غضبه لله أن إنسانا شرب الخمر بصعدة فأتى واليه بصعدة لجلده [٤] فتغلب على نفسه وهرب إلى الربيعة وتجور بهم من الجلد وهم أعراب طغام لايعرفون حدود الله فجوروه وعقدوا له أنه لايجلد . ووصلوا به إلى الإمام عليه السلام وشيروه العفو عنه ، فقال لهم لو كان الحد لى لعفوت عنه لكم ولكنه حق الله وأنا لا أرضيكم وأغضب الله ، وبالله لو أغضبت الناس كلهم فى رضا الله ما باليت وأمر به فأخرج إلى ساحة الجبجب ، فجلد ثمانين جلدة وهو يعد على الجلاد ويأمره بشدة الجلد على أعيان الناس ، فغضب لذلك الربيعة وأرادوا أن يحدثوا عليه حدثا فلم يقدروا على ذلك، ولا وجدوا للخلاف عليه قدرة وسقطوا بذلك من أعين الناس . وكان لهم فى الحقل مأكل وهيبة فسقطت هيبتهم فطلبوا بعد ذلك أن يرضى عنهم فلم يرض

---

(١) فى الأصل ولا يطمانيون .

(٢) فى الأصل ورضيوا .

(٣) درب ألغز ، أحد الدروب التى استحدثت بمدينة صعدة فى عهد الدولة الصليحية . مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، جـ ٤ ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٤) فى الأصل بجلده .

عنهم .

قال الراوي: ثم إن الإمام عليه السلام علم بقوم من بني عوير [(١)] من خولان يستعيرون سلاحا وهم يريدون الحرب في أمر إنسان كان قتل بينهم ، فطلع إليهم في جماعة من الأشراف ومن أهل صعدة فأقاد القاتل إلى أولياء المقتول . ونزل من جبل بني عوير [(٢)] إلى أن بات بسهلة المهاذر [(٣)] ، ولقيه رجل من آل الحصين من بني مالك وذكر أنه كان بمكان يقال له النعمة أسفل من صعدة فلم يشعر حتى وصل جماعة من آل مسعود [(٤)] من بني مالك فتخبطوا بالنعمة ورموا إنسانا منهم بسهم ووقع بينهم وبين هذا الحصين حرب . فغضب لذلك الإمام عليه السلام وركب هو ومن معه فلقيه الربيعة وقالوا نحن نريد أن تقف عندنا فإن [(٥)] ترد [(٦)] بني مالك بسوء فبأيدينا ، فكره ذلك فثبت هو ومن معه حتي دخل الجبجب بعد العتمة . فلما كان من الغد أمر بصائح في المدينة بالمخرج يوم السبت وكان

---

(١) بنو عوير من قبائل سحار في بلاد صعدة .
الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٦١٨ ، التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صعدة ، ص ٢٥ .

(٢) جبل بني عوير يقع على مسافة ٢٠ كم تقريباً جنوب مدينة صعدة .
الويسي ، اليمن الكبرى ، ص ١١٤ ؛ خريطة الجمهورية العربية اليمنية ١ : ٥٠٠٠٠٠ قطعة رقم ١ .

(٣) المهاذر عزلة بناحية سحار قضاء صعدة . وأودية المهاذر من الأودية الشرقية في سلسلة جبال خولان .
التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صعدة ، ص ٢٧ ؛ الويسي ، اليمن الكبرى ، ص ١١٥ .

(٤) ولد مسعود من قبائل سحار ، وعزلة ولد مسعود ناحية سحار قضاء صعدة .
الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٧٠٧ ؛ المقحفي ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٦٢١ ؛ التعدد السكاني التعاوني لمحافظة صعدة ، ص ١٢ .

(٥) في الأصل ان .

(٦) في الأصل تريد .

ذلك يوم الجمعة فوصله جماعة من بنى مالك وذكروا له موت شيخهم الحسن بن سليمان وسألوه ذمة يومين ، السبت والأحد إلي أن يفرغوا من عزاء شيخهم فأنعم لهم بذلك ثم وصله بعد ذلك مشايخ آل مسعود فيهم محمد بن أحمد بن الجاهلى فقالوا قد حضرنا فما حكمت علينا فى جنية هؤلاء الصبيان فافعله فإنا سامعون ومطيعون ، فقال لا عذر من تسليمهم إلىَّ حتى أحبسهم بجنيتهم أو أخرب [١] منازلهم فرأوا الخراب أهون عليهم من الحبس ، فقالوا له أرسل معنا من شئت لتخرب منازلهم ، فأرسل معهم قوما من الأشراف وغيرهم فخربوا دربا لهم بالصعيد يقال له درب آل أبين . وكان عليه السلام يعاقب المحدثين تارة فى أجسادهم بالجلد والحبس وتارة بخراب منازلهم على قدر اجتهاده وما يوجبه الشرع . وكان قد خرب منازلا قبل ذلك على المحدثين عليه منها منزلان بصعدة ومنزل بأسل [٢] ودرب بالمحفا ودرب برهوان ودرب بنى معاذ يقال له قنبر ، فلما رأى الناس من شدته فى الضغائن ما رأوا خضعوا له طوعا وكرها وطابت له مخاليف صعدة ونجران وجرت فيهما أقلامه ونفذت فيها أحكامه ، وسمع من كان منتزحا بعدله وحسن سيرته فكاتبه كل من ناحية ، وكان ممّا وصله مكاتبة لأهل صنعاء يستدعونه ويستنهضونه إلى صنعاء وأعمالها . والمكاتب له يومئذ السلطان حاتم بن أحمد بن عمران [٣] والقاضى الأجل أحمد بن عبد السلام بن

---

(١) فى الأصل وأخرب .

(٢) أسَل بفتح الهمزة والسين ، بلد جنوب مدينة صعدة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٠ ، ح٦ نفس الصفحة ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ١ ص ٧٨ .

(٣) حاتم بن أحمد بن حاتم بن عمران بن الفضل .. الهمدانى ، دخل صنعاء وملكها فى صفر سنة ثلاث وثلاثين خمسمائة .
ابن رسول ، طرف الأصحاب ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

أبى يحيى وفى المكاتبة شعر من ولده يحيى بن أحمد يقول فيه :

أإنسان عينى ما تألفت إنسانا فألفيته للقانع الود قنعانا
أخان أخانا خائن من ودادنا فأزأده [1] أم أده [2] الود أم خانا
ترانى برانى بره وهو سائر تعاتب أحيانا وتعتب أحيانا
تلون إذ [3] لا نت لفيه معاجمى تلون حرباء الظهيرة ألوانا
فما باله لم تبل بلواى باله فتيلا بما أبلى ويكنا بما اكتانا
بلى إنه لم يبل بلوى علاقة ولا دين فى دين الهدى بالذى دانا
ولا ريع روعا كى يريع ويرعوى ويرعا وغايات المراعاة ريعانا
ألمّ بأن ينضو عذار اعتذاره وإن ينوانا عن نواى وإيانا
وحاشده لى فيه بحشد لومها كما لام مقروح القريحة فرحانا
ألامت وما لامت وأزرت ومازرت ومانت فمنت منّةً لمنأ مانا
رنويات طرف إذ رنت رانها بذى إرنٍ رانٍ على قلبها رانا
أفيقى فواقا قد حششت على الحشا فنورته غب الإنارة نيرانا
خليلى إن الدهر أعتب عاتبا عليه وأرضى بالرضا عنه غضبانا
كأن لياليه تأدّبن إذ سطا عليها فدانت أحمد بن سليمانا
إمام أمام الجيش منه عزيمة يشين بها من كل شان له شانا
تيقظ للأمر الذى نام دونه رجال أناموه فهو من يقظانا
فأحياه بل أحيى به ميت الهدى وأيقظه مستيقظ العزم وسنانا

---

(١) زأد : فزع .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة زأد .
(٢) الإد والإدة : العجب والأمر الفظيع ، العظيم الداهية .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة أدد .
(٣) فى الأصل إذا .

وأردى شـيـاطـين الـضـلال كـأنـه ... على كل شيطان له كان شيطانا
أمشيخة الإسلام أنضوا ركابكم ... وجدوا زرافات إليه ووحدانا
وحادوا حدود المشركين وهاجروا ... إلى الجوف فرسانا عجالا وركبانا
ولا تهنوا في بغية الخير واصبروا ... وعافوا جنود الغي رجلا وفرسانا
فقد كشفت تلك الدياجير عنكم ... وأصبح سر الحق في الناس إعلانا
بأروع من آل النبي محمد ... يُكَوِّن بين الحق والغي فرقانا
مؤدون حقا قام فيكم فلم يجب ... كأن قد صممتم حين أذن آذانا
فهلا خفافا أو ثقالا نفرتم ... إليه وشيبا للجهاد وشبانا
فأثقلكم سعيا إليه وطاعة ... أخفكم يوم القيامة ميزانا
فشيموا به في الحلم رضوى وثهلانا[١] ... وسيموا تسموا منه في العلم سعدانا
حفيف إذا حامت سحابة حومة ... قهب [٢] بيضا وبيضا ومرانا [٣]
وخيلا كأمثال السعالي واسمها ... كأنياب أغوال ورعفا [٤] وشزيانا [٥]
وإن يستفز الجهل أعلام معشر ... وينيرها برض [٦] المنادين هرمانا [٧]

---

(١) رضوى وثهلان أسماء جبال.

(٢) القهب الجمل العظيم . والقهب من الإبل بعد البازل .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قهب .

(٣) المران : الرماح الصلبة اللدنة .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة مرن .

(٤) رعف الفرس أى سبق وتقدم . الراعف : الفرس الذى يتقدم الخيل .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة رعف .

(٥) الشازب : الضامر .
الزبيدى ، تاج العروس ، مادة شزب .

(٦) البارض : أول ما يظهر من نبت الأرض ، وبرض لى من ماله أى أعطانى شيئا قليلا . برض يبرض خرج قليلا قيلا .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة برض .

(٧) الهُرمان بالضم : العقل والرأى .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة هرم .

فـازمـع أمـيـر المؤمـنـين مـشـمـرا ودع صـعـدة واصـعـد إلـينـا ونجـرانـا
فـعـمـا قـلـيـل يمـلـك الأرض ربـنـا فـيـملأهـا بـالـعـدل ظـهـرا وبـطـنـانـا
ويذبـل عـود الـكـفـر بـعـد اخـضـراره ويـصـبـح عـود الحـق أخـضـر ريـانـا
كـأنـي بـه مـن غـيـر شـك وخـيـلـه تجـول عـلـى دربـي دمـشـق وغـمـدانـا
وقـد حـقـقـت فـيـنـا حـقـائـق حـقـه فـأذعـن أحـزاب الـضـلالـة إذعـانـا
إلـيـك أمـيـر المـؤمـنـين تحـيـة تـهـب هـبـوب الـريـح روحـا وريـحـانـا
كروض الخزامى [1] الغض نوّره الندى فأرضاه توكافا [2] ورشـا [3] وتـهـتانا [4]
وأهـداك مـن أفـنـانـه حـين عـلـهـا نسيم الصبا من صائك [5] الطيب أفنانا
حـيـاتـك لـلـتـقـوى حـيـاة حـيـيـة فـكـن عُمـرا نـوحـا [6] وملكا سليمانا
ليشقى بك الضد الشقى ويسعد الـــســعـيـد المـوالـيـكـم أيـنـمـا كـانـا

قال الراوى : فلما أن وقف الإمام عليه السلام على المكاتبة والنظام وكان الرسول به رجل من أهل صنعاء يقال له أبو الخير بن محمد بن زرنون فكتب معه الأجوبة [ ] [7] الشعر بشعره الذى يقول فيه :

---

(١) الخُزَامَى : عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة طيبة الريح ، لها نور كنور البنفسج.
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة خزم .
(٢) وكف : سال . وسحاب وكوف إذا تسيل قليلا قليلا . وأكف توكف : هطل وقطر .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة وكف .
(٣) الرش : المطر القليل .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة رشش .
(٤) تهتانا : هتنت السماء تهتن هتنا وهتونا وتهتانا : صبت وقيل هو من المطر فوق الهطل ، وقيل الهتان المطر الضعيف الدائم .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة هتن .
(٥) صاك به الطيب : أى لصق به .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة صيك .
(٦) فى الأصل نوح .
(٧) بياض فى الأصل مقدار كلمة .

أنشرٌ سرى ينشي من الروض أفنانا ومسكا وكافورا وروحا وريحانا

أم الجوهر الشفاف أو سلك لؤلؤ تضمن ياقوتا ثمينا وعقيانا

أم العنبر الشّحرى أم طرس ماجد حسيناً ولما أن فضفضناه بستانا

أرق من الماء المعين معانيا وأبهر من نور الغزالة [1] برهانا

حبانا به القاضي الأجل ابن أحمد بن عبد السلام الفذ يحيي وأحيانا

نظام أرانا ماثلا في نديبنا حبيب بن أوس[2]وابن حجر[3]وحسانا [4]

كأن تلالي ما تلى في سطوره لآل تلالا نورها وقت وافنا

وكنا إلى استنشاق نشر نسيمه ورقة معانية ظمآنا فروّانا [5]

كأن أبا الخير زرنون إذ أتى به مهديا أهدى بشارة رضوانا

وأسمع إسماعا وقوى عزائما وشوق مشتاقا ويقظ يقظانا

وكان لما أولاه أهلا لأنه جدير بما أولاه سرا وإعلانا

ومازال سبقا إلى كل غاية من المجد أعلت في المعالي له شانا

وقال اشتياقا منه صلنا مشمرا ودع صعدة واصعد إلينا ونجرانا

وسوف ترى عما قريب جيادنا مجاوزة دربي دمشق وغمدانا

يضيق بها الجو الرحيب ويكتسى سرابيل من نُسج العجاج وقمصانا

تثير حواميها بكل تنوفة [6] دخانا وتورى بالحوافر نيرانا

---

(١) الغزالة : الشمس .
ابن منظور ، لسانت العرب ، مادة غزل .

(٢) أبو تمام .

(٣) امرؤ القيس .

(٤) حسان بم ثابت .

(٥) يوجد تحريف في هذا الشطر وربما كان الأصوب : ورقة ما يعنيه ظمآى فروانا .

(٦) التنوفة : القفر من الأرض وهي المفازة . وهي الأرض المتباعدة الأطراف .
ابن منظور، لسان العرب ، مادة : تنف .

عليها من الأبطال كل متوج ... ترى بين عينيه من السعد عنوانا
شعارهم ذكر النبى محمد ... إذا اعتلقوا بين الخميسين مرانا
تخيل على أجسادهم ورء وسهم ... نجوما ونسج السابرية غُدرانا
نؤم بها أعلام لحج وأبين ... ونرمى بها قصدا شبام وسنحانا
ونجلبها شعث النواصى رواجعا ... تغادى بِنَا شيباً عليها وشبانا
إلى القصر من أرض الحصيب ... شوازبا يثرن به من ثائر النقع ألوانا
ونجعل ما بين الحصيب ومكة ... لجرد المذاكى الأعوجيه ميدانا
فحينئذ يشقى الشقىّ ويسعد الـــــسعيد الموالينا بنا حيثما كانا
فياراكبا إما عرضت فبلغن ... بصنعا تَرِبُ المجد نجل ابن عمرانا
حليف المعالى حاتم الأوحد الذى ... مراتبه تعلو السماك وكيوانا
ومن نرتجى منه مقاما ونصرة ... يذكرنا ما كان من سبق همدانا
بيوم حنين ثم بدر وخيبر ... وصفين بالغارات رجلا وفرسانا
سلامى وإلمامى وأزكى تحيتى ... ومن حل فيها من نزار وقحطانا
وخص به قاضى القضاة فلن يرى ... كأخلاقه إنسان عينى إنسانا
أبا الخير محمود الشمائل أحمدا ... حميد المساعى أرفع الناس بنيانا
غدا واحدا فى المكرمات وفى العلا ... وفى الطب بقراطا وفى الحكم لقمانا
وفى الحلم والآداب قيس بن عاصم ... وفى العلم والابلاغ قسا وسحبانا
وقل لهم يستبشروا بنهوضنا ... إلى اليمن الأقصى وذلك قد آنا
فعما قليل نملأ الأرض كلها ... بتوفيق رب العرش عدلا وإحسانا
ونجمع شمل العدل بعد افتراقه ... وننفى من البلدان جورا وعدوانا
ونترك أحزاب الضلالة والخنا ... هباء ونروى السيف من كل من خانا
ونجعلهم دون الأنام جميعهم ... على من طغى فى الأرض نصرا وأعوانا
وركنا منيعا لا يرام مرامه ... وحصنا حصينا فى الزمان وجيرانا

رجع الحديث قال : ثم إن الإمام عليه السلام نهض من الجبجب إلى المغرب من بلد خولان وتقدم معه على بن محمد الشمرى ويحيى بن محمد النجار والسلطان مسلمة بن الحسن وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين وخمسمائة وجماعة من الشرفاء وغيرهم ، ووصل وسحة [(١)] من بلاد بنى نسر [(٢)] وأتى وبين الأديم وشعب حى حرب عظيمة وقد قتل فيها قريب من ثلاثين رجلا وقد قطعوا الأذمة والصحابة وصار كل منهم ضدا لصاحبه . فلما وصل وسحه وهى وسط بلادهم اجتمعوا إليه وكان ممن تعسر منه الذمام قوم منهم قُتِلَ رجل من خيارهم ، وكانوا غاضبين فى قتله وقبره فى ذلك الموضع ، فأتى حامل الراية فوضعها فوق القبر من غير علم منه ، فظن أهل ذلك القتيل أنه تعمد منه وقصد، فرحبوا بالإمام عليه السلام وبأصحابه وفرحوا بذلك وعقدوا له الذمة على الأمان لعدوهم والخروج معه .

وحضر من الغد جميع أهل وسحة فلقيه جميع زُبيد وبنى شهاب وبنى ذؤيب وفرحوا به وازدادوا ، وطلب منهم الأمان لبعضهم بعض ففعلوا له ذلك وعقدوا على المخرج معه ، وأقام عندهم قريبا من شهر . ثم خرج بهم يريد الجوف وذلك فى جمادى الأولى وجعل طريقه على بلد الجعاشن فنهض من حيدان فبات بأسفل بلد بنى شهاب . قال الراوى : فمن أعضم ما رأيت من توفيق الله له عليه السلام

---

(١) وَسْحَة : بسكون السين المهملة بلدة من أعمال صعدة .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٧٦٧ .

(٢) بنو نسر من قبائل الأهنوم .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ١ ص ٩٧ .
وبنى نسر عزلة ناحية المدان قضاء شهارة محافظة حجة .
التعداد السكانى لمحافظة حجة ، ص ٣٨٩ - ٣٩١ .

أنا قمنا لصلاة الفجر وكان قريبا من غيل جَارٍ وآبار كثيرة وكان الماء الجارى باردا لأن [١] ذلك الوقت الشتاء ، فقال لحامل مشعله اغترف لى فيه من البئر لعله يكون أهون بردا من الغيل فأتى إلى البئر فأدلى مشعله فغرفه ثم جذبه إليه فانقطع الحبل وسقط المشعل فى البئر فأخبر بذلك فقال : لعل ذلك خيرة من الله سبحانه . وقام إلى النهر فطهر لصلاة الفجر وصلى ، فلما فرغ من صلاته سار وسرنا معه إلى أن أطل على البئر التى فيها المشعل فإذا فيها ميتة قد تغير بها الماء فقال الحمد لله لو لم ينقطع الحبل لم أعلم بنجاسة الماء . فعجب من ذلك جميع من حضر . ثم نهض من هناك فبات فى بلد الجعاشن وحصَّل الجيش قريبا من ستمائة رجل فمنهم مائة وثمانون ترسا . ثم نهض فبات بموضع يقال له جلادة من بلاد عذر ثم نهض فبات بموضع يقال له الفقمين فلقيه هناك عذر بأجمعهم وقوم من الأهنوم [٢] فحلفوا له على السمع والطاعة لله سبحانه وله ، ثم نهض فبات فى البقعة [٣] من بلاد حيبتر فلقوه [٤] فى جمع لهم فسمعوا له وأطاعوا. وكان بينهم وبين بنى سلمان [٥] عداوة متقدمة وأرادوا أن ينكوهم بيده ،

---

(١) فى الأصل لئن .

(٢) الأهنوم من قبائل همدان سميت باسم الأهنوم بن الحارث بن حديق .. بن جشم بن حاشج .
الهمدانى ، الاكليل ، جـ٢ ، ص ٣٩٥ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ، ص ٩٧ .

(٣) البقعة قرية من عزلة العمشية ، ناحية حرف سفيان .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ٢ ص ٤٦٨ .

(٤) فى الأصل فلقيوه .

(٥) سلمان من قبائل مراد المذحجية . .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٤٨ .
وبنى سلمان من بنى حى بنجران .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٤ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ٢ ص ٧٣٦ .

فتقدموا معه إلى أن قربوا من عيان [١] ، ولقيه قوم من الشرفاء ومن أهل الحقل ، وكانوا قد تقدموا من صعدة للقائه عليه السلام ومعه الشيخ عمرو بن منيع السلماني وأصحابه . فلما أن رآهم بنو حبيتر هموا أن يعدوا عليهم ويميلوا بالجيش إليهم ففهم الإمام عليه السلام ما عندهم فأمرهم بالإنصراف إلى مواضعهم وقال : تعودون إلينا غدا إن شاء الله تعالى ، ففعلوا ذلك ، وتقدم إلى أن دخل عيان وعمد إلى درب عمرو بن منيع فأتى وقد لزم الباب قوم من بني حبيتر وبني معمر [٢] وبني سلمان خوفا عليه ، ومنعوا الجيش من دخوله لأنه كان قد أخربه حي علي بن زيد، فغضب الإمام من ذلك وقال هذا منك يا عمرو وبأمرك، فأقسم له ما أمر بذلك ولا رضي به ، وهم الجيش بالحرب ، وامتاز [٣] كل إلى ناحيته ، وازدحمت الناس حول الإمام عليه السلام حتى أصابه من كثرة تزاحمهم جرح من سيف لبعض أصحابه في يده اليمنى . فلما رأى عمرو بن منيع غضب الإمام وامتياز الجيش إليه أزاح أصحابه من الباب ، ودنا الإمام عليه السلام وأصحابه للدخول فدخلوا الدرب كرها. وكان في ذلك الدرب بئر قد قل ماؤها حتى إنه ما يكفي أهل ذلك الدرب ، فلما نزل الإمام فيه أعاد الله سبحانه فيها الماء حتى أنه طلع في تلك الليلة قدر قامة الإنسان ، فأقام عليه

---

(١) عيان بكسر العين وفتح الياء قرية من عزلة ديكة ذو مقبل ناحية حرف سفيان ، قضاء خمر ، وعيان بفتح العين وتشديد الياء ، قرية من بلاد حجة .
الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ٣ ص ٦١٨ ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ ٢ ص ٤٦٩ .

(٢) بنو معمر بضم الميم وكسر الميم الثانية لهم بطون في حجة وفي الظاهر من حاشد .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٨ ، ح ٢ نفس الصفحة .

(٣) ماز الرجل إذ انتقل من مكان إلى مكان .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ميز .

السلام بعيان يومين . ثم نهض متوجها إلى الجوف فبات قريبا من الشط [١] . ثم نهض من هناك فبات بموضع الحميدات [٢] . ثم نهض فوصل الجوف ، وقد جمع السلطان جحاف بن ربيع جميع أهل الجوف وعبأ أصحابه عند دربه ، وصفهم صفوفا خيلا ورجلا وركبانا وتراسا ، ثم أتى فسلم على الإمام فى الخيل التى معه ، وكان الإمام عليه السلام قد صف عسكره وأحسن تعبئتهم. فكان أهل التراس بين يديه والقياس عن يمينه وميسرته والخيل من خلفه ، فلما سلم السلطان وخيله سلم الركبان بعده ، ثم ترجل السلطان وخواصه فسلموا عليه صفاحا ، وامتازوا جانبا، وتقدم الإمام عليه السلام بعسكره إلى أن دخل الدرب. وتبعه السلطان ومن معه فأقام آخر اليوم هنالك ، فلما كان من الغد وصل إليه جميع أهل الجوف يحلفون له على السمع والطاعة وتسليم أموال الله تعالى له .

وأقام بالجوف عند أولاده ثلاثة أشهر وفسح لمن كان معه من خولان بالمراح فراحوا ، ولحقه عليه السلام من ذلك الجرح الذى أصابه بعيان عنت فأضر به مدة ، فلما برئ منه عزم على المخرج إلى شوابة . وأمر لخيل من الحقل فوصله جماعة من الأشراف فى خمسة وثلاثين فارسا من بنى مالك وأهل صعدة وجماعة من المجزيين وأهل من الربيعة ، ونهض بهم وبأهل الجوف إلى شوابة ومعه السلطان جحاف بن ربيع فبات تلك الليلة بأعلى الخارد [٣] فى موضع يقال له

---

(١) الشط قرية من عزلة الشط ، ناحية القفلة ، قضاء خمر .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ٢ ص ٤٢٦ .
(٢) الحميدات محل من قرية ذو حنيش عزلة البطنة ناحية القفلة قضاء خمر .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ٢ ص ٤٢٨ .
(٣) الخارد من أكبر أنهار اليمن ، ويسمى غيل الخارد ، منابعه من بلاد أرحب .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٥٥ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ١ ص ٢٠٠ .

الرويس ، وتلك ليلة الأربعاء المسفرة عن يوم الأربعاء ، فلما أصبح الصبح ضرب ريحه ونهض إلى أن بلغ دون شوابة موضعا يقال له الجفحف فاستقام فيه إلى أن تكامل عسكره . ولقيه أهل شوابة وجماعة من الأشراف من بنى حمزة [١] وبنى القاسم وبنى العباس ووكبوا به إلى أن دخل درب شوابة فبات به تلك الليلة، فلما كان اليوم الثانى وصلت ذيبان [٢] فى جميع كثير فحلفوا له على السمع والطاعة وأقام بشوابة خمسة أيام واضطرب جميع أهل اليمن ، وظن أهل صنعاء أنه يتوجه إليهم وكتبهم فى ذلك تختلف إليه يحضونه على التقدم إلى صنعاء من كان بصنعاء من الزيدية . فأما الجندية وسائر الظلمة فاضطربوا منه غاية الاضطراب .

قال الراوى : ثم إن الإمام عليه السلام رد أجوبة أهل اليمن وأمرهم بالصبر والتوقف إلى ما يتأهب للمخرج إليهم بعساكر كثيرة يقمع بها أهل الظلم والفساد. ثم إنه نهض من شوابة بعد خمسة أيام فيمن كان معه من خولان وهمدان ، إلى أن بات ليلته تلك بالخاردة ، فلما صلى صلاة الفجر ضرب ريحه ونهض بعسكره فدخل الجوف فى عسكر كبير الخيل والرجل ، وأقام بالجوف وبات به تلك الليلة وهى آخر ليلة من رجب . فلما أن كان اليوم الثانى نهض بمن كان معه من خولان وجماعة من همدان ونهض معه الشريف الأجل ولده المطهر

---

(١) بنو حمزة ، نسبهم إلى حمزة بن أبى هاشم ، واسمه الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم ترجمان الدين الرسى .. بن الحسن بن على بن أبى طالب .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) ذيبان بفتح الذال وسكون الياء ، قبيل وموطن فى بلاد أرحب .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٥٩ ح٥ نفس الصفحة ، البكرى ، معجم ما استعجم ، حـ١ ص ٦١٩ .

ابن أحمد بن سليمان أدام الله تأييدهما، وأراد السلطان الأجل جحاف بن ربيع النهوض معه فكره ذلك الإمام عليه السلام لأنه كان بينه وبين قوم من أهل البادية مؤاذنة بالحرب ولم يشته الإمام عليه السلام أن يشق عليه فى ذلك الوقت وفسح له فى الوقوف . وسار الإمام عليه السلام بمن معه من عسكره إلى أن بات بمذاب (١) ، فلما صلى الفجر أمر بالريح فضرب وشد العسكر ونهض إلى أن بلغ يقنف فأمر أهل يقنف بقرى عسكره وإكرام خيلهم ، فلما فرغوا من ذلك نهض إلى أن بلغ أعلى الخانق ولقيه جماعة من الأشراف آل الهادى عليه السلام فى قوم كثير من أهل الحقل فسلموا على الإمام عليه السلام ورحبوا به وفرحوا به غاية الفرح واستبشروا بوصوله ووكبوا به إلى أن دخل الجبجب فى مواكب كثيرة ، وأقام بالجبجب وقبائل خولان تصله وتسلم عليه وتجدد له الأيمان والمواثيق فأقام شعبان وعشرين يوما من رمضان .

ذكر المخرج إلى الأبقور (٢) وخراب دربهم

وبلغه أن قوما من الأبقور قد أحدثوا حدثا على بنى مالك . فلما علم بذلك ؛ وذلك أنهم قتلوا رجلين من بنى مالك ظلما ، فعند ذلك أمر بالمخرج باقى ذلك اليوم الذى وقع فيه الحدث ، فخرج فى عسكر كثير إلى بلاد الأبقور فأتى وهم متحصنون بحصن لهم يقال له مطرة (٣) . وهو حصن حصين ليس له إلا طريق

---

(١) مذاب بفتح الميم واد يسقى أرض الجوف وتنفذ مياهه إلى الربع الخالى .
السياغى ، معالم الآثار ، ص ٥٥ ؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٦٠١ .

(٢) الأبقور قبيلة من خولان بن عمرو ، وبلاد الأبقور عزلة من ناحية سحار قضاء صعدة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٩ ؛ التوزيع السكانى فى محافظة صعدة ، ص ٩١ ؛ التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صعدة ، ص ١٥ .

(٣) مطرة بفتح أولة وكسر ثانية بعده مهملة ، بلد بين نهم وأرحب ، وبمطرة أودية عظام تنقلب كلها =

واحدة فركز عليه ، ووقعت الفتنة والحرب ، وقتل رجل من أهل صعدة ، فلما رأى ذلك لبس لامة حربه وترجل معه كثير من أهل الخيل ، وكان قد دخل مع الأبقور قوم من بنى مالك وظنوا أنهم ينفعونهم أو يدفعون عنهم مضرة إما بجاه أو بغيره، فلما رأوا الإمام عليه السلام ترجل خرجوا هاربين وتبرؤا من الأبقور ، وأيقن الأبقور بالهلاك فطلبوا الذمام من الإمام عليه السلام فأعطاهم سوطه ذماما وفسح لهم فى إخراج حريمهم وأطفالهم وأخذ منهم رجلا من مشايخهم رهينة يقال له علی بن عبد الله ، وأنظرهم تلك الليلة وراح بعسكره إلى حضبر [١] فبات تلك الليلة بحضبر ، فلما أن كان اليوم الثانى سار بمن [٢] معه إلى أن خرب ذلك الحصن وأهله قيام ينظرون ، وانثنى راجعا إلى الجبجب فأقام ثلاثة أيام . ووصل رجل من أهل ذلك الحصن يقال له الحريث ومعه الشريف عبد الله بن الناصر فحلف على السمع والطاعة لله وللإمام عليه السلام وأخذ منه ذمة على أصحابه الأبقور إذا وصل بهم متودين فأعطاه ذمة له ولأصحابه ، وسار فأتى بهم إلى الإمام عليه السلام فحلفوا له على السمع والطاعة لله وله وتسليم حقوق الله الواجبة ، وكلفهم ثلاث ديات يسلمونها فى الحدث الذى أحدثوه وفى القتل فالتزموا بذلك وسألوه الفسح فى رد دربهم فلم يفسح لهم فى ذلك إلا بعد

= إلى الخارد .

الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٥٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ؛ الإكليل ، حـ٨ ، ص ١٧٦ ؛ البكرى ، معجم ما استعجم ، حـ ٤ ، ص ١٢٣٩ . أما مطرة المذكورة ، فيتضح من النص أنها من بلاد الأبقور بصعدة .

(١) حضبر بفتح الحاء وسكون الضاض . موضع فى شمال صعدة من بلاد سحار .

الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٣ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ١ ص ٢٦٣ ؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ١٨٩ .

(٢) فى الأصل من .

تسليم هذه الديات . وأقام آخر رمضان وشوال وكل يأتيه ويشكو إليه قوما من دهمة يقال لهم العرانات ويقولون أنهم لزموا السفر وكلفوهم مالا يقدرون عليه ، ثم إنه بلغ إلى بلاد الربيعة [١] فحلفهم وشرح عليهم المخرج إلى هؤلاء القوم المفسدين فأجابوه إلى ذلك وخرجوا معه فى أربعمائة قوس وفى أربعين فارسا منهم ومن الأشراف ، وسار إلى أن بلغ محبطا وإذا بمشايخ العرانات قد وصلوا مع الربيعة منقادين إلى الإمام عليه السلام بالحبال فأمر بإطلاقهم وساروا معه إلى درب يقنف فبات هنالك ، فلما أن كان من الغد اجتمعت إليه مشايخ من الربيعة فيهم الحسين بن القحبش يقصدون لأولئك العرانيين فى النظرة لهم والأمان ، فقال لا أمضى فيهم سؤالا ولا أصفح عنهم إلا بثلاث خصال أولها تسليم ما قد أخذوا من الصحابات من الخولانيين والناس [٢] الذين وصلوا من اليمن وما أخذوا من الحاج . والثانية تسليم حقوق الله الواجبة لله فى أموالهم . والثالثة أمان بلادهم وقطع الصحائب ممن يسترها فالتزموا له بجميع ذلك وحلف له العرانيون بالوفاء بجميع ما رسم عليهم وفسح لهم فى المراح فراحوا يتبعون أموالهم . وكانوا قد شردوا بأموالهم وأغنامهم لما أن علموا بكون المخرج إليهم . وانثنى عليه السلام بعسكره إلى الجبجب وأقام به إلى آخر شوال . وكان قد كثر التخليط بنجران وغيره ، فنزع أيدى ولاته من نجران غضبا على أهل نجران وأمر إليهم بنقض ما بينه وبينهم ، فلما خافوا نكايته وصلوا إليه وهم حزبان ، هشام ابن نباته فى قوم ، وروح [٣] بن زريع فى قوم ، وطلبوا منه عقدا أو ذمة

---

(١) الربيعة من بطون خولان بن عمرو بن قضاعة .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٥١ .
(٢) فى الأصل والناسين .
(٣) فى الأصل نوح .

يروحون بها على أمان بلادهم. وأموالهم ونفوسهم فكره ذلك ، ولم يجبهم إليه ، وراحوا منه على غير عقد ولا ذمام . وعزم على انتقام أهل الفساد لكثرة نفاقهم وظلمهم وشقاقهم . ومن أعظم ما جاهروا به من المعاصى أن مسجداً لبنى ربيع لآل أبى طاهر بالجامعة يصلى فيه جماعة منهم وأصوات المعازف والطنابير والمزامير تتردد في جوانب المسجد، ويتقيأ السكارى الخمر على صُفَّة المسجد، ويختلط الرجال والنساء فى الدور للفسق والشوارع ، فغضب الإمام عليه السلام لذلك غضبا شديدا على أهل المسجد الموضع وعلى من بينهم من أهل الصلاة لأنهم كانوا إذا قابلوه جحدوا ذلك ودافعوا عن الظلمة فقال لهم ويلكم أتخشون الناس ولا تخشون الله وهو عالم ما تخفون وقد قال عز من قائل « إنَ الَذين توَفَاهُمُ المَلائكَةُ ظالمي أنفُسهِمْ قَالُوا فيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفين في الأَرْضِ قالُوا أَلَمْ تكُن أرْضُ اللَه وَاسعَةً فَتُهَاجرُوا فيهَا فَأُوْلَئكَ مَأْوَاهُمْ جهَنَّمُ وَساءَتْ مَصيراً » (١) . وأما هشام بن نباته فهو سامع مطيع ما حول ولا بدل وهم يرون أن نار روح بن زريع خير لهم من جنة هشام بن نباته . وكانوا مع ذلك لكثرة عفو الإمام عليه السلام زاهدين فى أمره ويظنون أنه إنما تركهم عجزا عنهم وضعفا ، وأنه لا يقدر أن ينيلهم سوءا (٢) ، فلما علم ذلك منهم عزم على الإنتقام منهم ، وقال إذ ذاك شعره الذى يقول فيه :

لــو لا مـــآل الأمـــر إن هـــو آلا	لحـســبــت أكـبـر مــا أحــاول آلا
لكـن خلـق اللـه مـن ضـعـف عـلـى	مــهــل تـبــارك ربـنــا وتــعــالــى
واللـــه لـيـس مـشـبـه أفـعـالـه	وفـعـالـه لا يـشـبـه الأفـعـالا

---

(١) سورة النساء ، آية ٩٧ .

(٢) فى الأصل سواء .

خلق ابن آدم أصله من نطفة ... وأحال منه الجسم والأحوالا
فيقيم دهرا ليس ينفع نفسه ... حتى يعجز سالما أحوالا
ماذاك من عجز ولكن حكمة ... يبلوا بها العلماء والعقالا
وهو الذى إن شاء شيئا قال ... فيكون ما قد شاء أما قالا
حاولت أمرا حوّلا مستصعبا ... مر المذاق وما شكوت ملالا
فانسد عنى بابه ثم انفتا ... فأزال عنى كربة وكلالا
وبدا صغيرا شخصه متغيرا ... والبدر أوله يكون هلالا
والله يعلم والبرية أننى ... أحرزت من كرم النفوس خلالا
ولقد كسانى الله من إنعامه ... شرفا غدت أنواره تتلالا
وإذ غزيت من المغاور تارة ... والمرء يلقى اليسر والإقلالا
فمتى كسوت السيف من هام العدى ... علقا [1] كسانى هيبة وجلالا
والسيف لايحيى الهدى إلا به ... ينفى الضلال ويرشد الضلالا
والسيف يغنى المفلسين ويشبع الـ ... ـفرثا ويروى العاطشين زلالا
والسيف ينفع فى الصديق وفى الذى ... عادى ويترك عزمه منهالا
والسيف يسمع من به صمم إذا ... حكمته ويعلم الجهالا
والسيف ينفى لى تحكُّمه الأذى ... ولعزة ويُحَصِّلُ الأموالا
والسيف يجمع لى إذا حكمته ... قوما يفيد معونة ونوالا
حتى إذا أومأت منهم لامرء ... عادى البرية فى هواى ووالا
فلإن تؤخرنى المنية فينة ... إن المنية تقطع الآمالا
لأطهرن الأرض من أوساخها ... ولأعملن صوارمى إعمالا
حتى يعود الحق حقا ظاهرا ... فى كل أرض والضلال ضلالا

---

(١) العلق : الدم .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة علق .

أغفلت قوما نافقوا فتوسموا ... أنى قصدت بغفلتى إهمالا
فلأويمن نساء قوم منهم ... ولأوتمن من العدى أطفالا
ولأطعمن الطير من أجسادهم ... ولأكثرن لجندى الأثقالا
ما خاننى كقويم سوء بدلوا ... دين الإله تنعما وظلالا
إن قوتلوا لم يوجدوا فى موضع ... فيقاتلونى إن طلبت قتالا
أو سولوا لم يسلمونا من أذى ... والله يردى الضد والمغتالا
طعنوا على وثبطوا عنى الملا ... وتحملوا وزرا معا ووبالا
لو سايرونا لن يزيدوا جندنا ... إلا سفاطا بيننا وخبالا
تلقاهم صنفين إما جاهلا ... متشمتا أو عالما مختالا
جعلوا الدفاتر والتعفف حيلة ... والله ليس يؤيد المختالا
لما رأونى للعدو مصارعا ... طعنوا جنانى يمنة وشمالا
فإذا التقيت إليهم لم ألقهم ... إلا وقد قلبوا الجنوب شمالا
إن كان لى ضدان من هذا الورى ... يتربصان معاً بى الأجالا
فلعل إحدى الحسنيين تصيبنى ... وقد انتقمت من الطغاة رجالا

قال : ثم نهض الإمام عليه السلام فى نصف ذى القعدة متوجها إلى بلاد بنى جماعة فأتى والبلاد جديبة ، فكان من توفيق الله سبحانه أنه ما مر ببلد جديب ولا نزل بموضع محيل [1] إلا أنزل الله تعالى على ذلك البلد المطر، وسقاهم الغيث، وأتى وبين بنى جماعة فتن شاملة فأصلح بينهم فاصطلحوا وتوثقوا، وعملوا على هدم الضغائن والإحن ، وترك الشرور والمجن ، إلى أن يبلغوا الإمام

---

(١) المحل : الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلأ وغيره .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة محل .

غرضه ومراده ، ويهينوا أعداءه وأضداده . فأمر لهم بملقى إلى موضع يقال له خلب [١]، فاجتمع إليه بنو سويد والمعاريف [٢] وبنو حذيفة وخريش وآل الربيع [٣] وأجابوه إلى الخروج معه إلى نجران وأسعدوه إلى ذلك ، وفي ذلك الوقت قال شعرا وأنفذ به إلى نجران وهو الذى يقول فيه :

خت البيد ياخوات [٤] غير معرج ... وشمر وأبشر بالفلاح وأدلج

وأمم ذرى كهلان من حل منهم ... بنجران من همدان طرا ومذحج

ومن حل فيه من نزار ذوى العلا ... وأهل السجايا ملتجى كل ملتجى

وأقرهم منى السلام مكررا ... كأنفاس روض مزهر متأرج

وقل ظهر الأمر الذى كان يرتجى ... وأضحى كصبح مسفر متبلج

وسُرَّ أخو العقل الرصين من الملا ... بما كان يرجو في الزمان ويرتجى

ولابد للهم الملم وللشجَى ... وللكرب فى أعقابه من مفرّج

بصرت بأرض الله أضحت خلية ... كزوج مليح أيم [٥] متبرج

---

(١) خلب بضم الخاء واد أعلاه فى بلاد خولان صعدة وأسفله فى تهامة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٩ .

(٢) المعاريف من قبائل بنى جماعة فى بلاد صعدة . والمعاريف عزلة ناحية مجز قضاء جماعة .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٧١١؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٦٣٥ ؛ التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صعدة ، ص ٥٥ ؛ التوزيع السكانى فى محافظة صعدة ، ص ٢١ .

(٣) آلت الرُبيع بضم الراء من قبائل جماعة.
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٣ ص ٤٧٤ .

(٤) الخوات : الرجل الجرىء
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ، خوت .

(٥) الأيامى : الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء .
والأيِّم من النساء التى لا زوج لها بكرا كانت أو ثيبا ، ومن الرجال الذى لا امرأة له .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ، أيم .

فنادى بأعلى الصوت أنى أيم ... فهل فيكم يا ناس من متزوج

فقلت لها إنى أنا الزوج فاعلمى ... فقالت رضى يا أيها الزوج أزعج

أليس بكفؤ من إذا تشاجرت ... خصوم وغاض الرأى لم يتلجلج

وأكرم ببعل بالعفاف مقمص ... وبالحلم والعلم الرصين متوج

تزلزل منى الأرض خوفا وهيبة ... إذا قلت ألجم يا غلام وأسرج

وأى قبيل يلتقينى معارضا ... ويطعن فى عرضى ويكره مخرجى

فأطحنهم طحن الرحا لثفالها [(١)] ... وأتركهم مثل القميص المفرج

ورب قطين يظعنون لخوفنا ... وما تركوا فى الدار غير المشجج

وقد سبقت همدان والسبق عادة ... لهم وهم مفتاح كل مرتج

هم نصرونا من قديم وحادث ... بحد المواضى والوشيج المضرج

وأما بنو حار بن كعب فاسعدوا ... مشورة من ياتى برأى معرج

أتى ابن حميدان أراد خلافنا ... بسبعين هذا رأى من لم يُخَرَّجِ

أيلقى بحارا زاخرات بمجة ... فلا وإن [(٢)] لو جاء بألف مدجج

وقد خضعت غلب الرقاب مخافة ... لنا ونيار الحرب لم تتأجج

فإن يرجعوا نرجع ونعطف بحلمنا ... ولست براض بالكلام المزلج

وماذا عليهم لو أطاعوا وأخلصوا ... ولم يخلطوا العود الزكى بعرفج [(٣)]

وفيهم رجال لست أجهل سبقهم ... يسيرون حقا فى طريقى ومنهجى

---

(١) الثفال : بالكسر ، الجلد الذى يبسط تحت رحى اليد ليقي الطحين من التراب .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ثفل .

(٢) فى الأصل وانى .

(٣) العرفج نبات صيفى سريع الاتقاد ، طيب الريح ، وله ثمرة صفراء ، والإبل والغنم تأكله رطبا ويابسا .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة عرفج .

عليهم سلام الله ما انهل عارض ... بكل ملث مغدق متبعج

وقال بعد ذلك شعره الذى يقول فيه :

أبلغ جميع الكارهين لمنزلى ... أنى إليهم فى الهلال المقبل
فى جحفل من غلب خولان الذرى ... أهل الوفا أكرم به من جحفل
جم العديد كعارض مغدودق ... متراكم يغشى البلاد مجلجل
متقابل من كل فج برقه ... يدع القرى قفرا كأن لم يحلل
إنى أتيت بصخرة عادية ... تأتى لهام ذوى الضلالة من على
بذرى [1] بنى بحر وغلب جماعة ... أيضا وأبناء حى عنهم فاسأل
وبشعب حى والأديم جميعهم ... ورجال مران بطانة من يلى
وبحى مالك والربيعة فضلهم ... معنا قديما ثابت لم يبطل
ولنا بشرق الأرض أنصار وفى ... شاميها جيش كثير القسطل [2]
ولنا يمانى البلاد وغربها ... أقلل بكارهنا هنالك أقلل
تالله لازايلت بالرف[3] البلا ... بتعطف وتلطف وتجمل
حتى أطأ غلب الرقاب من العدى ... الكارهين بمنسمى [4] وبكلكى
وأريهم غب التكبر ذلة ... أيضا وأسقيهم نقيع الحنظل
ماضرهم لو قلدونى أمرهم ... وتوقعوا عدلى معا وتفضلى
ماكنت آخذهم بغير شريعة ... إلا بما هو فى الكتاب المنزل

---

(١) فى الأصل بذرا .
(٢) القسطل : الغبار .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قسطل .
(٣) الرف : الاصلاح .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة رفأ .
(٤) المنسم بكسر السين : طرف الخف والحافر . منسما البعير ظفراه اللذان فى يديه .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة نسم .

وسيذكرون مقالتى ونصيحتى إذا لم أقل للناس ما لم أفعل
ثم الصلاة على النبى وآله الهاشمى الأبطحى المرسل

قال: فلما أن أجابت بنو جماعة الإمام عليه السلام وعقدوا له بالخروج معه إلى حيث أراد ، ضرب عليه السلام مضربه هنالك ، وشرح عليهم أمر المخرج إلى

نجران ، فأنعموا له بذلك وأجابوه إلى ما هنالك وتواثقوا فيما بينهم أنهم لا قبلوا فساد مفسد ولا أخذوا طمعا فى سر ولا علانية من أحد . وكان أهل الفساد من أهل نجران وغيرهم مجتهدين فى كسر مخرجه ببذل الأموال وإفساد الرجال ، فعمل بنو جماعة على اغفال الطمع من صغيرهم وكبيرهم ، وسار الإمام عليه السلام ومعه بنو جماعة وفيهم على بن عمرو وحصين بن صاعد ومحمد بن خالد حتى وصل بوصان وضرب مضربه هنالك بموضع يسمى الساحة ، وأتى وهم مجتمعون للقائه وعندهم قومهم من آل جابر منهم السعر بن أبى الليل ، فاستبشر الكل بوصول الإمام عليه السلام إلى بلادهم وأجابوه إلى ما دعا من استنهاضهم ، وشكوا إليه قلة المطر وسألوه أن يدعو الله لهم يسقى بلادهم ففعل عليه السلام ذلك ، ودعا الله سبحانه فاستجاب له وسقاهم المطر ففرحوا بذلك وعرفوا فضله عليه السلام وبركته ، ثم سار من عندهم بعد أن عقدوا له على المخرج . ووصل موضعا يقال له قطابر وواد يسمى يسنم ، وشق بلاد بنى حى فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وحثهم على الجهاد معه فى سبيل الله فائتمروا [1] بأمره وانتهوا عن نهيه وعقدوا له على المخرج وذلك فى أول شهر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . ثم إنه عليه السلام انثنى من بلاد بنى حى

---

(١) فى الأصل فاتمروا .

إلى صادة فأقام وعيَّد الأضحى وبنوجماعة وغيرهم يفدون إليه . فلما أن كان ثامن العيد أمر بالمخرج وفرق الرسل فى بلاد بنى جماعة فخرج منهم تراس كثيرة وقياس زهاء من ثمان مائة قوس وفى ذلك الوقت قال شعره الذى يقول فيه :

عفوت عن الطغاة وقد قدرت ... فقالوا قد غفلت وما غفلت
وقال العاجزون عجزت عنهم ... فلا [1] والله حقا ما عجزت
ولكنى طلبتهم لحرب ... كما قد يعرفون فما وجدت
وقالوا طاعة فقبلت منهم ... فقالوا لى عجزت لما [2] قبلت
تراهم يجمعون على المعاصى ... وإن أقبلت نحوهم أشتُّوا
وقد طالت مخادعة الأعادى ... وبعد لأخدعن وما خدعت
وسوف أزورهم إن شاء ربى ... بجيش حشوه دهم وكمت
وأبطال بأيديهم قسى ... كأن سهامها نار ونفت [3]
وإن حملوا التراس رأيت قوما ... تحُتّ المفتّسدين ولا تُحَتّ
كمثل بنى جماعة خير قوم ... لهم فى المكرمات يد ونحت
رجال يبعدون عن الدنايا ... يقصر عنهم وصف ونعت
وإن شهدوا الوغى والحرب يوما ... معى قال المخالف تُبْتُ تُبْتُ
ومثل بنى جماعة قد طلبتُ ... لتنجدنى وأرضَهمُ قصدتُ
وقد نصرت بنو بحر وقاموا ... لمخرجنا وما فى الأرض نبت
وجادوا بالنفوس ولم يخيبوا ... بشكرهم لدى الأقوام بُحْتُ

---

(١) فى الأصل لا .

(٢) فى الأصل كما .

(٣) النفت : الغضب ، وشدة الغليان .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة نفت .

ولستم دونهم في كل فعل	فقوموا مسرعين لما طلبت
فكل الناس منتظر إليكم	وليس عقيب هذا النطق صمت
فسوف أنيلكم ظفرا وعزاً	وغُنما لا يعد كما علمت
وتنقلبوا وقد دمرت قوما	وقوما قد قتلت وقد أسرت
وانهبكم معا أموال قوم	وما يحوون فهو ربا [١] وسحت
فكونوا يا جماعة عند ظني	فهذا الأمر سهل إن نهضت
وهاأناذا بأرضكم مقيم	فإن لم يخرجوا قربا حللت
وصلى الله كل صباح يوم	على المختار أحمد ما ذكرت

قال الراوي : وأمر الإمام عليه السلام بإنشاد هذا الشعر فأنشد ، فلما سمعته بنو جماعة هزهم ذلك للنخوة والخروج معه ومعهم بنو حي في ألف قوس ومائتي ترس إلى نجران . وكان بنجران قوم يقال لهم بنو دهي من بني الحارث قد جرت عليهم معرة وقتل وخراب دور من بني عم لهم يقال لهم بنو المحجل ، وكان بنو دهي قد وصلوا إلى الإمام وشكوا إليه ما جرى عليهم قبل هذا فحكم لهم على بني المحجل بحكومة ، وعاقبهم بعقوبة ، ورد بني دهي إلىّ مواضعهم وسكنهم فيها وجورهم . فلما صاروا في مواضعهم وأمنوا بأمان الإمام عليه السلام لهم قُتل رجل منهم بسبب [٢] بني المحجل فامتنعوا عليه ، وتبين معهم في ذلك بنو ربيع وحاربوا الشريف محمد بن يحيى بن يحيى وهو وال بنجران من قبل الإمام . فلما علم الإمام بذلك أمر الوالي والقاضي أن يطلعا من نجران ففعلا ذلك وأبدى الغضب على أهل نجران وتبرى منهم ما خلا هشام بن نباته . وقد كان أخ

---

(١) في الأصل ربى .
(٢) في الأصل لسبب .

المقتول وصل إلى الإمام عليه السلام وهو بالجبجب وأتى بثياب أخية مصبوغة بدمه ، وقال هذه ثياب جارك فافعل فيه ما شئت ، فاشتد الإمام وأقسم بالله لا قبل منهم إلا بتسليم القاتل أو قتل رجالهم ، وأخذ أموالهم ، وخراب ديارهم . فلما أن وصل بهذا العسكر يوم الثلاثاء آخر يوم من ذى الحجة أمر قائدا فى أول الجيش أن يتوجه بهم إلى قرقر [١] ولا يبتدئوا بنى ربيع بحرب ، فتقدم ذلك القائد على ما أمر . فلما عرض الجيش دون بنى ربيع فى شق البرة [٢] متوجها إلى قرقر لقيهم بنو ربيع بالحرب ، فلما رأى ذلك الإمام أوقف فرسه بالبرة وأمر عسكره أن يحاربوا بنى ربيع . وكان قد اجتمع عندهم باليتيمة وأهل قرقر وأحلافهم وتأهبوا للحرب فحاربهم العسكر ذلك النهار وقتل منهم قتل وكثرت الجراحات فيهم وقتل من العسكر رجل خولانى وكان ذلك أول النهار . ثم إن العسكر أتعبهم العطش وأضر بهم فمالوا إلى النخل وشربوا من الماء ، وسار الإمام عليه السلام بعسكره إلى اليتيمة فخربها وحرقها ، وانثنى راجعا بعسكره إلى كوكبان وإذ بالشريف الأجل محمد بن يحيى بن يحيى قد أقبل بعسكر كثير من وائلة ودهمة ، وقد كان أنفذه الإمام عليه السلام إليهم . وخرج الإمام فى لقائهم بمن معه من خولان إلى البرة ، فلما سلم عليه الوائليون والدهميون أمرهم أن يخربوا قرقر ، فساروا من فورهم ذلك فخربوه وأشعلوا فيه النيران وراحوا إليه إلى كوكبان فأمسوا هنالك . فلما أصبح ضرب ريحه ورتب العساكر وجعل لكل منهم جهة يحمد فيها أو يذم ، فكانت همدان مما يلى البرة وخولان مما يلى المدينة ومعهم الإمام عليه السلام فحاربهم ذلك النهار وقتل من بنى ربيع قتل كثير

---

(١) قرقر من أوطان بنى الحارث بنجران .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٣ .

(٢) البرة قرية من قرية الهجر بنجران ، كما سيأتى ذكر ذلك .

ووقعت فيهم صوائب كبيرة وسلب منهم سلاح كثير على باب الجامعة [١] . وكان فيما سلب سيف السلطان روح بن ربيع الذى يسمى الأفعى وهو سيف خطير ، فلما سلب سلاحهم وكثرت فيهم الصوائب والقتل أيقنوا بالهلكة وقذف فى قلوبهم الرعب ، فلما علت الشمس واشتد النهار أمر الإمام عليه السلام صائحا فى العسكر بتحريم الفتنة ، وأمر العسكر بالتقدم إلى اليتيمة لإن يشربوا من الماء ويستظلوا تحت النخل . وكان زغبة بن نباته قد وصل [٢] إلى بنى ربيع فى تلك الليلة وأراد أن يشددهم فكان ذلك عليهم وبالا ، وكان أكثر ما لحقهم من الإنتقام بسببه . ثم إنه لما رأى ما عاينه من القوة والنصر للإمام عليه السلام علم أنه قد أحيط به وأنه لا يخلص من ذلك الموضع ، فما زال يحتال فى الخروج إلى أن جوره الشريف الأجل محمد بن يحيى ورجلان معه من همدان وأخرجوه فى غفلة من العسكر وهو باليتيمة ، ومر شاردا على فرسه . ثم إن الإمام عليه السلام ضرب ريحه ونهض من اليتيمة بعسكره وذلك آخر يوم الأربعاء يريد إلى كوكبان فلما صار بالبرة رأى أهل الجامعة وهم يتساقطون من دربهم ويرمون بأنفسهم بين العسكر فمنهم من نجا ومنهم من قتل ، فلما رأى منهم ذلك رق لهم ورحمهم وأمر إليهم براية على أنهم يتودون إليه ويدخلون تحت أمره ونهيه . فلما صارت الراية عندهم قالوا لا يأمنون إلا بجماعة يرفقونهم من العسكر فأمر إليهم عشرين رجلا من مشايخ خولان وعشرين رجلا من مشايخ همدان وقال انطلقوا إلى هؤلاء القوم فإن يصلوا معكم فإنهم آمنون بأمان الله تعالى وأمانى ، وإن كرهوا ذلك وخرجوا من دربهم فقد برئت منهم وأبحت أموالهم وأهدرت دماءهم

---

(١) الأماكن المذكورة هنا وهى البرة واليتيمة وكوكبان والجامعة من قوى ودروب نجران ولا توجد عنها معلومات أكثر من ذلك .

(٢) فى الأصل وصلوا .

ماخلا من كان عندهم من الشيعة . فسار إليهم أولئك المشايخ مخاطبين لهم فلما وصلوا إليهم وتكلموا معهم بكلام الإمام عليه السلام أنعموا لهم بذلك . فلما جنهم الليل اشتوروا بقتل أولئك المشايخ فلم تبق فيهم طاقة لذلك . فلما عجزوا عن ذلك خرجوا من دربهم هاربين إلى بلاد يام ولم يركنوا إلى ذمة الإمام ولا إلى رفاقة أولئك القوم ،فلما أصبح الصبح طلبهم أولئك المشائخ لإن يصلوا بهم إلى الإمام عليه السلام فأتوا وقد خرجوا من دربهم وليس هنالك أحد منهم . فأمر الإمام عليه السلام بدور جماعة من الشيعة فلزمت وأباح باقى الجامعة لأن أهلها خرجوا محاربين وفيهم سلطانهم وهو روح بن ربيع . فسارت عساكره فنهبوا الجامعة وأمر الشريف الأجل محمد بن يحيى وعبد الله بن المبارك النوحى وجماعة من خاصته أن يلزموا دور الشيعة ويجيروها من العسكر ففعلوا ذلك ومنعوا دور الشيعة . فلما أن كان آخر ذلك النهار نما [١] أن العسكر بالدار إن أخبرت أنها للسلطان روح بن زريع وكانت من أرفع الدور وأعلاها سمكا وكانت فيها جنابذ [٢] كثيرة ؛ وكان هؤلاء العسكر جاهلين للبلاد وقيل لهم إن هؤلاء القوم الذين امتنعوا على تلك الدار وجدوا فيها طمعا . فغشى العسكر تلك الدار من جميع أقطارها فأخذوا ونهبوا جميع ما فيها ، وإن كان لعمرى أهلها غير مباطنين للإمام عليه السلام بل كان باطنهم وظاهرهم مع هؤلاء المخالفين المحاربين فكان سبب ما لحقهم من الإنتقام والنكال سبب عصبيتهم وكونهم مع المخالفين وكونهم معهم . فلما أن غنم ما فى تلك الجامعة وكان قد اجتمع فيها

---

(١) فى الأصل نعى .

(٢) الجنبذة ، بالضم : ما ارتفع من الشئ واستدار كالقبة .
ابن المنظور ، لسان العرب ، مادة جنبذ .

أموال أهل اليتيمة وأهل قرقر وكثير من أموال أهل نجران لأنها كانت تبين أحصن ما في البلاد، فلم يكن أحد نظر أنها تطاق بها لتحصنها وقوة أهلها . وأقام الإمام عليه السلام بعد ذلك خمسة أيام بنجران لتثبيت [١] أمور أهل نجران ووصلت إليه يام من السهل والجبل فحلفوا له على السمع والطاعة وتسليم أموال الله تعالى وكذلك وادعة وشاكر . ووصلته دهمة من برط ومن الفرط ومن الغائط فحلفوا له أيضا ، ووصلته بنو مرة وبنو ظبيان [٢] وجميع قبائل نهد فسمعوا وأطاعوا ، وولى هشام بن نباته على بني الحارث ونصب معه القاضي فأمره بالعدل في الرعية . فلما كان يوم الأحد أمر بالشد وضرب ريحه ونهض بعساكره إلى الأرباط فأقام بالأرباط آخر يوم الأحد ، وبات تلك الليلة بالأرباط وولى على همدان الشريف الأجل محمد بن يحيى لاستيفاء ما عندهم وحض همدان على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ونهض يوم الأثنين متوجها إلى الحقل فوصل إلى بلاد البقرا [٣] عشية الثلاثاء وفرق عسكره في بلادهم وفي أسفل البطنة فأمسى تلك الليلة ببلاد البقرا . فلما كان يوم الأربعاء سار متوجها إلى صعدة فلقيه أهل صعدة في جمع كثير ورحبوا به وبعسكره وأدخلوهم إلى عندهم . ودخل عليه السلام مسجد جده الهادي إلى الحق عليه السلام فزار قبره وقبور أولاده رضي الله عنهم وصلى فيه الظهر والعصر ، وركب بعد صلاة العصر بمن معه إلى درب ألغز فبات به تلك الليلة . فلما أصبح خرج فوقف للناس في ساحة وصبحه الناس زمرا زمرا . فلما فرغوا واستقر بهم المجلس وشرح عليهم الأمر

---

(١) في الأصل بتثبيت .

(٢) ظبيان من قبائل نهد .

الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٨ .

(٣) يتضح بعد ذلك من النص أن بلاد البقرا ناحية مجز ، قضاء جماعة .

بالمعروف والنهى عن المنكر وشد عليهم شدة عظيمة غير الأولى وجدد الإيمان على المشايخ الصعديين على الإئتمار بأمره والانتهاء عن نهيه والدخول تحت طاعته ورسمه ، ثم نهض إلي موضعه بالجبجب فأقام به أياما وقبائل العرب تفد إليه من كل ناحية وهو يؤكد عليهم الأيمان والعهود والمواثيق والعقود .

قال الراوى : وكان فيمن وصله روح بن زريع بن ربيع المدانى بعد أن جرى عليه ما جرى وأظهر التوبة والندم من فعله وقال قد استوجبنا ما جرى علينا بفعلنا ومعصيتنا لربنا وإمامنا، فتلقاه الإمام عليه السلام بالبشر ورق له وألان له جانبه وكساه جبة ديباج ورده إلى موضعه وكان قد أخرب حتى أُلحق بالأرض ، ووصل معه حميد بن الهندى وابن عمه حميد بن أحمد وقد كانت أخربت بلادهم اليتيمة وقرقر مع الجامعة وسكة بنى ربيع ، وقدكانوا عند خروجهم من منازلهم داروا بين همدان وبى الحارث يطلبون من ينفعهم ويمنعهم فلم يجدوا أحدا .

قال الراوى : سمعت السلطان روح بن ربيع يقول : إن قوما من أهل نجران كانوا يعدوننا النفاعة والقيام معنا ويأمروننا بالشدة والخلاف ، فلما أن جرى علينا ما جرى خرجت إليهم فى الليل شاردا خائفا أترقب ومعى درعان لى، فوصلت إليهم رجلا رجلا وسألتهم أن يحفظوا لى الدرعين فما قدر أحد منهم على ذلك ، وقالوا إنا لا نقدر أن نجور ولا نحفظ شيئا لك ولا لغيرك ممن سخط عليهم الإمام عليه السلام . قال فلما لم أجد أحدا يحفظهما لى عنده دفنتهما فى الأرض . قال : فرده الإمام عليه السلام وعطف عليه وأنزل معه مشايخ من بنى جماعة منهم محمد بن التاسع السويدى ، والنعمان بن الأسحم وحضير بن صاعد وجماعة من الأشراف ورسم عليهم ألا يبرحوا حتى يُبنى له ما يسكن فيه، فنزلوا معه ووقفوا حتى أقام داير الدرب ونصب عليه بابا وعاودوا إلى الإمام عليه

السلام ومعهم ولد له وجماعة من أصحابه فشكروه وأثنوا عليه فى عطفه عليهم وإقباله إليهم . ولم يزل عليه السلام شديد الغضب على أعداء الله المخالفين وكثير العطف والرحمة والعفو عن المعترفين الخاطئين كفعل آبائه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين . وكان أخذه لنجران شهر ذى الحجة يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء أول المحرم سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وبلغ أهل الآفاق عفوه عليه السلام بعد العقوبة والقدرة على الأنام ، فرغبهم ذلك فى طاعته ، وكبر مكانه وهيبته ، وكثرت موالاته ومحبته . روى لى من أثق به أنه جرى الكلام بذلك فى مجلس القاضى الأجل أحمد بن عبد السلام بن أبى يحيى بصنعاء ، وفيه جماعة من كبار أهل صنعاء ورؤسائهم ، فقالوا هكذا [1] – والله – يكون الإمام ، وهكذا العدل وسيرة الأحكام ، ولم تزل وفود العرب تفد إليه من كل فج وهو يؤكد عليهم العقود والأيمان والعهود ، وكان مما قاله فى ذلك الوقت شعرا أنفذ به إلى أهل صنعاء يسألهم فيه القيام معه والنصرة له ، وهو الذى يقول فيه :

يهون على الفتى حرب الرجال	ويصعب حرب ربات الحجال
وما فتنت محاربة الغوانى	تمر على الفتى مر الليالى
إذ قربت منازلهن أهدت	إليه الحتف فى زرق النصال
وإن بعدت وشط الوصل منها	فقرب الموت فى بعد الوصال
وقائلة تقول بغير علم	مؤنقة [2] حلمت عن القتال
إلى كم ذا ترقب بالأعادى	ولست بعاجز فى كل حال
وكم من فرصة من كل ضد	بدت لك فاسترحت إلى الظلال

---

(١) فى الأصل هكذى .

(٢) مؤنقة : معجبة .

ابن منظور ، لسان العرب ، مادة أنق .

فقلت ومن له جد كجدى ... ينبئنى ومن كأبى وخالى

ولى عزم وحزم واصطبار ... وقولى قد تصدقه فعالى

وحسبك فى المفاخر أن جدى ... رسول جاء كم من ذى الجلال

ورثنا المجد من جد فجد ... ببيض الهند والأسل الطوال

فنوردها مسلمة صحاحا ... ونصدرها محطمة الأعالى

ونبذل للعدى مهجا عزازا ... كراما عند مشتجر العوالى

ونحقرها وإن كانت علينا ... رخاصا وهى عندهم غوالى

ونبذل وفرنا فى كل وقت ... ونعطى باليمين وبالشمال

ونرشد من أتى للعلم علما ... ونقنع من يعنت فى السؤال

فبلغ يابن زرنون [1] سلامى ... إلى أهل المفاخر والمعالى

ذوى الإحسان والإيمان قدما ... وأهل الصبر فى كل الخصال

بأرض خطها سام بن نوح ... لأهل الفضل من أبنا أزال [2]

هم نصروا مشايخنا قديما ... وجادوا بالنفوس وبالنوال

وهم أولى بنصرى من سواهم ... لما قد قيل فى الحقب الخوالى

إذ ظهر الكنوز بطالقان ... وجاء النصر من كنفى أزال

وهذا وقت ما قد قيل حقا ... وهم أهل لذاك بلا محال

وواليهم أبو طى المرجا ... بن عمران المقدم خير وال

يساعدنا إلى ما نشتهيه ... فيسعده ويسعد من نوالى

وقاضيهم أبو الخير الذى قد ... تسربل بالوقار وبالكمال

---

(١) فى الأصل زربوت .

(٢) أزال هو الاسم القديم لمدينة صنعاء ، سميت باسم أزال بن يقطن ، وكان أول من بناها . ولكنها سميت باسم إبنه صنعاء لأنه ملكها بعده .

الهمدانى ، صفة جزير العرب ، ص ١٠٢ ، الإكليل ، جـ ٨ ص ١٩٣ ؛ الحجرى ، معجم البلدان والقبائل ، جـ ١ ص ٩٦ .

فيا أهل السرار [١] ذوى الأيادى ويا أهل القطيع [٢] ومن يوالى

دعوتكم على بعد وشحط [٣] لنصر الحق والدين المذال

أجيبوا دعوة الداعى بنصح أمدونى بجيش أو بمال

فأنتم موسعون بلا اعتذار من الأبطال والمال الحلال

وأنتم أهل عزم واصطبار إذا نسب الضعيف إلى الملال

وظنى فيكم حسن فكونوا كما أملت فى كل الخلال

وصلى الله كل صباح يوم على هادى الأنام من الضلال

قال : وكان ممن وصل فى تلك المدة إليه مشايخ من جنب بن سعد من أهل راحة [٤] وما يليها ، وذكروا له أمر رجل من عنز [٥] يقال لع عرفطة بن الطحل أنه

---

(١) السرار اسم لعدد من القرى باليمن منها قرية من عزلة بنى موهب ناحية السودة ، والسرار قرية من عزلة شعب وهزم ناحية أرحب ، والسرار قرية من عزلة جبل اللوز ناحية خولان الطيال والسرار قرية فى ناحية بنى حشيش ، والسرار قرية بالقرب من حوث . والسرار قرية فى ناحية باقم بصعدة .

انظر : التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، جـ ١، ص ٤٦ ، ٩٢ ، ١٤٣ ، التوزيع السكانى فى محافظة صنعاء ، جـ ٢ ص ٢٩٨ ؛ التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صعدة ، ص ٤٠ ؛ خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، القطعة 1643 D 4.

(٢) القطيع بفتح القاف وكسر الطاء حارة بصنعاء فى الجانب الشرقى ، والقطيع بضم القاف قرية من بلاد العبسية فى تهامة .

الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٦٥٦ .

القطيع كما سيرد فى النص بعد ذلك موضع بالقرب من الجبجب ، ناحية حيدان من نواحى صعدة .

(٣) الشحط : البعد .

ابن منظور ، لسان العرب ، مادة شحط .

(٤) راحة من ديار جنب .

الهمدانى ، صفة جزيزة العرب ، ص ٢٢٧ .

(٥) عَنْز بفتح العين وسكون النون من قبائل جنب فى شمال صعدة .

الهمدانى ، صفة جزيزة العرب ، ص ١٣٠ ؛ ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ١٢٢ .

قطع طريق الحاج إلى بيت الله الحرام ، وسألوه المخرج إليه ففعل ذلك . ونهض بقوم من خولان أهل خيل وتراس وقياس إلى أن بلغ جانبا من العرض من بلاد بني حي، ثم بلغه أن قوما من يرسم قتلوا رجلا من بني حمزة وهربوا [إلى] [١] بلاد الربيعة ، وكان معه جماعة من الفريقين فاستأذنوه للرجوع فأذن لهم . وأمر بخراب منازل أهل الخطأ من يرسم ، ثم علم بعد ذلك أن الذين أمروهم بخراب المنازل من بني مالك ربما أن يأخذوا الجاني وغير الجاني ، ويبلغوا منهم بذلك غرضا لعلة الأمر فانثنى عن مخرجه لأجل ذلك . وعاد إلى الحقل فأتى وقد وقع بين بني مالك وأهل صعدة فتنة فأصلح بينهم ، وأتى وقد خربت منازل المخطئين فأقام بالجبجب أياما ، ووفد إليه محمد بن منصور بن عبد رب وجماعة من أصحابه ومشايخ من خثعم [٢] منهم مزروع بن زياد فَهَمَّ بالمخرج معهم إلى بلاد عنز ، وعلمت بذلك خولان فوصلوا إليه وسألوه التوقف لاشتغالهم ذلك الوقت بالزرائع وغيرها إلى أن يفرغوا ففعل ذلك . ثم إنه تقدم في شهر صفر إلى المغرب من بلاد خولان فبلغ بني بحر وغيرهم ، وتقدم إلى الأبقور ووصل جبل ألغز يدعو الناس إلى الجهاد في سبيل الله ، ويحضهم على المخرج معه إلى الشام ، وكان حريصا على المخرج إلى بلاد عنز ، وقد كان عقد بذلك للجنبيين والخثعميين ، وقال في ذلك الوقت شعرا يؤنب فيه قبائل خولان ويحضهم على المخرج معه وهو :

دعوت الملا طرا إلى خير الأديان ... ونـاديت جـهرا فـي نـزار وقـحـطـان

---

(١) ما بين الحاصرتين اضافة .

(٢) خثعم من قبائل اليمن ، وهم ولد خثعم بن أنما . وتقع مساكنهم في جبال السراة من عسير . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٣٠ - ١٣١ ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ٢ ص ٣٠٤ .

وقلبتهم تقليب طب مجرب ... ولم آل فى نصح لهم منذ أزمان

فلم ألق فيهم مثل خولان عن يد ... بناة العلا قدما فأكرم بخولان

هم نصرونا من قديم وحادث ... وهم كُتبوا فى الصدر من كل ديوان

وهم نصروا الهادى إلى الحق والدى ... وأولاده قدما بنصح وإيمان

وهم عرفوا بالدين والحج قادما ... وليس لديهم فاعلمن خُلّف أيمان

قصدتهم فى الجدب والخصب فانتحوا ... ولم يلههم شغل ولا خلُف أزمان

أتيت بنى بحر فقاموا وخرّجُوا ... إلى الجوف حتى عدت من أرض نشان

وعدت إلى أبنا جماعة داعيا ... وقد نكثت بالعقد سكان نجران

وقد خالفوا [ ] [1] من إظهار طاعة ... وفيهم طغاة أهل فسق وطغيان

فقالت ذوو الإحسان أبنا جُماعة ... أجبناك فارم اليوم أصعب الأقران

فيممت قوما فى حصون منيعة ... ولو أحصنوا لم يسلموا أى أحصان

فأعطيت نصر الله ثم قهرتهم ... وغيبت منهم فى الثرى كل خوان

وخربت أسواقا لهم وصياصيا ... وأغنيت من أموالهم جل أعوانى

وأبت ووافانى مشايخ خثعم ... وجنب بناة المكرمات وسنحان [2]

وقالوا نخرج نحو عنز فإنهم ... أحق الملا بالخِزى فى كل الأحيان

وهم قطعوا الحجاج من بيت ربنا ... وفيهم طغاة أهل فسق وعصيان

فحينئذ زعزعت كلهم معا ... وناديتهم جهرا وأنجاد كهلان

وجئت إلى الأبقور أطلب نصرة ... وليسوا قليلا بل هم اليوم ألفان

وهم جد خولان وليس فعالهم ... غبيا وهم فى البعد أنصح الإخوان

---

(١) بياض فى الأصل .

(٢) سنحان اسم مشترك لبعض القبائل باليمن . فهناك سنحان التى تنسب إلى قبائل جنب المذحجية، وسنحان التى تنسب إلى قبائل القضاعيين .

ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٤٨ ، ٥١ ، ٦٥ ، ١٢٢ ؛ كحالة ، معجم قبائل العرب ، جـ ٢ ص ٥٥٨ .

فأكرم بهم فى الناس أبنا منبه ... وأبنا سنيف من شيوخ وشبان

وأبناء عباد وأبنا حارث ... نوى الجود والإحسان فى رأس جازان

وقد صحبتنى [ ] (١) هم آل جابر ... وهم أهل سرى فى الأنام وإعلاني

فلله هم من معشر ليس مثلهم ... وخلان صدق لا يقاس بخلان

لهم معنا صبر وسبق وهمة ... جميعا وسلطان على كل سلطان

قال : فلما أن سمعوه أجابوا الإمام عليه السلام إلى ما دعاهم إليه ، وعاد إلى حيدان وبلاد مران فذكرهم بما كان من عقودهم ، وسألهم المخرج معه فأجابوه إلى ذلك . فلما أن علم أهل الحقل بإجابة الناس له علموا أنه سيظهر عليهم وينيلهم السوء بأفعالهم ، وخشوا [١] عواقب ذلك فسعوا فى تعويق مخرجه، وأتوا إلى رجل من أهل مجز من بنى حي يقال له محمد بن القمى وقد وصل من اليمن بشئ قد جمعه فأمروه بالخلاف ، ووعدوه بالمعونة بالنفوس والأموال ، وكان قد راسمه قوم من أهل اليمن على ذلك من أهل الفساد منهم ، فعمد عند ذلك إلى قطار [٢] آت من نجران بأحمال كثيرة من عطب [٣] وتمر بعضه من صدقات نجران وبعضه لتجار من أهل صعدة ونجران فنهبه ، وعقر أربعا من الإبل ، وقتل رجلا من الحناجر ، وقُتِل رجل من أصحابه ، وكانوا يزيدون على المائة بغير من حضر معهم من البقرا ، وكان ذلك من أسفل بلاد البقرا من الحذا . فلما علم بذلك الإمام عليه السلام وهو بحيدان حركهم على المخرج معه ، وكانوا هم وكافة

---

(١) فى الأصل وخشيوا .

(٢) فى الأصل بقطار . والقطار أن تشد الابل على نسق واحد خلف واحد . قطار الابل .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قطر .

(٣) العَطَبُ لين القطن والصوف .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة عطب .

خولان قد غاروا من بنى جماعة وحسدوهم على ما كان من فعلهم بنجران ، فقالوا له : إنا قد خرجنا معك مخارج كثيرة فلزمت على أيدينا وأطلقت أيدى بنى جماعة فى مخرج نجران ، فخرج من عندهم غضبانا عليهم ، وسار معه منهم رجلان يقال لهما محمد بن الحربى ومحمد بن جابر فقال لهما أصحابهما : إلى أين تريدان والعدو مصبح لنا غدا ، فاستأذناه فى الوقوف فأذن لهما . وسار فلقيه بعض عدوهم ، وهم الذين قالوا هم لهم مصبحون بالحرب ، فسألهم عن ذلك فقالوا ليس لذلك حقيقة ، ثم لحقه أحد الرجلين فقال : إنهم أرادوا بذلك الكلام أن يلزمونا عن المسير معك فاشتد غضبه عليهم وقال : قد تمنوا الفتن فالله يوقع بأسهم بينهم ويعيضنا بهم خيرا منهم ، فاستجاب الله له ذلك الدعاء ووقعت بينهم الحرب ، فبلغ بينهم القتل إلى ثلاثين رجلا وما عرف بينهم ذمام مدة طويلة. وسار على حالته تلك حتى هو بأعلى وادى زبيد إذ هو بجماعة مقبلين من مشايخ بنى جماعة فيهم النعمان بن الأسحم ، وحضير بن صاعد والسعر بن أبى الليل والعباس بن على فأخبرهم بخبره فقالوا له : نحن يا مولانا عوض لك منهم ومن غيرهم من كل قريب وبعيد ، وتالله لنبذلن معك نفوسنا وأموالنا ولا تأخذنا فى الله لومة لائم . وساروا معه إلى أن بلغ بلاد بنى بحر فاجتمعوا إليه ، وسألهم المخرج لابن القدمى فأجابوه إلي ذلك ، وتحملوا بحربه ونكاله دون غيرهم من خولان ، وسألوا الإمام عليه السلام التقدم معهم إلى بلادهم ففعل ذلك ، وخرج من عندهم مخرجا كبيرا كثير القياس والتراس . فلما أن وصل بعسكره مجزاً عبأ عسكره للحرب ، وكان ابن القدمى فى درب حصين وزاد حصنه ، وحفر فى خندقه مما نهب . فلما أن عزم الإمام على حربه - وقد كان ذلك قرب الليل - سأله مشايخ عسكره الإمساك عن الحرب آخر ذلك النهار ففعل ذلك ؛ وبات قوم يتوسطون بينه وبين ابن القدمى فى الصلاح والخطاب فى شئ يرضيه فقال :

والله ما يرضينى أن أفعل إلا ما أمر الله أن يفعل بمثله ، وهو قوله تبارك وتعالى « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ »[١] . فقالوا له : الأمر أمرك إلا أنه فى درب حصين ، وحربه يشغلك عن مخرجك الذى تريده إلى الشام ، وقد رأينا أن نأتى إليك به . فقال : إن كنتم تأتون به إلىَّ أنفذ فيه أحكام الله سبحانه فافعلوا . ولم يكن ليأتى معهم ؛ فانقلبوا إليه فلما كان من الغد وصلوا بأخ له يقال له الحسن بن القدمى وبأربعة معه وقالوا : دونك هؤلاء فقيدهم واحبسهم ، فأما محمد بن القدمى فإنه هرب فى الليل وقدم فى مخرجك . فما لبث أن ضرب القيود فى أرجلهم ، وعلم إذ ذاك أن ابن القدمى لم يخرج من الدرب وأنه اختفى. وسمع الإمام عليه السلام بعض أولئك يقول ويقسم لكان قتل عشرة منا أهون علينا من هذا القيد . فغضب الإمام وقال : أتستكثرون هذا القيد ولو أفنيتكم عن آخركم ما شفى لى بعض ما معى من الغضب لله سبحانه ، وأمر بهم ففكت القيود منهم ، وعزم على أن يستعيض أمره فيهم . وأمر ابن القدمى أن ينصرف إلى أخيه ، فالتوى بالناس وقال : يقيدنى ويفعل فىَّ ما يشاء ولا أبرح عنه . وكان أهل الحقل قد وصلوا فى جمع كثير وبينهم وبين ابن القدمى مباطنة على أنهم يغدرون بالإمام ومن معه ، ولا علم له بذلك .

روى لى الإمام عليه السلام أنه حدث معه وجع فى رأسه وصداع فى تلك الساعة يكاد أن يصرعه من فرسه ، فهم أن ينزل عن الفرس فخاف مكر أهل الحقل وأهل مجز ، فأمر بصائح فى الناس فاجتمعوا وأعلمهم بما كان من أمره، وأمرهم بالمخرج إلى الشام وأنه قد أمر بالحسن بن القدمى وأصحابه إلى

---

(١) سورة المائدة ، آية ٣٣ .

الحبس ، وأذن لبنى جماعة اليمانيين فى الانقلاب إلى بلادهم والتأهب للمخرج واللحوق به ففعلوا ذلك . وتقدم إلى شامى بنى جماعة ومعه من وادى آل جابر أربعون رجلا ، فلما توراى من مجز نزل عن فرسه ونزع لامة حربه عن جسده ليريح على نفسه من شدة مابه من الوجع ، فعند ذلك وصل أهل الحقل فى الخيل والرجال إلى ابن القدمي وقالوا : إن الفرصة قد أمكنت من الأمير وقد تفرق عسكره عنه ، ولم يبق إلا فى أربعين رجلا ، فحملوا فى أثره بأجمعهم وفيهم زهاء من ثمانين فارسا ، فلما أن قربوا وأحس بهم حصانه وجعل يلغبه ويعبئ أصحابه للقتال وزال ذلك الوجع عنه . فلما رأوه وقد تثبت لهم هو وأصحابه وهم معروفون بالصبر والشجاعة والبصر بالحرب والنقف [١] فى الرمى ، وعلموا أيضا أنه لا يتم لهم فيه ما أرادوا إلا فى عدة فوقفوا عند ذلك وأمسكوا .

وقد كان وقعت بينهم مراماة ، وعلم بذلك بنو جماعة اليمن ، ونظر فيهم وهم فوق جبل أعلى من مجز فصرخ بعضهم فبانوا [ ] [٢] له وهو واقف هو وأصحابه وغضبوا غضبا شديدا وقالوا : قد اجتهدنا فى إغفال الحرب على ابن القدمي بمخرجك إلى الشام ، والآن فلا عذر لنا من حربه ونكاله والقيام عليه لما كان من فعلته هذه ، فغدوا للإنقلاب إليه ، والمركز لخامس [٣] ذلك النهار . وتقدم الإمام عليه السلام إلى يسنم [٤] وبلغت بنو جماعة إلى بلادهم ، وتأهبوا وانقلبوا

---

(١) النقف كسر الهامة عن الدماغ ، والنقف الضرب على الرأس .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة نقف .

(٢) بياض فى الأصل مقدار كلمة ولا يوجد خلل فى المعنى .

(٣) كذا فى الأصل و المعنى غير واضح .

(٤) يسنم عزلة ناحية باقم قضاء جماعة محافظة صعدة .
التوزيع السكانى فى محافظة صعدة ، ص ٣٢ .

قبل الميعاد ، وأتوا كالأسود الضارية وقد صرخ ابن القدمي بمن كان قد باطنه على الفساد والخلاف من بني مالك وغيرهم فاجتمع معه ثمانمائة قوس وثمانون ترسا ومائة فارس ، فحاربوهم ذلك اليوم وهو يوم الخميس من شهر جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وخمسمائة فكثرت الجراحات في هؤلاء وهؤلاء . ووصل العلم إلى الإمام عليه السلام وهو ببيسنم فما تماسك عن المسير إليهم فرقا [١] على أصحابه من كثرة الجموع لقلتهم وقلة عُددهم ، ولكون أولئك في بلادهم ومواردهم غير منقطعة ، ولكن حزب الله هم الغالبون . وكان الذي أتى إلى الإمام بخبرهم صنوه لأمه حميدان بن القاسم بن الحسن .

قال الراوي : أخبرني الشريف الأجل حميدان بن القاسم أنه كان ذلك النهار مع بني جماعة اليمن ، فلما أشرفوا على مجز من الجبل نظروا وإذ بذلك السهل يموج خيلا ورجلا وقياسا وتراسا فقال في نفسه : إن هؤلاء لا يطأون السهل وإن أوطؤوه مزقتهم هذه الخيل ، فرآهم وهم ينزلون زمرازمرا لا يرجع منهم أحد إلى الجبل ، فعلم أن الخيل تمزقهم كل ممزق فنزل معهم وهو خائف عليهم مما رأى من تلك الجموع . فلما التقى الجيشان إذ بقوم من مشايخ بني مالك قد أقبلوا مقتادين إليهم يهبوا لهم حرب ذلك النهار ؛ وإنما كان ذلك منهم مكيدة وخدعة ، وعلموا أنهم لايطيقونهم في حال الحرب . وأرادوا أن يقفوا ويطمئنوا فإذا غفلوا أحدقوا عليهم بالخيل والرجل من كل جانب . وقد كان أسعدهم مشايخ من بني جماعة وانخدعوا فأتى حضير بن صاعد فتكلم على أصحابه وقال : إن القوم يريدون أن يخدعوهم وصرخ ببني جماعة – وأوقع الناس في الناس – فلقد

---

(١) الفَرَقُ ، الخوف ، وفرق عليه : فزع وأشفق .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة فرق .

رأيتهم يشمرونهم [ ] [١] عن مواضعهم حتى فرقوا بين الخيل والرجل ، فما زاد بعضهم ينفع بعضا ولقد رأيتهم يطردون الخيل فى السهل وليس معهم من الخيل شئ . قال : فلما علم بذلك الإمام عليه السلام خرج من ساعته ولم ينتظر أحدا من أهل الشام خوفا على أصحابه وشوقا إليهم ، وهو مع ذلك يدعو لهم بالظفر والسلامة والنصر ، ولأعدائهم بالخذلان . ومر على آل جابر برغافة [٢] والمدثاة فأخذهم معه ، ولقيه جماعة من أهل قطابر فسار بهم إلى أن وصل مجزاً وكان وصوله يوم الجمعة ، فلما أشرف على مجز نظر وإذا بأصحابه مقابلين للقوم بالحرب ، فلما أن رأوه اشتدوا به واستظهروا على عدوه وعدوهم بالحرب ، وقذف الله فى قلوب أهل الفساد الرعب لما أن عاينوه فقال له بعض أصحابه : لعلنا أن نمسك عن الحرب آخر هذا النهار فإن معنا الليل . فلم يتمالك أن حمل على القوم ، فما زال يطردهم حتى أوقف حصانه على باب الدرب ، فمنهم من دخل الدرب مبادرا ، ومنهم من ولى هاربا . ولحقه أصحابه واستظهروا على أعداء الله بالحرب وحووهم فى الدرب ، وقتلوا منهم ثلاثة رجال وأوهوهم بالجراحات إلى أن جنهم الليل ثم عاد فحط فى محطته . فلما أن كان من الغد خرج فعبأ أصحابه للحرب ، وقسمهم على أرباع الدرب ؛ ثم إن مشايخ من بنى مالك استأمنوا ووصلوا إليه مقتادين وسألوه أن يهب لهم ساعة من النهار إلى أن يتخلصوا ويخرجوا من الدرب وأرادوا المكر به إلى أن تتقلل جنده وتقل أزوادهم

---

(١) بياض فى الأصل بمقدار كلمتين .

(٢) رغافة قرية من عزلة آل جابر ناحية مجز قضاء جماعة ، وتقع فى الغرب الشمالى من مدينة صعدة بمسافة ٣٧ كم ، واشتهرت بمعدن الحديد الذى يستخرج منها .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٣٦ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ٢ ص ٣٦٩ ؛ اسماعيل الأكوع ، البلدان اليمانية ، ص ١٢١ ، المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٢٧٩ ؛ التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صعدة ، ص ٥٧ .

وهم أكثر الناس خديعة ومكرا ونفاقا وهم كما قال فيهم شعره [١] :

هم الثعالب إن رأونى حاضرا وإذا أغيب فإنهم آسادُ

ففعل وأنظرهم إلى نصف النهار ، فلما رأوهم لم يخرجوا من الدرب أرسل إليهم أن يخرجوا أو يأذنوا بالحرب فلم يخرجوا فعند ذلك عمدهم بالقتال فحاربهم إلى أن جن الليل ، ثم عاد فحط بوادى فلله ليلته تلك . فلما أصبح أتى إليه مشايخ من بنى مالك يداهنونه كعادتهم فشد عليهم ، وأغلظ لهم فى القول ولم يسمع لهم حديثا ، وعزم على محاصرتهم وعلى أن لا يبرح حتى يقلعهم ، وأمر لأحمال دقيق وتمر تأتيه من الجبجب وأمر بنى جماعة أن يمدوا بالأزواد وبمن بقى من الرجال . وسار إلى قرب من الدرب فحط عنده ، فلما علم أهل الفساد بجمعه وبنيّته وعلموا أنه يفعل بهم كما فعل بأهل نجران وأن صبره يغلب كل صبر ، فبات قوم يخاطبون ويختلفون ويفسرون له أمر أهل الفساد وكثرتهم ومادتهم وماهم . فرد عليهم وقال : إن الله قد أمرنى بأمر وقد فعلته ووعدنى بوعد وأنا أنتظره وهو قوله تبارك وتعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ » [٢] وتالله إن شاء الله لنخرجنهم وليغلبن جند الله ؛ فلما علم أعداء الله بكلامه وعزمه قذف الله فى قلوبهم الرعب كما قال عز وجل : « وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ » [٣] .

وولوا فى ليلتهم تلك هاربين وأصبح الدرب خلا منهم ، فلما أن أصبح ثبت هو

---

(١) فى الأصل سعر .
(٢) سورة محمد ، آية ٧ ، ٨ .
(٣) سورة الحشر ، آية ٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن معه إلى الدرب فخربوه إلى أن ألحقوه مأثرة وكبسوا خندقه وبئرا كانت فيه وحرقوا أبوابه وخشبه ، ونصر الله وليه وخذل عدوه وفى ذلك الوقت قال شعره الذى يقول فيه :

منازلنا للوافدين منازل ... وساحتنا للواردين مناهل
وكل دخيل عندنا الدهر مكرم ... وكل غريب نحونا فهو أهل
كأن لأصناف الأنام مواعدا ... إلى من غشانى من قريب وراحل
فوفد مقيم عندنا لا نملّة ... ووفد منيخ لى وآخر راحل
ومازال يغشانى من الناس دائما ... جموع من أناس المُلا ومحافل
ويعتارنى من كلٍّ طالبِ حاجة ... ويسألنى حجاجهم والقوافل
فيرجع كل منهم بمراده ... وعندى له منهم حبا ومآكل
ويقصدنى أهل العلوم فينثنوا ... وقد رشدوا واستنبط المتشاكل
وكل امرءٍ فى هذه الأرض عالم ... بأنى فعول كلما أنا قائل
ولا يجحد القول الذى قد ذكرته ... من الناس إلا ساقط القدر عائل
وحسبك أنى ما تعمدت زلة ... وأنى فى كل الأحايين عاقل
وأنى خفيف عند ضيف وغارة ... وفى موضع الحُلم إمرء متثاقل
وإن شملت حرب عوان وسعرت ... فإنى الذى يُدعا الخضم[1] الحلاحل[2]
وعِرْضِىَ وافرُ وبَابِىْ مفتوح ... ومَالِىَ مبذولُ وجِسْمِىَ ناحلُ
وأمشى على الأرض الهوينا تواضعا ... ولو كان لى أنجادها والسواحل
وذلك منى طاعة وتذلل ... لخالقنا فى كل ما أنا عامل

---

(١) الخضم : السيد الحمول الجواد المعطاء الكثير المعروف والعطية .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة خضم .

(٢) الحلاحل السيد فى عشيرته الشجاع ، وهو الضخم المروءة .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة حلل .

ونصر الهدى والحق فى كل بلدة ... وإضهار دين الله والدين خامل

فأظهرت معروفا وأطفأت منكرا ... وأقبل بى حق وأدبر باطل

ومهما وطأت الدهر أرضا جديبة ... أصاب ثراها صادق الودق هاطل

وما أعجزتنى قرية قد تمنعت ... ولو ذب عنها خندق وجحافل

ولكن أُوَطِّيها وأهلك أهلها ... وأرجع منها والأعالى أسافل

وإن برزت خيل لحربى رأيتنى ... أكر عليها وهى عنى جوافل

وما قلت هذا القول مفتخرا به ... على مؤمن إلا ليذكر غافل

فيا شيعة الهادى عن الحق حِرتمُ ... ولم يدر منكم عامل من يعامل

دعوتكم فى ساعة العسر معلنا ... فلم تسمعوا والكفر فى الناس شامل

فكابدت هذا الناس وحدى وخاننى ... صديقى وأقصانى وأعرض عاذل

وخالفنى كل الأنام ظُلامة ... فما منهم إلا عدو وخاذل

ولم آلهم نصحا ولكن دعوتهم ... لحق وما منهم لذلك قابل

وخاطبتهم بالحق قولا فعاندوا ... فما ردهم إلا الظبا والذوابل

فإن ترجعوا نحوى رشدتم وفزتم ... وإن تعرضوا عنى كفتنى القبائل

أَنَصْرَتكُمْ لى عيبةٌ ومسائلٌ ... وظَنُّكُمُ أن لا يجاب المسائلُ

وإن قلتم لا تستطيعون نصرة ... ولا فيكم وقت اللقا من يقاتل

فقد يخرج النار الكثيفة وحده ... ويغنى بها عوجا من الناس قاتل

وإنى سأعو المسلمين لهجرة ... تكون لنا عونا على ما نحاول

يفيض بها نهر غزير يعمها ... يضيق به فى الجدب منها الجداول

أرض حماها الله فى خير بلدة ... لننجز منها ما روته الأوائل

تبوء بآلاف فيضحى مُقِلِّهم ... له فى الورى مال كثير ونائل

ويقمع منها كل ضد وحاسد ... وقد ظن بعض الناس أنى هازل

فكم ظالم نرديه إن شاء ربنا ... وكم منزل تغشاه منا زلازل
فقل لحسودى مت بغيظك حاسدا ... فقد طال ما عُضّت علّى الأناملُ
عسى الله للأمر الذى هو عالم ... يبلغنى كل الذى أنا آمل

وتوجه الإمام عليه السلام إلى الجيجب مؤيدا منصورا مظفرا مجبورا ، وأذن لمن كان معه من بنى جماعة فانصرفوا إلى مواضعهم ، والعرب تفد إليه من كل مكان . ثم إن أهل الفساد من أهل الحقل اشتوروا وقالوا : لا يأتينا من هذا خير واستوحشوا مما فعلوا وقد قال الأول :

أسأت إلىّ فاستوحشت منى ... ولو أجملت آنسك الجميل

وهموا بالغدر فيه وقالوا نأتى إليه معتذرين فإذا خرج إلينا سطونا عليه فاسترحنا منه . فقال قائل منهم : إنه لا ينبسط إليكم ولا يأمنكم ، ولكن أموا إلى بنى بحر فنجعلهم ضدا لبنى جماعة ، ونبلغ بهم الغرض فيه . فطلعوا إلى بني بحر فتجوروا بهم واقتسموا على بيوتهم ، وسألوهم المنزل معهم والتوجه بهم إلى الإمام عليه السلام فى دار ابن القدمى ففعلوا ذلك ، ونزلوا فى جمع كثير ووصلوا إليه فى ألف وخمسمائة وقد انتدب من أهل الفساد من أهل الحقل جماعة فى الفتك به ، ولا علم لبنى بحر بذلك . وكان عنده سبعون رجلا من بنى جماعة فخرج إليهم إلى خارج الدرب فقال: أما أنتم يا بنى بحر فاقدموا [١] على الرحب والسعة ، وأما هؤلاء الغوغاء فلا مرحباً بهم ، فقد بلغنى ما هم يحاولون من المكر والخديعة فانصرفوا بأجمعهم فقال البحريون : ليس لنا وقوف بعد أصحابنا ، وانقلب أهل الفساد إلى مواضعهم « لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) فى الأصل فقدموا

القتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا » [١] . فأقام عليهه السلام ووفد عليه السلطان جحاف بن ربيع الدعامى فى خيل ورجل من أصحابه وبنى عمه ، وكان واليا بالجوف على أهله ومن يليهم من غيرهم . وكان أهل القرى من بنى دالان [٢] من أهل الجوف ممن ولاه عليهم فخرجوا من طاعته وحالفوا فليته بن العطاف النهمى عليه ، وجمعوا البوادى من جنب ونهم وغيرهم إلى الوادى إلي أن قُتل السلطان منيع بن أرحب ، وكان من أنصح الناس للإمام عليه السلام والسلطان على بن زيد ومحمد بن منيع بن فليح الأقفاى ، وأضروا بالوادى وأهله عن من ذكرنا . فلما أن وصل السلطان الأجل واستنهضه لهم ، أمر عليه السلام لبنى جماعة وعزم على المخرج فوصل منهم خمسمائة رجل ووصل من بنى بحر مائة رجل ومعهم ابن القدمى فقادوه إلى بين يدى الإمام عليه السلام وقالوا له : هذا جارنا قد أتينا به إليك فما شئت فاصنع به ، وكان السلطان الأجل جحاف بن ربيع بن سرحان أكثر من يستشفع له فى قبوله والعطف عليه ففعل ذلك وعطف عليه تألفا لبنى بحر ورعاية منه لسبقهم معه ومحبتهم له ، ثم إن بنى جماعة غضبوا لغضبه غضبا شديدا وقالوا نحن إمًّا [٣] فى هذه الساعة فنلزم مواضعنا وننتظر خولان ما تفعل معك ، فاستأذنوه فى الإنقلاب إلي بلادهم فأذن لهم فى ذلك ، ووقف معه حضير بن صاعد ومعه جماعة من بى جماعة وخرج بالربيعة فى وجوه من ثلثمائة قوس ومائة ترس وأفراس من بنى مالك ومن الربيعة ، والشيخ جعفر بن أحمد الشمرى

---

(١) سورة الأحزاب ، آية ٢٥ .

(٢) بنو دالان من وادعة حاشد ، وتقع بلادهم فى الجوف
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦١ ، ح ٧ نفس الصفحة ، ص ٢٨٠ .

(٣) بناء الجملة ناقص إذا كانت تتطلب عطفا على إما بجملة « إما » أخرى .

وجماعة من أهل صعدة ، وكان مخرجه فى جمادى الآخرة . فلما وصل الجوف أتاه وقد جمع أصحاب السلطان الأجل الجحاف بن ربيع من أهل الجوف خيلا ورجلا ، فدخل السوق [١] سوق الدعام بن إبراهيم فى جمع كثير ، وأمر من ساعته إلى أهل القرى أن يسمعوا ويطيعوا أو يأذنوا بالحرب فَوكّنوا على منع حصنهم ، وهو من أمنع حصون اليمن عليه خندقان عظيمان ودربان منيعان ، فلم يسمعوا ولم يطيعوا فتأبّد عليهم يومين من الحرب . وكان قليته بن العطاف يومئذ بموضع يقال له الورك قريبا من الدرب ، فنهض الإمام عليه السلام بمن معه من الربيعة وأهل الجوف وأحاط بدروب القرى وحارب أهله يومين ، ثم إنهم صاحوا بالجوار وبذلوا الطاعة فقبل منهم ذلك .وكان قبل ذلك قد حصرهم السلطان جحاف بن ربيع وقتا طويلا وأضر بهم فى قطع الميرة وسواه ، فلما أن أمَّنَهم [٢] الإمام عليه السلام وقبل منهم الطاعة وعفا عنهم خرجوا من ساعتهم فافتسحوا بالميرة والسلف والضيفة وجملت أمورهم واتسعت أحوالهم ، وأطاع جميع أهل الجوف من بدوهم وحضرهم وآب عليه السلام إلى موضعه بالجيجب مظفرا محبورا مؤيدا منصورا فأقام به مدة أيام . وقد كان قبل واثق السلطان جحاف بن ربيع وعلى بن شريك الحاجبى على بناء من نشان وإحداث هجرة هنالك فتقدم إلى بنى جماعة واستنهضهم للمسير معه فأجابوه ونهضوا معه إلى الجبجب ، وقد كان أهل الحقل قوَّموا الشريف عبد الله بن محمد المهول وأمروه

---

(١) السوق هى قرية سوق دعام من عزلة الزاهر ، بالجوف وهى على بعد ٣ كم شمال غرب الزاهر . وتقع ما بين . ٤٤ً ١٩َ ١٦ْ شمالا ، ٢ْ ٢٨َ ٤٤ْ شرقا .
خريطة ج.ع.ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1644C2 ؛ التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥ ؛ النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦ .

(٢) فى الأصل اتمنهم .

بالمعارضة فخرج إلى الربيعة بحريمه ويجد [١] على مقابرهم فأجابوه ، وقاموا معه بالخلاف فثنى ذلك الإمام عن قصده إلى الجوف ففسح للجماعيين بالمراح فراحوا ، وقال فى ذلك الوقت شعره الذى يقوال فيه :

ما خُرَّدٌ يزدين بالأنوار	وكواعب ككواكب الأسحار
يجمعن من أبهى الكمال خليقة	ضدين من ليل معا ونهار
فى روضة مخضرة الأشجار	ممطورة مفترة الأزهار
يسلبن لبى أو يغيرن الذى	قد رمته من طاعة الجبار
يغشى البلاد سهولها وحزونها	بالمشرفية والقنا الخطار
متباعد الأطراف مرصوص البنا	متراكم كالعارض المطار
فبروقه لمع السيوف ورعده	رجل التراس ورنة الأوتار
وسيوله وقع السيوف ووبله	زرق النصال مزيلة الأعمار
وتقوم هيبته مقام قتاله	حينا ويكسو الجو ثوب غبار
ويذل كل محارب ومعاند	ويبيد كل منافق ختار
ويبيد أرض الناكثين المارقين	الفاسقين من الملا الأشرار
ويؤم أرض الجوف للأمر الذى	قد جاء في الأخبار والآثار
للهجرة المذكورة الغرا التى	حفت بطيب الجو والأنهار
ولقد علمت بأنها ينتابها	ما بين ساكن راحة وذمار [٢]

---

(١) بجد بالمكان : أقام به .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة نجد .

(٢) مار ، بفتح أوله وثانيه على بعد مائه كيلو متر جنوب صنعاء ، وهى عاصمة محافظة ذمار وتقع ما بين ٣٣ ١٤ شمالا ، ٢٤ ٤٤ شرقا .
البكرى ، معجم ما استعجم ، حـ٢ ص ٦١٤ - ٦١٥ : نشوان ، منتخبات ، ص ٣٩ ؛ الويسى ، اليمن الكبرى ، ص ٥٤ .
Yemen , 1: 250000 , Sheet , 5 .

ويحل فيها أهل نجد بعضهم ... عندى وباقى ساكن الأغوار
ويعز دين الله بعد خموله ... فيها ومنها أقتضى أوطارى
ببنى جماعة أهل كل فضيلة ... أنصار أجدادى وهم أنصارى
والصدق والإقدام والكرم الذى ... هو عادة فى العسر والإيسار
حسدتهم خولان مافازوا به ... من نخوة وحمية ووقار
والصبر يعقب أهله ما أملوا ... ولهم لدى الرحمن عقبى الدار
فلإن سلمت من الزمان وريبه ... وصروفه وحوادث الأقدار
لأملكنهم بلادا مالها ... مثلُ يُشَاكلها مَن الأمصار
ولأوطينهم الرقاب من الملا ... حقا بحكم الواحد القهار
ولأشركن بنى جماعة كلهم ... فى الرأى والإعلان والإسرار
إذ شاركونى فى الأمور جميعها ... في الحرب والإيراد والإصدار
وعشيرتى متربصون جميعهم ... بى عثرة فى وقت كل عثار
ولم آتهم بنكاية بل جئتهم ... بزيادة فى المال والمقدار
هذا كما قال الحكيم أخو الحجا ... والحلم فى بيت من الأشعار
والعار فى رجل يحيد عن العدى ... وعلي القرابة كالهزبر الضارى
ولإن بغوا يوما على فإننى ... أدرأ بحلمى والحليم يدارى
وأصونهم ممن يريد دمارهم ... لو كان منهم من يريد دمارى
ولقد أعاض الله جل جلاله ... ببنى جماعة أهل كل فخار
فالله يصلح أمرهم ويفيدهم ... خلدا ويكفيهم عذاب النار
ثم الصلاة على النبى محمد ... خير الأنام وآله الأطهار

قال : ثم إن الربيعة ازدادوا ببنى بحر وجمعوا تراسا كثيرة وهبطوا للحرب على الجبجب للإمام عليه السلام ولمن معه من بنى مالك وأهل مجز ويرسم مبأن بنى مالك غير ناصحين ، فوقع قتال فى أعلى القطيع قريبا من الجبجب وكانت

الغلبة للإمام عليه السلام ولمن معه ، فهزموهم فأتوا مكسورين منهزمين ، ولم يرد لهم عليه السلام قتلا ولا وصل موضع القتال . ثم أقام بعد ذلك مدة ولم يرد الربيعة [أن] [١] تطأ الحقل، فطلع إليهم الشريف أحمد بن يحيى بن يحيى ومحمد بن أحمد الجاهلي وقوم من أهل الحقل ، وقالوا لهم : إنكم اعتزلتم الحقل وخفتم فيه وليس يخيفكم فيه إلا رجل واحد ، فأنزلوهم إلى صعدة وأعانهم اليرسميون على ذلك فغضب الإمام عليه السلام وسار إلى البطنة فحل عند الشيخ الحسن بن قيس ففرح بوصوله وخلاّ له دارا منيعة ، وبذل معه ماله ونفسه وأنفق عليه من ماله إنفاقا [٢] كثيرا سنة كاملة وهى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. وفي ذلك الوقت كاتبه الشريف الأجل محمد بن يحيي بن جعفر بشعر يؤنبه فيه ويحضه على العزم والقيام يقول فى أوله :

أبا حسن كم ذا المواعيد والمطل ... وكم ذا فلا جور أتانا ولا عدل

أبا حسن حاشاك من قول قائل ... يقول ألا كل الذى سمعوا هزل

أبا حسن لا تنفع الكتب والمنى ... ولا الشعر والإخبار ما لم يكن فعل

أبا حسن فانهض لما أنت آمل ... فأنت لما أملت من نخوة أهل

ويابن سليمان أجبني فإنني ... إلى ذاك مشتاق لعل يدا تعلو

أعندك عزم فى الأمور كعزم من ... تقدم من أبناء فاطمة قبل

فيحيى الذى أحيوا قديما وحادثا ... وتُعلى الذى أعلوا فأنت له أهل

فأجابه الإمام عليه السلام بشعر يقول فيه :

أنار الهدى للناس واتسق العدل ... سريعا فلا خلف أتاهم ولا مطل

---

(١) مابين الحاصرتين اضافة .

(٢) فى الأصل نفاقا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأصبح دين الله بعد خموله عزيزا وجاء الجد وانقطع الهزل
وأضحى أخو الإحسان فى الناس والحجا عزيزا رفيع القدر واتضع الرذل
فلا تعجلن يا نجل يحيى فقد أتى لهارون نصر بعد ما عُبد العجل
أتعذلنى فى المكث يا خير هاشم وعند ذوى الألباب قد ينفع العذل
ولم تدر أنى مذرمان [١] معارك لهذا وكل الناس منتشر يتلو
كفاتل زند لين غير مسعد بغير معين عندما عسر الفتل
ولم يعتمدنى الأقربون فكيف من سواهم وظنوا كلهم أنه سهل
فمازلت حتى نلت بعض لبانتى وسوف بحمد الله يتبعه الكل
يسرك من للأمر ودع أهله وآب إليهم كل أهل له أهل
كما قد مضى موسى ليقبس جذوة فراح بأوفى ما تروح به الرسل
ومما حبانى الله ذو المن أننى أقول مقالا قد يصدقه الفعل
ولى من بنى الهادى إلى الحق نصرة سمادعة ما فى قلوبهم غل
يعدوننى حتى كأنى أب لهم وإنى مقر أن فيهم لى المثل
ومن غر خولان بن عمرو ذوى الحمى غلامهم والشيخ والطفل والكهل
ومن غر كهلان ذوى العلم والحجى جميعهم من حازه الحزن والسهل
وإنى لأرجو عن قريب بمعشرى بنى القاسم الأخيار أن يجمع الشمل
نجوم بنى الزهرا وأعلام هاشم ومن لهم المجد المؤثل والفضل
أولئك أخوالى وأخوال والدى وأخوال أولادى وأصلى لهم أصل
هم شيدوا ما أسسته جدودهم وحاموا على الإسلام والدين من قبل

---

(١) هكذا فى الأصل وربما كانت الكلمة مرزبان : أى الفارس الشجاع المقدم على القوم .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة مرزبان .
وكلمة مرزبان فى أصلها الفارسى بمعنى حاكم او مالك منطقة على الحدود . وصارت لها دلالة القائد أو كبير القوم .
إبراهيم الدسوقى شتا : المعجم الفارسى الكبير (القاهرة ، ١٩٩٢)

وإنهم للمعتفين إذا اعتفوا غيوث لكل الناس إن وقع المحل

وإن سعرت حرب عوان فإنهم ليوث لدى الهيجا وأنت لهم شبل

وإنك يابن الطيبين لكامل أديب فصيح قد يزينك الفعل

أتاني نظام يا محمد صاغه أخو فطنة ما في النظام له شكل

يدل على فضل ونصح وهمة لديك وعلم لا يقاربه جهل

فلا تحسبن أنيَ تركت جوابه لحال ولكن كل حين لنا شغل

ومني سلام الله مادر شارق يزورك يا من فنه الجود والنبل

وكان في أيام الموسم للحج ، وأرسل إلى كافة بني علي من بمكة وغيرها [بشعر] (١) يستدعيهم فيه للجهاد ، ويسألهم المادة له والنصر على أهل الفساد الذي يقول فيه :

لأية علة جفل النعام ولم يظهر من الآل الجهام

ولِمْ ذا حيد عن بطحاء واد وليس يفزعه برق يشام

سوى أن قد يخال به ضباب فلا يدرى غمام أم قتام

ولكن الرماد يكنّ نارا تُخاف ولم يكن منها اضطرام

وتعهد في الأجام الأسد حينا فما تغشى الأسود ولا الأجام

فيكيف بهم إذا انسكبت عليهم سحائب ودقها رسل سحام

وطبقت البلاد وضاق منها وهاد الأرض طرا والأكام

وفاض العد من كل النواحي وجاء الجد و انكشف الظلام

صدعت بدعوة للناس طرا إلى دين الإله وهم نيام

وخاطبت الملا بلسان صدق على مهل فما سمُع الكلام

---

(١) مابين الحاصرتين اضافة .

فلما أن هززت السيف ثاروا ... ولبوا عندما نطق الحسام
صدمت ببعضهم بعضا لعدمى ... لغيرهم وقد جلبت صدام
وناديت القبائل من نزار ... ويعرب حين آن لى القيام
خصصت به وكان عليٌ فرضا ... لخالقنا ولم يسع المقام
فبلغ أيها الغادى سلامى ... إلى من حازه البلد الحرام
ومن حل الحجاز ومن يليه ... ومن أنأى به عنى الشآم
بنى حسن معا وبنى حسين ... هم الرأس المقاعس [1] والسنام
وأبنا جعفر الطيار حقا ... سمام الضد إن عدم السمام
بنى عمى وإخوانى وقومى ... كرام الخلق إن ذكر الكرام
وعم المؤمنين به جميعا ... ومن لهم احتساب والتزام
كقوم فى خراسان اعتراهم ... لهذا الأمر حب واهتمام
وقد نصروا أبي الهادى قديما ... ووالوا من يوالى واستقاموا
وقال نبينا فيهم عليه ... من الله التحية والسلام
سينهض منْهُمُ قوم إلينا ... لنصرتنا لهم همم وسام
فبلغ ما أقول رسول خير ... إليهم كُلهم وخلاك ذام
وقل لهم استجيبوا من دعاكم ... إلى رب له من جسام
إلى الرحمن خالقنا وعز ... عظيم الشأن ليس له انفصام
وعز الدين والإسلام حتى ... يقوم ولا يهان ولا يضام
هلموا فليصل منكم إلينا ... لنصرة ديننا جيش لهام
وقودوا خيلكم شعث النواصى ... فقد أخنى على الحق اللئام

---

(١) القعس : الثابت . ورجل أقعس : ثابت عزيز منيع . والقوعس : الغليظ العنق الشديد الظهر .
والاقعاس : الغنى والاكثار .
ابن منظور ، لسان العرب ، قعس .

وجُروا من وشيج (١) الخط (٢) سمرا تـقـوم بـهـا الحـقـوق إذا تـقـام
فقد صامت سيوف الحق حتى نوت والآن لـيـس لـهـا صـيـام
فـلا تـهـنـوا وقـومـوا بـاجـتـهـاد فـعـنـد الـلـه ذى المـن الـتـمـام
ودونـكـم سـلامـى مـا استـهـلت رهـام المـزن أو سـجـع الحـمـام

رجع الحديث قال الراوى : ثم إنه كان هشام بن نباته فتك بروح بن زريع فقتله بيد قوم حلفاء له من بنى الحارث ، وقد كان الإمام عليه السلام عقد له أمانا فغضب في ذلك لأجل ما فعل فيه من الغدر ، وذلك أن الذين قتلوه كان ضيفا لهم ومعه خمسة من أصحابه فقتلوهم على فراشهم ، فأمر الإمام عليه السلام بقوم من خولان يستنهضهم فقالوا : إنا لم ننقم من وادعة القتلى الذين قتلوهم منا فكيف نقوم لحرب بني الحارث . وكانت وادعة قتلت منهم فى العرين ثمانية عشر رجلا فيهم محمد بن القدمى ، وذلك بسبب معصيتهم للإمام عليه السلام وقلة طاعتهم له فعذرهم وتقدم يريد وادعة وبني شريف وسنحان، وتقدم معه الشيخ المبارك محمد بن الحنيش الجابرى والسعر بن أبى الليل وإخوته والحسن بن قيس حتى وصل حظيرة بني سابقة . وقد كان أهل الحقل أرادوا خراب الحظيرة وقتل أهلها قضاء بما جرى عليهم فى العرين فمنعهم الإمام عنها ، فلما صار بها التقى أهل الحقل واشتوروا وقالوا : إنه قد حصل المانع والممنوع منه ، وعزم رأيهم على أنهم يتبعون الإمام ومن معه من قوم كثير ، وظاهرهم أنهم يردونه إلى بلادهم ويقومون معه على هشام ، وباطنهم أنهم يريدون قتله وقتل من معه ؛ فعلم

---

(١) الوشيج : شجر الرماح ، وقيل هى دعامة الرماح .
ابن منظور ، لسان العرب ، وشج .
(٢) الخط أرض ينسب إليها الرماح .
ابن منظور ، لسان العرب ، وشج .

بذلك الشريف الأجل عبد الله بن محمد المهول فأعلم الأشراف بنى الهادى إلى الحق عليه السلام فكتبوا إلى الإمام عليه السلام يعلمونه بما عزم عليه رأى أهل الحقل . فلما علم بذلك خاف أهل الحظيرة وأشار عليه أصحابه بالتقدم فكره ذلك ولحوا عليه فاقسم بالله لا وليت من خوفهم . فركب الحسن بن قيس وسرى ليلته إلى أن وصل الشيخ على بن العباس الباقرى فأعلمه بذلك ، ثم أشاع فى البطنة أن الإمام قد تقدم إلى بلاد وادعة وليس معاده [١] بالحظيرة . فكتب محمد بن الجاهلى إلى أهل صعدة وأهل مجز وبنى مالك والربيعة يوقفهم ، فلما كان من الغد أعلم الشيخ الحسن بن قيس مشايخ من بنى مالك أن الإمام عليه السلام مقيم بالحظيرة . فركب إليه منهم مشايخ ووصل الشرفاء الأجلاء عبد الله بن محمد وكافة بنى الهادى إلى الإمام وهو بالحظيرة ، وكان سبب الصلح بينه وبين عبد الله ابن المهول ، فتقدم الإمام عليه السلام بهم وبمن معه إلى بلاد وادعة الفراع [٢] فلقوه [٣] بالبشاشة والجميل وقابلوه بالقرى الجزيل والفعل النبيل وسألهم النهوض معه إلى نجران لحرب هشام فأجابوه إلى ذلك وبايعوه . وتقدموا معه إلى سنحان وبنى شريف فقابلهم وسألهم النصرة فأجابوه وساعدوه، فلما علم بذلك هشام وكان عنده سلطان من وادعة يقال له على بن سعيد ، وكان أطوع له من نعله وأتبع له من ظله وكان حليفا لهشام فأعطاه هشام دنانير يفسد بها وادعة فوصل إليهم وقال : إنكم حالفون لى وهشام حليف لى ولست أدعكم تحاربونه وبذل لمشايخهم شيئا مما أعطاه فكرهوا ذلك وقالوا :

---

(١) فى الأصل عاده

(٢) فرع : فرع كل شئ : أعلاه ، وفرع فلان فرعا : علاه وفرع القوم وتفرعهم فاقهم ، والفراع : ما علا من الأرض وارتفع .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة فرع .

(٣) فى الأصل فلقيوه .

قد جعلنا طاعة الإمام أولى من طاعتك . وأمر هشام إلى بنى شريف رجلا من بنى هاجر من بنى شريف وأعطاه دنانير وثيابا يجعلها لمشايخ بنى شريف فدخل سوق راحة وفرق كتبا من هشام ودنانير وثيابا على مشايخهم فكسرهم بذلك وعزموا على التخلف، وكان شيخ من بنى شريف يقال له سليمان بن الجهم قد أعطى شيئا وكتب إليه هشام واستنفع به فظل في السوق يكسر على الناس ويصرّح بالكلام مع بنى شريف إنا لسنا بخارجين إلى هشام ، وكان له فى ذلك اجتهاد عظيم ذلك النهار فقابله الإمام عليه السلام وقال له : قد بلغنى مافعلته اليوم وإذا لم تصلح فلا تغير فقال : إن بنى شريف لا تطيعنى ، فراح الإمام إلى عم لهذا الرجل يقال له سعيد فبات عنده ، فلما كان نصف الليل سمع هاتفا يصرخ ببنى واس [1] فأجابوه إلى مجمع لهم وباتوا هنالك آخر ليلتهم ، فلما أصبح وصلى الإمام عليه السلام أتى إليه رسول لهم يستنهضه إليهم . فركب وتقدم هو وأصحابه فأتى وقد اجتمع أهل ذلك الوادى إلى ذلك الشيخ وهو بينهم ما عليه غير إزاره فسألهم عن حالهم فذكروا له أن ذلك الشيخ راح إلى منزله ونام أول ليلته فلما كان منه غشيه أمر هائل عظيم ثقيل نزل عليه وكظمه حتى كاد أن يقضى عليه ، ثم يرفع عنه ويعود كذلك إلى نصف الليل ، فلما أجهده وكادت نفسه أن تنتزع رخى عليه وقال أرأيت ما ظللت تكسر على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أنا أتوب . فقال لولا علمنا بتوبتك ما عشت بعدها. ثم ارتفع عنه فقام من ساعته فى فرد إزاره فصرخ ببنى عمه وأعلمهم بما رأى وتاب على أيديهم وعزم على النهوض مع الإمام عليه السلام والخروج معه وقوم

---

(١) واضح من النص أن بنى واس بطن من بنى شريف وربما كان اسم القوم بنى وابش ، منهم وابش بن دهمة ، ووابش من عدوان ومن مراد ألغز من قبائل همدان .
الهمدانى ، الإكليل ، حـ ٢ ص ٣٩٥ .

بني واس كلهم . فلما قامت بنو شريف [وبنو] [١] واس قامت بنو أوس [٢] وسائر بني شريف ، فنهض الإمام عليه السلام ببني شريف وأتى وادعة فنهضوا معه في عسكر عظيم .

وكان علي بن سعيد لما عصته وادعة حلف بكل يمين عظيمة بعد أن عصيتموني يا وادعة وتبعتم الشريف لأقتلنه فعلم بذلك الإمام عليه السلام ، وكانت وادعة يخافونه عليه فقد جعلوا معه رجالا يحرسونه . فلما استمرت بهم الطريق وكان علي بن سعيد هذا في آخر الناس ، فقال الإمام للذين معه من وادعة تقدموا ووقف في قاع فسيح فما زال هنالك على فرسه وحده ليس معه غيره ، وأراد أن ينظر إلى ما يفعل علي بن سعيد وأيمانه التي حلفها ما تكون إلى أن أتى علي في أعقاب الناس وتحته حصان عظيم . فلما بدا والإمام عليه السلام قائم وحده على حصانه فقام ساعة ينظره ، ففهم أنه قد علم بما كان عازما عليه وأنه وقف له ليعجزه ويعرفه أن لا يهمه ولا يحسبه ، فلما فهم ما عنده قرب منه وقال له أدام الله عزك ، ومر في آثار الناس فتبعه الإمام يسير إلى أن لحقا بالناس . فلما وصل العسكر قابل وادعة تقدم علي بن سعيد إلى هشام بن نباته ووصل الإمام عليه السلام فحط قريبا من درب كوكبان وخرب دروبا في نجران وقطع نخيلا في الدرب الجديد لهشام وبات الناس هنالك ، فلما كان من الغد أحاط العسكر بكوكبان فرمي علي بن سعيد بسهم في خده فخرج من الجانب الآخر من رأسه فقتل لا رحمه الله ، فما لبث حتى أخرجوه يحمله أربعة

---

(١) ما بين الحاصرتين اضافة .

(٢) بنو أوس ينسبون إلى أوس بن حارثة اللامي من قبائل طيء .

ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٦٦ . ويبدو من النص أن بنيّ أوس من قبائل بن شريف .

على نغش وفرسه تقاد بعده . ثم آب الإمام عليه السلام إلى موضعه بالبطنة [(١)] من بلاد خولان قد نال من عدوه كل منال وبلغ فيه أبلغ الآمال فتبعه هشام بن نباته إلى هنالك واستصحب معه مشايخ من وائلة واستعطفه وبذل له ألف دينار ودية ابن زريع فكره الإمام ذلك ورده بغير عقد ولا ذمام وقال فى ذلك شعره الذى يقول فيه :

أنار الصبح وانكشف الظلام ... وآن لنا التقوض والقيام
وجاء الحق واتسقت أمور ... وإعمال السيوف له تمام
وقد ظهرت علامات كبار ... لمن يدرى وآيات جسام
وإن الله أيدنا بنصر ... فهانذا أسوم ولا أسام
وقد ظهرت دلائل معجزات ... لنا من يوم خالفنا هشام
وكان يقول ليس ينال منه ... منال فى البلاد ولا يرام
وسايرنا نفاقا قبل هذا ... وليس لغادر أبدا دوام
فلما أن طغى وبغى علينا ... ولما يبق إلا الانتقام
صدمناه بأر عن ذى بنود ... تطأطأ من مهابته الأكام
وأنجدنا ذرى كهلان طرا ... جميعهم المُشَيَّبُ والغلام
وألممنا بوادعة فقاموا ... ولم تُخذل بناة العز يام
وقامت شاكر فيما عنانا ... وإن البرك [(٢)] عادتها الصدام
وإن بنى شريف آل صبر ... وسنحان لهم منن جسام

---

(١) البطنة واد فى بلاد بنى جماعة من خولان صعدة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٣ .

(٢) البرك : الصدر . واتبرك القوم فى القتال : جثوا على الركب واقتتلوا ابتراكا . والبراكاء : الثبات فى الحرب والجد .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة برك .

وقام بنو معاوية جميعا ... لنصرتنا وشدوا واستقاموا
فخربنا منازله وأبنا ... وفى أوطانه منا قتام
وجاء مخادعا من بعد هذا ... وأمن الخادعين هو الحرام
فلم نسمع مقالته وولى ... ولا عقد لديه ولا ذمام
وقمت مخرجا قحطان طرا ... إلى العلياء فاحتشدوا وقاموا
ولبى دعوتى شرق وغرب ... معا وأجابنى يمن وشام
فبلغ أيها الغادى سلامى ... إلى كهلان ثم خلاك ذام
وقل يا غلب كهلان استقيموا ... وذبوا عن بلادكم وحاموا
فإنى عونكم والله عونى ... ولى بالله ذى المن اعتصام
وسوف أمدكم عما قليل ... بجيش بعده جيش لهام
فأسد الغاب فى يوم التلاقى ... ولكن التراس لها أجام
بأيديهم معكفة (١) دراها (٢) ... تطاير من معاجسها (٣) السهام
إذا نزلوا على الأعداء يوما ... فأسد لا تذل ولا تضام
أولئك غلب خولان بن عمرو ... لهم صبر وعزم واهتمام
وهم حصنى وأنصارى وركنى ... ومن لهم احتساب والتزام
فقوموا يال كهلان وثوروا ... فأنتم رأس يعرب والسنام
ولست بغافل عنكم ولما ... يلذ لى الشراب ولا الطعام

---

(١) عُكِّفَ النظم : نضد فيه الجوهر .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة عكف .
(٢) الدرة ، اللؤلؤة العظيمة الجمع در ودُرَّات ودرر .
ابن منظور ، مادة درر .
(٣) عجس السهم : مادون ريشه . والعجس آخر الشئ
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة عجس .

وإنـي مـذ جـرى قـتـل بـن روح | لئيت [1] لا يـطـيـب لـي المـنـام
وإنـي بـالـغ إن شـاء ربـي | بـسـيـفـي لا ددان [2] ولا كـهـام
وعـزمـي صـادق فـي كـل حـين | ومـثـلـي لا يـنـيـم ولا يـنـام
وصـلـى الـلـه كـل صـبـاح يـوم | عـلـى المخـتـار مـا سـجـع الحـمـام

قال : ثم إن الإمام عليه السلام طلع جبال خولان ودار بين قبائلهم واستنهضهم فنهض كلهم البحرى والجماعى وأهل القد اليمانى فنزل فى زهاء من عشر آلاف رجل ما بين تارس وقياس إلى أن بلغ موضعه بالبطنة ، ولقية الشيخ الحسن بن قيس فأدخل جميع العسكر عنبا له عظيما فأكلوا منه وحملوا وبات العكسر كله هنالك تلك الليلة . ثم إن أهل الحقل عزم رأيهم على أنهم يأتون مع العسكر طريق الوادى ويتقدمون بهيبة العسكر لشوكان وقابل وادعة فيخربونه ويقتلونهم قضاء بما فعلت وادعة يوم العرين . فعلم بذلك الإمام عليه السلام وقد كان عقد لوادعة أنه يأتى طريق الجادة ويصرف طريق العسكر من بلادهم ، وكانت طريق الجادة لا ماء فيها يكاد يهلك فيها الناس من العطش فقال لخولان : إنى لا آتى إلا طريق الجادة فقالوا له إن العطش يتلف الناس فقال لهم إذ لم تصبروا على العطش لم تصبروا على ضرب السيوف ، فقالوا إنا نصبر حيث تصبر وعزموا على أنهم يأتون طريق الجادة . ونهض بالناس فلما أن كان فى

---

(١) اللأى : الجهد والشدة . واللأى الشدة فى العيش
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة لأى .

(٢) الددان من السيوف نحو الكهام ، هو الذى يقطع به الشجر . وسيف كهام وددان بمعنى واحد لا يمضى .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ددن .

العشة [١] أنشأ الله تعالى عريضا ماطرا على الجادة سالت منه السيول وامتلأت الغدرات فبات الإمام عليه السلام وبعض عسكره بقرية درهم عند الشيخ الأجل على بن العباس فى قدر ثلثمائة من أصحابه وخواصه وباقيهم بالقرية وأمسى آخر العسكر وأعقابهم بالبطنة ونزل سيل نشور سيل عظيم . ثم نهض الإمام عليه السلام من الغد بعسكره والناس يخوضون فى الماء ويشربون من كل شعبة إلى أن أمسى على بركة فى الجادة فأتى العسكر وهى ملؤها [٢] فنزفوها ولم يبقوا فيها شيئا ، فأنزل الله سبحانه أخرى فملأتها ومطرت على طريقهم إلى نجران ما حالفهم حيث ساروا من قبل مطر ولا وقع هنالك غيث إلى أن وصلوا ،ذلك من تأييد الله سبحانه لوليه ومعجب أمره وتوفيقه له وتسديده من ذلك ، فعجب الناس عجبا عظيما وقالوا الحمد لله الذى رحمنا بطاعتنا لإمامنا فأنزل علينا المطر كما نريد فى غير وقته وأوانه . ثم نهض عليه السلام بعساكره إلى أن وصل مدينة الهجر فحط فى جراب بنى ربيع ، وقد كان وصل قوم من كهلان من بنى الحارث وزبيد وهمدان فحطوا فى البرة قريبا من المدينة وباطنهم مع بنى هشام وظاهرهم مع الإمام إلا شيخا منهم يقال له أسعد بن مدرك ، وكان ابن أخ له يقال له أبو الليل بن جعفر وكان جريئا شجاعا ، فأقام الإمام عليه السلام الحرب على كوكبان درب هشام بن نباته وهو درب حصين وقد اجتمع إليه فيه من ضلال الناس بشر كثير فى ستمائة قوس وتراس كثيرة [٣] فحاربهم خمسة أيام وكبس الخندق من جانب منه إلى أن استوى ورجم الدرب إلى أن خرق من عرضه ، فلما

---

(١) العشة قرية من عزلة الأبقور ناحية سحار قضاء صعدة ، والعشة قرية من عزلة باقم ناحية باقم قضاء جماعة من بلاد صعدة .
التوزيع السكانى التعاونى لمحافظة صعدة ، ص ١٥ ، ٤٠ .

(٢) فى الأصل ملأها .

(٣) فى الأصل كثير .

هم أول الناس بالدخول رمى بنفط فى الخندق فأحرق جميع ما قد كان فيه وقتل من الناس قتل كثير من داخل وخارج ، ثم إن هشاما خاطب فى الطاعة وأخرج ولدا له فأمر الإمام عليه السلام بكف الحرب ، وعزم على الإياب فعند ذلك وقعت المشورة بين قوم من أهل الحقل وبين أبى الليل بن جعفر على أنهم ينهزمون بالناس ويأخذون الإبل التى عليها أزواد الناس وسلاحهم . وعقد لهم أبو الليل أنه يحمل هو وخيله فى الناس فيهزمونهم ويقتلونهم . فلما رأى الإمام عليه السلام ما قد لحق شجعان عسكره من الصوائب وما لقيه الباقون من التعب أمر بمضرب له جديد يضرب بين بيوت كهلان وجمعهم وخولان . وقال لهم إنى قد ضربت مضربى هذا بينكم يا كهلان وأنا أريد أن تفعلوا معى كما فعلت خولان وتنهضوا معى للحقل ، فإن أهل الحقل أفسدوا على بلدهم وبلد غيرهم ، وأما أنتم يا خولان فتعودون إلى بلادكم ودعا لهم وأثنى عليهم . وخاف أهل الحقل فردوا الإبل وحملوا عليها الأزواد والسلاح وأهل الصوائب وكانوا قريبا من ثلثمائة رجل ، وآبت خولان من هنالك سالمين آمنين غانمين . ووقف مع الإمام عليه السلام صنوه الشريف الأجل عبد الله بن سليمان وبنو الهادى إلى الحق عليه السلام وقدر أربعين رجلا من خولان منهم السعر بن أبى الليل وإخوته وحضير بن صاعد [١] وجماعة من بنى بحر وما وقفوا معه إلا صبرا واحتسابا وقد أيقنوا أنهم لا يسلمون من الهلكة . فلما وقف هو ومن معه مع هؤلاء الضلال كهلان ، أمر هشام لمشايخهم وقال لهم إنه قد حصل عدوى وعدوكم عندكم ، وأنا أعطيكم جميع ما أملك فيه وفيمن معه فساعدوه إلى ذلك وما بقى إلا الرهون يقبضونها منه ثم يخرج هو ومن معه فى الحصن فيجتمعون وإياهم على الإمام وأصحابه ، واتعدوا

---

(١) فى الأصل عاصد .

إلي الغد . فلما أمسى أرسل الله ريحا عظيمة فقلعت المضرب ، فأمر به الإمام عليه السلام فحجز [١] على جمل بحجر [٢] حمل تراس بقيت معه وأمر أصحابه أهل الخيل فلبسا دروعهم وشدوا على خيلهم وصار بعضهم يوصي بعضا وقد أيقنوا بالتلف. فقال لهم الإمام عليه السلام أما أنتم فلكم أسوة حسنة بأصحاب الحسين بن على عليه السلام وبغيرهم من أهل البيت وأحبائهم فاستشعروا الجهاد وأبشروا بعظيم الثواب ، واعلموا أن القوم يرجون الحياة ومامنكم من يرجوها فإن عدوا عليكم فليأخذ كل منكم بنفسه والله المستعان . فما شعروا إذ هتف هاتف من أسفل الحلة يالكهلان يا قوماه أصواتا كثيرة فأجابوه مسرعين، فلما اجتمعوا عنده أخبرهم بأن منيف بن جابر بن عبد رب قد أقبل من نجد فى خيل كثيرة ورجل كثير وقد صار على بئر حميد بأسفل نجران والظعن يتبعه وهو يريد نصرة الإمام وبينه وبينهم القتل والعداوة . فأتى أسعد بن مدرك إلى الإمام عليه السلام وأخبره بخبرهم ، وقال إن شاء الله قد شغل القوم بأنفسهم فبات أصحاب الإمام عليه السلام قعودا عليهم سلاحهم ولامة حربهم إلى أن طلع الفجر . ثم إن أصحابه تيمموا وصلوا الفجر ركعتين فى أوله ، وركب هو وأصحابه خيلهم وضربوا ريحهم ، فلما سمعهم أهل الحلة انهزموا وداخلهم الرعب وظنوا أنهم قد أحيط بهم وانهزموا إلى موضع يقال له نهوقه يمانى الأرباط . وتقدم الإمام هو وأصحابه إلى قابل يام ووصل إليه من جنب محمد بن منصور [فقال] [٣] إن الفضل فى بلاد بنى خيثمة وأخذ بلاد بنى الحارث من أسفلها ، والإمام ومن معه من أصحابه ومن همدان يأخذونها من أعلاها .

---

(١) الحجز أن يدرج الحبل عليه ثم يشد .
(٢) كذا فى الأصل ، والكلمة غير منقوطة .
(٣) ما بين الحاصرتين اضافة .

فاقاموا ثمانية أيام يأخذون كل يوم مخلافا فيخربون دروبه ويقطعون نخيله . ثم أب الإمام عليه السلام بمن معه مؤيدا منصورا مظفرا محبورا قد أمكنه الله من كل عدو وسلمه من كل سوء ، فوصل إلى موضعه بالبطنة ونقل أهله وأولاده إلى داره بالجبجب . وأقام به مدة ثم طلع المغرب من بلد خولان فأقام بهجرته بحيدان محنكة [١] عند شيخ فيها يقال له عبد الله بن محمد المدغوق وكان من أكثر خولان عبادة وورعا وعلما فأقام بها سبعة أشهر . وألف كتاب الحقائق فى علم الكلام كتاب حسن التأليف جيد التصنيف يعرفه من وقف عليه وذلك فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة . وقدم إليه إلى هنالك حى القاضى الأجل أبو الحسن بن أبى القاسم من ناحية بلاد عنس [٢] هو وجماعة معه فتعلموه ونسخوا الكتاب وأعجبوا به .

قال وكان أهل الشمرى يألفون أخذ أموال من أهل صعدة فى كل حركة يتحركها الإمام عليه السلام لمخرج لهم ولغيرهم ويجمعون فى كل مخرج من الخمسمائة الدينار وأكثر من ذلك ، فيعطون منها أهل الفساد شيئا قريبا ويأخذون الباقى لأنفسهم ، فلما أبطأ عليهم ولم يزد يخرج لمخرج أهملوا أهل صعدة وقالوا لهم من أراد يعمل شيئا فيعمله . وكان قد ولاهم على أهل صعدة فعند ذلك ظهر المنكر وشربت الخمور بصعدة ، فعلم بذلك الإمام عليه السلام فكاتبهم وعاتبهم على سيئ أفعالهم فلم يردوا له جوابا شافيا فعزم على المخرج إليهم وحرك خولان وجمع منهم ألف ترس ، فلما سمع أهل صعدة بذلك جمعوا

---

(١) ذكرها المؤلف بعد ذلك هجرة محنكة بحيدان .

(٢) عنس بفتح العين وسكون النون ناحية تابعة لقضاء ذمار سميت باسم عنس بن مذحج ، ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٤٨ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٣ ص ٦١٣ .

ثلثمائة دينار فأعطوها أهل الشمرى وعبد الله الباقرى ، وعمدا إلى أهل الهجر والذين من خولان وقالا لهم ما الذى يريده منا ، قالوا يريد الصلاح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فقالا قد حضرنا لذلك فانزلوا معنا يا هؤلاء المسلمون بغير عسكر فإن أنفذنا أحكام الله وجلدنا من شرب الخمر وعاقبنا من فعل المنكر ورأيتم الطاعة عدتم إليه فأعلمتموه ، فإن لم نفعل ذلك فيفعل ما يريد . فأتوا إلى الإمام عليه السلام فأعلموه بما قاله لهم الصعديان فساعدهم إلى ذلك وقد كان وصلته كتب من بنى الهادى يعلمونه فيها أن أهل صعدة قد جمعوا دنانير كثيرة منهم ومن أهل نجران يريدون بها إفساد خولان وتثبيط المخرج ويعطونه منها شيئا فلم يلتفت إلى ذلك ، وأرسل أولئك المسلمين فنزلوا ودخلوا صعدة . وقد كان كتب على بن محمد كتابا إلى أهل صعدة يعلمهم فيه بوصولهم ويأمرهم فيه بإظهار الدين ولبس البياض وحضور المسجد وإغلاق الحوانيت ففعلوا ذلك ولبسوا البياض وتعمموا على الشعر وأخذوا الكتب ولزمواالمسجد . فلما وصلهم المسلمون رأوا قوما ظاهرهم ظاهر النسك والعبادة والإسلام والزهادة ولقوهم بالبشر والبشاشة والقرى والكرامة وأخرجوا إليهم واحدا ممن شرب الخمر من أدونهم فجلدوه ، وقد شرب أولاد مشايخهم وكثير منهم الخمرفغطوا عليهم وحلفوا لهم ما علمنا أحدا شرب الخمر غير هذا ، فقبلوا منهم ذلك ، وطلعوا إلى الإمام عليه السلام وقالوا له ما رأينا الدين والمعروف إلا فى صعدة فكف الإمام عليه السلام منهم وانثنى عن المخرج عزمه . وعاد إلى موضعه ونزل معه قوم من مشايخ خولان مقدار ثلثمائة رجل ، فلما وصلوا الجبجب تقدم على بن محمد الشمرى وقال للأشراف إنى وقفت على كتاب كتبتموه إلى مولانا وذكرتم فيه أنى طلعت بدنانير أفرقها فأقسم بالله اليمين البالغة وحلف بنذور وطلاق ما طلعت بدينار ولا دنانير ولا ثياب ولا غيره ولا أعطيت أحدا من خولان

شيئا ، فلما علم بمقالته أهل صعدة قالوا فأين غدًا بما جمعه منا ومن أهل نجران . وأتى من مشايخهم قوم إلى الإمام وقالوا لا نريد أن تولىّ [١] علينا هؤلاء فما نحن نرضى بولايتهم إذا كانوا هكذا منذ زمان طويل ، يخرجون فى كل مخرج تخرجه مالا ويمر كما مر هذا ، فقال لهم أنا أفعل ذلك ، فلما علم آل الشمرى بمقالتهم للإمام عليه السلام أعطوا مشايخ منهم شيئا من تلك الدنانير فسكتوا عنهم وقالوا مالنا غير مشايخنا .

قال الراوى : وكان هشام بن نباته محبا للعون بن زغبة وكان العون يشفع له فى الصلاح ويحضر غيبته بالكلام الجميل ، فكان من خيل أغارت من نهج هشام إلى الأرباط فقتلوا ولده على بن العون فبلغ ذلك الإمام عليه السلام فكتب إليه يعزيه فى ولده وقال شعرا إليه :

أبلغ الشيخ العون عون الإمام	يارسولى تحيتى وسلامى
وقل الآن يا متوج همدان	وليث الصدام عند الصدام
جاء وقت القيام فانهض وشمر	إن هذا الأوان وقت القيام
كنت أنهاك قبل قتل على	عن هشام فقلت من كهشام
ولعمرى مارمت يابا حميد	بموالاته بخير مرام
فجزاك الذى جزاك وهذا الطبـــع	فيه من سالف الأيام
قد صحبناه قبل ذا فوجدناه	قليل الوفا كثير الكلام
وإذا لم تنقم عليه أبا معن	فهذا سقوطكم فى الأنام
يا لهمدان بعد قتل على	وهو يحمى عراضها ويحامى
فانقم الثار يابن زغبة واهتف	ببنى عمك الحماة الكرام

---

(١) فى الأصل لا نرد تول .

جميع الأنام عون لك اليو ... م يمانيهم ومن بالشآم

وأنا قائم بثأر ابن روح ... وعلى بكل جيش لهام

لست انفك أو أزيل هشاما ... أو يرى العالمون فيه انتقامى

فلقد طال ما يحيط فى نجران بالظلم واكتساب الحرام

ثم هذا أوان تطهير نجران من الرجس والزنا والآثام

قل لمن ناله هشام بغدر ... وبلاه بسطوة واهتضام

يترقب نصرى له وانتصارى ... فأنا للضعيف والأيتام

سوف أملا البلاد خيلا ورَجْلا ... يتغادى كموج يَمٍّ طامى

وأديل الأنام دولة عدل ... يَتَفَيَّا فيها ذوو الأنعام

وترى غر آل علوان نصرى ... لهم فى رفيقهم واهتمامى

أحسن الله فى على عَزاَهمُ ... وكفاهم مخوف صرف الحمام

قال ثم إن هشام بن نباته وصل إلى الإمام عليه السلام فلما وصل إلى عنده قال إن العبد يأبق ثم يرجع إلى مولاه وقد أتيت إليك يامولاى فاصنع ما شئت ، فعطف عليه وقبل منه وأمنه وأمره بالإنصراف إلى بلاده . ثم أقام الإمام عليه السلام بموضعه بجبال خولان مدة إلى مخرج سنة أربعين وخمسمائة . ثم وصل إليه فى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة كتاب من الشريف السيد على بن عيسى بن حمزه السليمانى من مكة يذكر له فيه وصول الشيخ الفقيه زيد بن على بن الحسن البيهقى من بلاد خراسان ، وكان فقيها عالما ورعا عابدا ومعه كتب كثيرة جامعة لفنون العلم وأنه يريد الإتصال بحضرته والزيارة لقبر جده الهادى إلى الحق عليه السلام وأولاده . وقد كان وصل فى تلك المدة إلى الإمام عليه السلام الشيخ الأجل محمد بن عليان فأقام عنده مدة من الزمان وهو رائد لشيعة اليمن

بوقش [١] وغيرها وطريقته إذ ذاك غير طريقتهم فأقام يسأل الإمام عن المشكلات ويبحثه عن غوامض المعلومات ، وكان منه أنه أرسل لجميع شيعة بلاد خولان وأهل الهجر منهم فوصلوا إليه ، وفيمن وصل منهم الشريف الأجل محمد بن يوسف والشيخ الأجل الحسن بن أبى محمد بن عبد الباعث وكثير من المسلمين من الشرفاء وخولان وأهل صعدة ، فسألهم عن الإمام عليه السلام وعن اعتقادهم فيه فقالوا مامنا إلا من قد بايعه وتابعه ، فقال لهم فما أقعدكم عنه قالوا لم نصبر على ما صبر عليه . فأمرهم بتجديد البيعة للإمام ففعلوا فلما فرغوا من البيعة بايع بعدهم ، وكتب إلى أهل الهجر باليمن يعرفهم مانظر، ويبين لهم ما فعل وأنه قد وجد بغيته التى طلب وإرادته التى أحب . وكان من أكبر العلماء بصعدة إسحق بن أحمد بن عبد الباعث وأعرفهم وقد كان بايع الإمام عليه السلام ، وكان يخطب له بمسجد الجامع بصعدة ، مسجد الهادى إلى الحق عليه السلام . وكان وصل إليه السعر بن أبى الليل الجابرى إلى صعدة وأتى وهو فى محراب مسجد الهادى فقال له يا شيخ قد كنت أتمنى أن ألقاك وحدك وأنا رجل جاهل لا أقرأ ولا أكتب وقد قمنا مع هذا الإمام وقتلنا وقُتلنا وأعطيناه زكاة أموالنا ولا ندرى نحن على صواب أم على خطأ ، وأنت اليوم أكبر علماء بلادنا وقد أردت أن أجعلك بينى وبين الله فما هديتنى إليه فعلته وإن استكتمتنى حديثا كتمته ، وأقسم له على ذلك بأيمان وطلاق ونذور أنه لا يخرج له سرا استكتمه إياه. فغضب عند ذلك الشيخ إسحق وقال له أفأكون على هذا السن فى هذا المكان الشريف أخطب له فى مسجد الهادى على منبر المرتضى والناصر عليهم

---

(١) وقش بالتحريك : قرية من عزلة بنى قيس ناحية بنى مطر .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ١ ص ١٢٢ ؛ السياغى ، معالم الآثار اليمنية ، ص ٣٤ ؛ التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥ .

السلام فى كل جمعة فى مثل هذه المدينة وأدعو له ويكون عندى غير ما أبدى ، أفتجعلنى منافقا وتعب من كلامه تعبا عظيما ، فاستعطفه واعتذر إليه مما قال وقال له إنى قلت لك فى أول كلامى إنى رجل جاهل ، فأقبل إليه وقال أنت مصيب فى جهادك وهو الإمام فزد على جهادك جهادا وعلى اجتهادك اجتهادا . قال ثم إن الشيخ محمد بن عليان طلب من الإمام التقدم إلى اليمن فاعتذره فتقدم آيبا إلى بلاده ، وطلع الإمام عليه السلام إلى حيدان فأقام به إلى شهر جمادى الأولى من شهور سنة إحدى وأربعين وخمسمائة .

ووصل إليه الشيخ الأجل الفقيه زيد بن الحسن البيهقى إلى هجرة محنكة ومعه كتب غريبة وعلوم حسنة عجيبة ، فسُر به الإمام عليه السلام وتلقاه بالبشر والإتحاف والبشاشة والإنصاف وخلاً له موضعا فى منزله فأقام به مدة ، وكان رحمه الله شديد الورع والعبادة حسن الطهارة والزهادة ، وكان ربما يتوضأ لصلاة الظهرة فيصلى بذلك الوضوء الظهر والعصر وصلاة المغرب والعشاء الآخرة ثم يصلى به آخر ليلته إلى أن يطلع الفجر فيصلى به الفجر ، وهو مع ذلك صائم وكان يتابع بين رجب وشعبان ورمضان فى الصوم وكان رحمه الله يؤيد الإمام عليه السلام ويحض الناس على طاعته . قال ذات يوم للقاضى الأجل سليمان بن شاور إنا يا معشر الزيدية بالعراق لنطول بهذا الإمام ونزداد به على جميع الفرق فى الآفاق ، ثم أقام رحمه الله مجاورا لقبر الهادى إلى الحق عليه السلام مدة من الزمان وكان يتفرغ يوم الخميس وليلة الجمعة فى رواية الأخبار فى فضل آل محمد لا يخلط مع ذلك سواه . حدثنى من أثق به عن رجل من أهل صعدة أنه قال : أقام بصعدة سنة ونصفا يروى الأخبار فى ذلك فما أعاد خبرا فيه مرتين ، وكان فيمن تقدم معه من تهامة الحسين بن شبيب الفقيه فسأل

الإمام عليه السلام التقرب إلى أحواز تهامة ومكاتبة الأمير غانم بن يحيى بن حمزة بن وهاس السليمانى وكافة بنى سليمان والموعظة لهم لأنهم كانوا على فسق وظلم . فأجابه الإمام إلى ذلك وتقدم إلى بلاد الأبقور واستنهضهم فى عسكر كثير وحط بموضع يقال له الصيَّابة بأعلى جازان [١] فى شق تهامة ، فلما علم به غانم بن يحيى أرسل لبنى سليمان فوصلوه وتألفهم بمال كثير وتألف أيضا أهل هجرة الجحيف [٢] الفقية حسينا ومن معه ، وأرسل إليهم بمائتى دينار ومائتى مكيال بمكيال تهامة طعاما، وكتب عوائد لبنى سليمان لمشايخهم لكل رجل فى اليوم خمسة دنانير وأكثر من ذلك وأقل غير الطعام فأوقفهم بذلك عن الإمام . وأقام الإمام عليه السلام بالصيابة أربعة أشهر وقد كان جمع وهاس بن غانم جمعا كثيرا وأراد به البيات للإمام وأصحابه فوصلته النذراء من أهل تهامة، فأمر بنار فأوقدت وخرجت أصحابه بقياسهم وتراسهم فلما نظرهم جمع وهاس تيقنوا أنهم قد شعروا بهم فانهزموا أقبح هزيمة ، فأخذت الأشجار والهياج أكثر ثيابهم وسلاحهم وراحوا متفرقين ولم يعرف أصحاب الإمام طريقهم فيتبعوهم . ثم إن غانم بن يحيى أمر بعض أولاده إلى الحبشة [٣] إلى المهجم [٤] وزبيد [٥]

---

(١) جازان من أودية عسير وينحدر وادى جازان من بلاد خولان بن عمرو إلى البحر الأحمر .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٩٨ ، ١٣٦ : الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ص١٧١ .

(٢) الكلمة غير منقوطة فى الأصل ، ولم يرد لهذا الموقع أى ذكر فى المصادر الأخرى.

(٣) يقصد بنى نجاح .

(٤) المهجم بفتح فسكون ، من مدن تهامة الشمالية تقع على وادى سردد ما بين جبل ملحان ومدينة الزيدية .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ص ١٥٩ ، جـ ٢ ص ٢٩٨ ، اسماعيل الأكوع ، البلدان اليمانية ، ص ٢٦٧ .

(٥) زَبيد بالفتح ، واد من أودية اليمن الكبيرة تأتيه المياه من مغارب بلاد عنس ويصب فى البحر الأحمر ، وبه سميت مدينة زَبيد . =

وإلى قائدهم سرور يطلب منهم المادة والنصرة فلم يجيبوه ، فلما أن لم يبلغ إلى شئ أرسل إلى الإمام رسلا يطلب الدخول في الطاعة والتوبة على يديه وقد كان تقدم من الإمام عليه السلام إليه شعرا يعظه فيه وهو الذى يقول فيه :

هجرت المعاصى فاحتمتنى المظالم ... ومن لم يهاجر أثقلته المآثم

وقمت بأمر الله لله غاضبا ... ومثلى بإصلاح البرية قائم

دعانى إليه أحمد ووصيه ... وسبطاه أجداى ويحيى وقاسم

وهم سفن للحق ينجو بها الملا ... ونور لمن يهدى بهم ودعائم

وقد كان دين الله أتلف بعدهم ... وقد هدمت أركانه فهو جاثم

فشيدت ركن الدين بعد انهدامه ... وليس لما أبنى مع الله هادم

ولا يمت حبل الدين بعد انقطاعه ... فها هو هذا صدعه متلائم

[ ] [1] لما يعز الدين فى كل بلدة ... ويصفى الوداد الكل ممن يسالم

وإنى لأرجو الله جل جلاله ... يعين على عز الهدى فهو حاكم

فمن ربنا التوفيق والنصر والعطا ... ومنى صبرٌ صادقٌ وعزائم

فأما بنو قحطان أنصار جدنا ... فمنهم لنا نصر حديث وقادم

ولم يبق إلا عترتى وعشيرتى ... بنو حسن قومى الأسود الضراغم

بنوحسن قومى الأولى إن ذكرتهم ... بمعضلة هانت علىّ العظائم

همُ نقموا ثأرا لقحطان عن يد ... بمكة فيما قد جنته الأعاجم

فصالوا عليهم صولة حسنية ... ولولاهم لم ينقم الثأر ناقم

وهم نهضوا قدما بثأر ابن جعفر ... إلى الجوف لما أحكم الرأى حازم

فجالوا على نهم وحازوا رحالهم ... وأبوا وقتلاهم عليها الحوائم

فياعدتى من أحمد يا قبيلتى ... ذوى المجد من حازته عنى التهائم

= ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ص ٧٠ ؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(١) بياض فى الأصل .

أعينوا على إعزاز دين محمد ... فإنى لمن يسموا إلى الحق خادم

يقودكم الملك بن يحيى بن حمزة ... فذلك بحر زاخر متلاطم

أميركم المشهور وابن أميركم ... حوى الجود والفخر المتوج غانم

أمير له كسب المكارم عادة ... يقصر عنه فى السماحة حاتم

إذا زال ما قد قلت بالدين والتقى ... وقدم للأمر الذى هو قادم

فقم معنا فى عز دين محمد ... فمالك مبذول وعرضك سالم

ووصالك إن واصلتنا متواصل ... وحظك مسعود ووجهك باسم

فأنت أبا الوهاس أولى بنصرنا ... وأنت لنا فى كل أمر مساهم

قال : فلما أن بلغ غانم بن يحيى هذا الشعر رد جوابا له يعد فيه بالمساعدة والدخول فى الطاعة فأنفذ إليه الإمام عليه السلام الشخ السعر بن أبى الليل فاستوثق منه على التوبة والنصيحة والمساعدة والمعاضدة ثم انثنى الإمام عليه السلام منه هنالك إلى موضعه بالجبجب فأقام به أياما . وحدثت حروب بين يرسم وأهل صعدة ، وقد كان طلع جبل بنى عوير فى الخريف يتصحح فيه بالعنب من أمراض وحميات نالته من سفر تهامة ، فلما رأى الحرب مالت على يرسم وغلبهم أهل صعدة بالكثرة والمال وكادوا يأتون عليهم فنهى أهل صعدة عن أهل يرسم [1] فلم ينتهوا فآذنهم بالحرب . وطلع المغرب فاستنهض قوما من شعب حى، وكانت بنو سعد أعداء لشعب حى فحاربوا مع أهل صعدة وكثير من خولان فوصل الإمام بمن معه إلى موضعه بالجبجب وهم زهاء من مائة ترس وقياس قليلة ، فنهض لحرب أهل صعدة فأتى وهم فى كثرة وقوة قدر خمسمائة ترس وألف قوس فعبأ عسكره ووقف على باب الرمادة ينظر القتال . فأتى إليه الشريف

---

(١) فى الأصل الحرب .

الأجل أحمد بن يحيى بن يحيى فاستدعاه إلى حائط في شق المدينة فأمر به من فرضه ودخل ودخل الإمام معه إلى أن أتى إلى جداره الذى يصالى المدينة ففضاه ودخلا جميعا إلى أن صارا فى موضع عسر فى المدينة يرمى من ثلاث جهات ، وفى وجهه فى الشارع عبد الله بن محمد المهول وهو مع أهل صعدة وحسن بن يوسف ومحمد بن الجاهلى ومقبل بن نجاح وقوم كثير من خيل ورجل، فلزم لهم الإمام عليه السلام الشارع ولم يدعهم يظهرون منه وليس معه غير قوم قليل من خاصته وخدمه . ثم خرج من فى المدينة فهزموا أصحابه الشعبيين إلى أن أبلغوهم بين حصن الناصر عليه السلام والجبجب والإمام عليه السلام لازم لباب الأمير ما ترك أحدا يخرج منه حتى رجع القوم الذين خرجوا من المدينة من عند حصن الناصر ، فأتوا له من خلفه وأحيط به من كل جهة هو وأصحابه والنبل عليهم مثل المطر من فوقهم ، ففرق الذين بين يديه وهو يطأ القتلى حتى خلص وخرج من بين حوائط المدينة وأهل صعدة وأتباعهم يعدلون بين يديه يمينا وشمالا حتى لحق بأصحابه وراح إلى موضعه ، فأقام به مدة وذلك فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة إلى آخر سنة أربع وأربعين . ثم إن الأشراف كافة بنى على بن أبى طالب عليه السلام باليمن اجتمع رأيهم أن يأمروا الكل منهم يلقى إلى مدر [1] من بلاد حاشد فى شهر صفر سنة خمس وأربعين فالتقوا ، وحضر منهم بشر كثير يزيد على الألف من ذرية على بن أبى طالب ومن الشيعة وعلمائهم فيهم الشيخ الأجل محمد بن عليان رحمه الله ، فعرضوا أنفسهم ونظروا من يصلح

---

(١) مدر قرية من عزلة الخميس ، ناحية أرحب ، على بعد ١١ كم شرقى ناعط . وتقع ما بين ١٣ْ ٤٦َ ١٥ً شمالا ٥٣ً ١٣ْ ١٤ْ شرقا .

خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544A1 ؛ التوزيع السكانى فى محافظة صنعاء ، حـ ٢ ص ١٨٥ ؛ الأكوع ، اليمن الخضراء ، ص ٥٥ .

فيهم للقيام والجهاد ونفى المنكر والفساد فما وجدوا لذلك مستحقا. فعزم رأيهم على التقدم إلى الإمام عليه السلام ورأوا أنه لا يستحق المقام من ذرية على عليه السلام سواه لقيامه واشتهاره وإحيائه للدين وإظهاره عناية فى إطفاء المنكر واجتهاده فى حرب أعداء الله رب العالمين . وكان أكثر من حضهم [١] على ذلك الشيخ محمد بن عليان فنهض منهم ثلثمائة رجل فيهم من كبراء أهل البيت وفضلائهم الشرفاء الأجلاء إسحق ويعقوب ابنا محمد بن جعفر وابن أخيهما الحسين بن القاسم بن محمد بن جعفر وغيرهم من كبراء بنى القاسم، ومن أولاد حمزة بن أبى هاشم محمد بن القاسم بن يحيى بن حمزة وموسى بن داود وغيرهما من كبرائهم وكبراء أولاد العباس بن على رضى الله عنه فوصلوا إليه وهو بالجبجب فتلقاهم عليه السلام بالبشر والإكرام والإتحاف والإعظام وسر بمقدمهم إليه . فأقاموا عنده أياما وبايعوه وسلموا الأمر إليه وركنوا فى جميع أمورهم عليه. وسألوه النهوض معهم فاعتذرهم من ذلك وقال أنى لا [أجد أحدا][٢] منكم معى يصبر ولا أجد أحدا منكم يقوم بنصر، فقالوا له إنا قد طلبنا من هو أولى منك بهذا المقام فلم نجد أحدا سواك ، وقد كنت تدعونا فلم نجبك فكانت لك الحجة علينا واليوم قد صارت لنا الحجة عليك وقد ألقينا مقالدها إليك . فقال تالله لا كانت لكم الحجة على وعزم على النهوض معهم والإختبار لهم ، فنهض عليه السلام ونهضوا معه وأراد به ابتداء الهجرة بالجوف لتكون له عونا على ما يريد وملجأ من كل ضد عنيد ، فتقدم حتى وصل عيان وأتاه كتاب من صنوه الشريف الأجل عبد الله بن سليمان وهو يومئذ ساكن بحوث يعلمه فيه بكثرة المنكر والفساد فى جميع البلاد من شرب الخمور وإظهار الشرور ، وأشار عليه

---

(١) فى الأصل حظهم .

(٢) فى الأصل أكن .

بالرجوع من هنالك وقال فى كتابه إنه لو أراد صلاح قرية واحدة ما قدر على ذلك ولو جمع ما فى قرية من قرى الظاهر [١] من الخمر وسيّل لسال إلى موضع بعيد . فلما وقف على كتاب أخيه نظر فيه وراجع نفسه وقال لا يلزمنى أن أرجع لأجل كتاب ، بل أتقدم إلى أول قرية فإن نزهتها عن المنكرات وقمعت أهلها من الظلامات فالذى بعدها يجرى مجراها ، وإن امتنعت منى فما بعدها يكون أشد منها ، وتقدم عليه السلام من عيان وذلك فىَ شهر جمادى الأولى سنة خمس وأربعين فلما وصل قريب بل من الهجر ، هجر الهراثم من بلاد وادعة لقيه الشيخ الأجل عيسى بن بايع الوادعى وهو من مشايخ وادعة وأهل الدين والإجتهاد وقد كان فيما تقدم غلبه من بناحيته من أهل الفساد وداهنهم قوم منهم يتسمون بالدين وهم من المطرفيه [٢] فى بعض معتقدهم . فلما اشتد بالإمام أزره [أمر ذلك الشيخ] [٣] فخرب منازل قوم كانوا مدمنين على شرب الخمر وطردهم،

---

(١) تطلق كلمة الظاهر على كل ما ارتفع من البلدان ، والمقصود هنا ظاهر بلاد همدان ، وهو واحد من أتساع بلاد بنى صريم ، ويشمل مدينة خمر .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ٣ ص ٥٦٣ .

(٢) المطرفية فرقة من فرق الزيدية نسبت إلى مطرف بن شهاب . وقد بدأت ارهاصاتها الفكرية فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، ثم صارت فرقة ومذهبا فى أوائل القرن الخامس الهجرى . ويرى أصحاب هذه الفرقة أن الله خلق الأصول الأربعة الماء والهواء والنار والتراب ، ثم خلق منها الفروع بالاحالة والاستحالة . وأن الله قد ساوى بين الخلق فى ست خصال ، فى الخلق والرزق والموت والحياة والتعبد والمجازاة ، ونفوا جميع الأفعال عن الله . ولهم آراء خاصة فى نزول القرآن والنبوة وغير ذلك .
للمزيد من المعلومات عن المطرفية ، انظر :
سليمان بن أحمد المحلى ، البرهان الرائق المخلص من ورط المضايق ، مخطوط رقم ٦٧٣ بمكتبة الأوقاف بالجامع الكبير بصنعاء ، عبد الله بن زين العنسى ، التمييز بين الاسلام والمطرفية الطغام ، مخطوط مصور بمكتبة الدكتور رضوان السيد ، عبد الغنى محمود عبد العاطى ، المطرفية فى اليمن بين العلم والسياسة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، العدد الحادى عشر ، مايو ١٩٩١ ، ص ٩٧ - ١٤٤ .

(٣) بياض فى الأصل والإضافة من اللآلىء المضية ، جـ٢ ورقة ١٨٧ .

وأتى إلى الإمام ومعه شئ من آلة لهوهم فكسره وقال الحمد لله الذى أرانى هذا اليوم . قال ، فلما سمع بفعاله بنو شرحبيل [١] وسائر وادعة وأهل الظاهر ارتسموا بمثل فعله وأهرقت الخمور بمواضع من بلادهم منها قرية المدحك [٢] وحوث وغيرها وجرت الشدة عليهم ونفذت أحكام الله سبحانه فيهم ونكل بأعداء الله وأعز أولياءه . ولما تقدم الإمام عليه السلام إلى حوث والتقاه أهلها بالسمع والطاعة والدخول تحت أمره . وأتى القاضى الأجل نشوان بن سعيد [٣] بشعر قاله يهنئ به الإمام ويحض فيه بنى علىٍ على النصر له والقيام يقول فيه :

سلام الله كل صباح يوم ... على خير البرية أجمعينا
على الغر الجحاجح من قريش ... أئمتنا الذين بهم هُدينا
بنى بنت الرسول إلام كُلٌّ ... يظن بكم من الناس الظنونا
وخيل لا تقاد إلى مغارٍ ... فتفتتح المدائن والحصونا
وأسد لا تصول على قريش ... ولا تحمى بصولتها العرينا
فأسوا هجرة للحق ترضى ... بحسن العدل رب العالمينا
تكون لكل أواب ملاذا ... وسلكا ناظما للصالحينا
فأبلغ ساكنى الأمصار أنا ... بأحمد ذى المكارم قد رضينا
بأكرم ناشئ أصلا وفرعا ... وأعلى قائم حسبا ودينا
رضينا بالإمام وذاك فرض ... نقول به ونعلن ما بقينا

---

(١) بنو شرحبيل فى اليمن كثير وقد ذكرهم الهمدانى فى الجزء الثانى من الإكليل ، ويتضح من النص أن بنى شرحبيل المذكورين من قبائل وادعة .

(٢) المدحك ذكرها الهمدانى من بلاد وادعة ، والمقصود هنا بلاد وادعة حاشد من قبائل بنى صريم المنتشرة فى قضاء خمر .
انظر الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢١ ، ح ٦ نفس الصفحة .

(٣) القاضى نشوان بن سعيد الحميرى من علماء الزيدية ، من أشهر مؤلفاته شمس العلوم ، ودواء كلام العرب من الكلوم .

فلم نر مثله فيمن رأينا ومثل أبى المطهر لن يكونا
كأنى بالعساكر معرضات وأنصار الهدى عضبا [١] عرينا [٢]
وخيل الحق مقرنة عليها رجال دارعون وحاسرونا
ويضحى المؤمنون بكل أرض بما يرضى المهيمن حاكمينا

ثم تقدم الإمام عليه السلام إلى بلاد بنى قيس فلقيه بنو صريم فأطاعوه وبايعوه وائتمروا بأمره وانتهوا عن نهيه ، ووصل إلى مسلت [٣] فأقام بها أياما وقال شعرا يؤنب فيه بنى على ويؤلفهم ويدعوهم للهجرة معه بالجوف والعمارة بعمران [٤] وهو الذى يقون فيه :

يا بنى هاشم بنى الأخيار وبنى المنجبين والأطهار
من نبى ومن وصىّ رضيّ وإمام من عترة المختار
أنتم أهل الفضل والجود والمجـ ـد وأنتم أهل العلا والفخار
أنتم أهل العلم والحلم والدين وأنتم أهل النهى والوقار
ليس هذا منكم بمستنكر بل ضده فاعلموا لطيب النجار
أنتم فوق ما ذكرت ولكن قد بليتم بالقل والإعسار
واعتمدتم على الشحاذة والبِـ ـرّ وذل السؤال والاعتذار

---

(١) العضب : السيف .
الزبيدى ، تاج العروس ، مادة عضب .
(٢) العران : القتال .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة عرن .
(٣) مسلت قرية من عزلة بنى قيس ، ناحية خمر ، وهى من أوطان بنى صريم .
التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥ ؛ النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن، حـ٢ ص ٢١٧ .
(٤) عمْرَان مدينة خربة بالجوف .
الهمدانى ، الإكليل ، حـ ٨ ص ١٥٨ ، ح ٥٥ نفس الصفحة ؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص٤٧١ .

سير المقعدين الجذم والعميان والمطربين والشعار

إن هذا لهو الخسارة والعجز   وهذا رأس الخزا والبوار

فانكفوا يا بنى على وقوموا   واغضبوا من فعل الدنا والصغار

واسمعوا ما أقول واتبعونى   بجيوش وجحفل جرار

لمحل وهجرة فى بلاد   زينت بالأنهار والأشجار

فيها لم شملكم وإليها   اجتماع الأعوان والأنصار

فإذا كان بعد ذلك قمنا   لجهاد الفساق والكفار

ولنا معقل نعود إليه   فهو حصن لنا من الفجار

ولنا فاعلموا من الجوف أنصار   وعون من بدوهم والقرار

فانهضوا يا بنى على وقوموا   بالمواضى وبالقنا الخطار

واشكروا يا بنى على بنى قيس ذوى المكرمات والإصطبار

واذكروا ما أولوا من الجود والمجد وصبر فيهم وحفظ جوار

بذلوا المال والنفوس جميعا   فجزاهم فى ذلك عنا البارى

إننى شاكر لأهل زريب   ومجاز لهم وأهل عرار (١)

ولأهل السبيع (٢) والهيصميين بناة العلا وآل كبار (٣)

بارك الله فيهم وجزاهم   من أعم الثمار والأمطار

---

(١) عُرار بفتح العين وضمها وفتح الراء ، بلدة فى شمال غرب ريدة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٥٨ ، ح ٥ نفس الصفحة ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ٣ ص ٥٩٧ .

(٢) السُّبيع بفتح السين وكسر الباء . قبيلة من حاشد من ولد السبيع بن السبيع بن عصب .. ابن حاشد والسبيع قرية من عزلة بنى قيس ناحية خمر .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ٣ ص ٤١٥ ؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥ ؛ النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦ .

(٣) آل ذى كبار وهم الكباريون من همدان .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١١٥ .

وعلى أحمد النبي صلاة جمة ما إستطال ضوء النهار

قال : وأقام الإمام عليه السلام بمسلت ثلاثة [١] أشهر والناس يفدون إليه من كل مكان يبايعونه ويدخلون تحت أمره ونهيه ، وبلغه إذ ذاك قتل الشيخ محمد بن عليان رحمه الله . وذلك أن حاتم بن أحمد وسلمة بن الحسن الشهابي لما علما باجتهاده في إظهار كلمة الحق وحضه للناس على القيام مع الإمام والنصر له ووصوله إليه ذلك إلى بلاد خولان ومحبته لأهل البيت ، اجتهدا في قتله فأمرا به رجلا من يام فقتله في شق سهمان [٢] . ووصل إلى الإمام عليه السلام الشريف العفيف محمد بن عبد الله العلوي والشيخ الأجل طريف بن الحسين السنحاني وجماعة معهما من المسلمين أهل سناع [٣] وهو بأثافت فأخبروه بذلك فغضب غضبا شديدا من قتله .

ذكر الهجرة بالجوف وبناء عمران :

ثم تقدم الإمام من فوره ذلك هو وجماعة من الأشراف وأهل سناع إلى الجوف في أول شهر رمضان من سنة خمس وأربعين ، فلما وصل وعزم على الهجرة به والبناء بعمران وشاور على ذلك السلاطين الأجلاء ربيع بن جحاف بن

---

(١) في الأصل ثلثة .

(٢) سهمان بالكسر وإليه ينسب حقل سهمان في سفح جبل حضور بناحية البستان غربي صنعاء . الهمداني ، الإكليل ، حـ ٢ ص ٢٢٩ ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، حـ٢ ص ١٢٣ .

(٣) سناع وتكتب سنع ، قرية من عزلة حزة صنعاء ، ناحية بني مطر . أقام فيها مطرف بن شهاب أول هجرة للمطرفية فصارات مركزا علميا لتدريس مذهب المطرفية والمناظرة علية . مسلم اللجحي ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ١٣٢ ؛ عبد الغني محمود ، المطرفية في اليمن ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، حـ ٢ ص ٣٢ .

ربيع وكافة إخوته وبنى عمه بنى دعام [١] فأجابوه إلى مراده وسعوا إلى إسعاده. ووصله إذ ذاك الشيخ الأجل فليته بن العطاف النهمى ، فأعلمه بكلامه مع السلاطين وإجابتهم له ، فأجابه وساعده ، وعقد له الكل وبايعه وكان ذلك تصديقا لما روى فى بيت شعر من حكومة قديمة يقول فيه :

لابد صاحب صنعا أن يرى ضـــررا ممن يلى عمران الجوف ذا الكثب

ثم نهض عليه السلام إلى عمران فعمر موضعا فيه يقال له المقيلد [٢] وكان من معاقل الجاهلية ومآثرهم القديمة فضرب مضربه هنالك ، وأمر بالبناء فيه وحفر بئر وجدها فيه قديمة فأخرجها واستمرت العمارة فيه وأمده الناس من كل ناحية بأحمال الزبيب والطعام وقاموا معه فى ذلك باجتهاد ونشاط . فلما أن علم حاتم بن أحمد بكون الإمام هنالك وبطاعة الناس له وقيامهم معه واجتهاده فى ذلك وعنايته خاف أن العاقبة تكون على دماره وإهلاكه ويؤول الضرر عليه وعلى من معه من أجناده . وقد كان وصله إلى صنعاء السلطان أسعد بن حسين البحيرى ومعه مقدمات ذيبان وسفيان فحلفهم وأعطاهم شيئا من المال وواعدهم بالنهوض بالعساكر الكثيرة فى عيد رمضان إلى الإمام عليه السلام والإساءة عليه إلى الجوف والمحاربة له هنالك . فلما أن كان فى رمضان جمع خيلا وافرة ورجلا كثيرا من صنعاء وأعمالها فنهضوا وزادهم من همدان من البون [٣] من

---

(١) آل دعام ، أهل درب ظالم بالجوف ، بطن من بكيل الهمدانية .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ؛ أحمد بن يحيى ، الدر المنثور ، ورقة ٩٠ .

(٢) المقيلد أحد الوديان الصغيرة المقابلة لعمران .
الهمداني ، صفة جزير العرب ، ص ٢٨٣ .

(٣) البون حقل واسع ، ينقسم إلى جزئين البون الأعلى ومن قراه قاعة وقارن والبون الأسفل ومن قراه ريدة .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ١ ، ص ١٣٠ .

زادهم . وتقدموا إلى أن بلغوا بلاد الصيد [١] فلقيهم الأشراف الأجلاء بنو حمزة والشيخ الأجل أحمد بن أسعد بن جعدية وقوم من الصيد من فخذ حاشد فردوهم عن بلادهم ولم يدعوهم ينفذون عليهم وردوهم من فورهم ذلك خائبين خاسرين . وقد وصل إلى الإمام عليه السلام العلم بهم مع الشريف الأجل على بن أحمد بن جعفر بن القاسم بن على عليه السلام وكان واصلا من ناحية صنعاء فأعلم الإمام ومن معه بذلك وبكثرتهم وعزمهم على القصد إليه ، وقال له إنى أرى أن تتحول بمن معك إلى بعض دروب الجوف والاحتراز فيه فصوب ذلك جل أصحابه وجزعوا جزعا عظيما . فقال الإمام عليه السلام لا أبرح موضعى هذا حتى يأتى الله بأمره وأقسم على ذلك فوقف معه أصحابه على تعب عظيم ، فلما كان من الغد عند طلوع الشمس إذ بعجاج ثائر قد سد الأفق من ناحية المشرق من أسفل الوادى فنظروا إليه فتجلى عن الظعائن والهوادج وأزواد [٢] الإبل الكثيرة . فسألوا عنهم فقيل إنه الشيخ فليته بن العطاف النهمى قد أتى ممدا للإمام عليه السلام وناصرا له فوقفوا قليلا إذ وصل فسلم على الإمام هو وخيله ورجالته وقال له إنا سمعنا بمخافة عليكم فأتينا نواسيكم بأنفسنا وأهلنا وأموالنا ، فأثنى الإمام عليه ودعا له وأقام معه أياما . قال: ثم إن عسكر حاتم لما رجعوا من بلاد الصيد وردوهم هنالك توجهوا يريدون بلاد عذر مطرة [٣] ويجعلون طريقهم من

---

(١) الصيد بفتح الصاد والياء بطن من خارف من قبائل حاشد . وبلاد الصيد متصلة بالبون ، ومن قراها المشهورة كانط وناعط .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ١ ص ٢١٧ ، حـ ٣ ص ٥٤٨ .

(٢) الزاد هو طعام السفر والحضر جميعا والجمع أزواد .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة زود .

(٣) مطرة بفتح أوله وكسر ثانيه ، بلد بين نهم وأرحب ، وبمطرة أودية عظام تنقلب كلها إلى الخارد .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٥٤ ، ٢١٦ - ٢١٧ ؛ الإكليل ، حـ ٨ ص ١٧٦ ؛ البكرى معجم ما استعجم ، حـ ٤ ص ١٢٣٩ .

هنالك فحطوا بموضع يقال له المنوا [١] فلقيهم الشرفاء بنو حمزة وقوم من حاشد وذيبان فيهم أحمد بن أسعد فهزموهم وأخذوا لهم دوابا ودروعا وأزوادا وجمالا وصوبوا قوما منهم بالنبل « وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً » [٢] . فأقام الإمام يعمر فى المقيلد شهر رمضان وشوال ، وقد كان عاد الشريف العفيف محمد بن عبدالله والسلطان ربيح بن قبايل الشهابى ومن معهم من أهل سناع، وأغار طريف بن الحسين وعمرو بن عبد الرحمن على صنعاء فأخذوا غنما لهمدان ، وتحرك لذلك جميع المسلمين باليمن وأنبهم الشريف العفيف وربيح بن قبايل وإسماعيل بن حاجب ونبهوا الشريف على بن يحيى بن يحيى وسائر أهل الهجر فاتعدوا على النفير إلى الإمام عليه السلام من جميع هجرهم من بلاد بنى شهاب وهجر بلاد بكيل وذمار ونواحيها فاجتمع منهم بشر كثير زهاء من ألف وأربعمائة رجل فيهم خيار علمائهم وفقهائهم وأهل المعرفة منهم والدين ، منهم السلطان إسماعيل بن حاجب الشهابى وإبراهيم ابن عبد الله الحجلم البكيلى وعبد الحميد بن الحسين والقاضى الأجل جعفر بن أحمد بن أبى يحيى وغيرهم من علمائهم . ونهض معهم الشرفاء الأجلاء الحسين وعلى ابنا محمد بن أبى الفتح وشرفاء من بنى العباس وغيرهم وجعلوا طريقهم على بران [٣] وجبل يام ووصلوا إلى الإمام عليه السلام

---

(١) المنوا من بلاد الخشب .
يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، جـ ١ ص ٢٥٥ . والخشب وطن من أرحب فى ظاهر همدان شرقى ريدة .
الهمدانى ، الإكليل ، جـ ٢ ص ١٦٦ ح ٤٩ ؛ صفة جزيرة العرب ، ص ١٩٥ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية ٢٥ .

(٣) بران بفتح الباء وتشديد الراء بلدة فى شرق بلاد نهم .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٢ ، ح ٣ نفس الصفحة ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ص ١٠٧ .

وهو بموضعه بالمقيلد فسر بهم وقابلهم بالبشر والكرامة وقربهم وأدني منازلهم وأقاموا عنده ثمانية أيام يستفتونه ويسألونه ويباحثونه عن المشكلات ويذاكرونه ويدرسون فى كتاب الحقائق وكتاب ألفه فى أصول الفقه وهو كتاب المدخل إلى الفقه . ثم أتت الجمعة فاجتمعوا إليه فخطب وصلى بهم الجمعة وهم مع ذلك يختبرونه ويتصفحونه فى حسن طرائقه ومحمود سيرته وخالص سريرته ، فلما صح عندهم وتيقن أنه بغيتهم التى بغوا ورجيتهم التى رجوا اجتمعوا واشتوروا وشهدت علماؤهم ومشايخهم لسائرهم أنه الإمام وأنه مثل جده الهادى عليه السلام ، وكان ممن شهد منهم بذلك إبراهيم الحجلم وعبد الحميد ثم إنهم أتوا إليه وقالوا له إن فريضة الجهاد قد لزمتنا ونصرتك قد وجبت علينا وقد الآن ثبتت لنا إمامتك ونحن التائبون إلى الله فى خذلنا وتفريطنا فيما تقدم فى إجابتك ونصرتك ، فامدد يدك نبايعك . وتقدم إليه كبارهم وعلماؤهم ورؤساؤهم فبايعوه وتبع بعضهم بعضا إلى أن بايع الكل منهم فلما أن فرغوا من ذلك سألوه النهوض معهم إلى اليمن ، وكان ذلك إرادته عليه السلام لرغبته فى الجهاد وإرغام أهل الظلم والفساد والقيام بثأر الشيخ محمد بن عليان .

قال الراوى : وكان مما قيل فيه فى وقت إقامته بالجوف أشعارا كثيرة ومدائح حسنة من أحسنها شعران جيدان للشيخ الأجل نشوان بن سعيد يقول فى أحدهما :

بدلت إيحاشا من الإيناس ... وأسا لبينك ماله من آس

وصبابة مقرونة بكآبة ... موصولة بتقطع الأنفاس

هل لى على ما فى الحشا من مسعد ... فيما أكابد من جوى وأقاسى

إنى بتذكار الأحبة مولع ... إن ينسهم ناسٍ فلست بناسى

سقًى المقيلد سهله وحزونه ... ورباه صوب العارض الرجاس

من كل منهمر العهاد مجلجل ... لجب ينير سناه كالمقباس
شوقي إلى جوف المحورة أنه ... خير البلاد وفيه خير الناس
أضحى بفضل أبي المطهر قائلا ... من لم يقل بتفاضل الأجناس
ليث يجود بقُوته لعُفَاته ... والبخل طبع الضيغم الفراس
وإذا تنازلت الكماة رأيته ... عند الطعان مقدم الأفراس
في الصيد من حسنٍ ذؤابة هاشم ... والغلب أخوتهم بني العباس
الضاربين الهام في يوم الوغى ... والصادقين الباس عبد الباس
يلقى العدى منهم بأسد رجح ... في الروع لا ميل ولا إنكاس
عمدوا لأفضل هجرة في بلدة ... يَغْنَى المقيمُ بها عن الإفلاس
قل لي لهاشم حيث كانت هاشم ... ولشيعة في دينهم أكياس
قوموا بنصر الحي فالأموات لا ... يرجى القيام لها من الأرماس
لا تسمعوا من عاذل في أحمد ... تضحوا كصارف عسجد بنحاس
واستوطنوا بلدا خصيبا تظفروا ... منه بخير معيشة ولباس
فالجوف مملكة وكنز حاصل ... يغني عن الأعشار والأخماس
فالحمد لله الذي أحيى الهدى ... وأمات ظن عداته الأرجاس
وإمام عدل بالفرائض قائم ... يصل الفقير ببره ويواسي
متقفيا آثار أسلاف له ... أسُّوا له في المجد خير أساس
ظفرت به أيْمَانُنَا من بعد ... أن قبضت أناملنا على الأبلاس
وأقام قائم آل بيت محمد ... فينا وكان له من الحراس

وقال أيضا في الشعر الثاني :

سما بعد وهن راعيا لوميض ... رميض يشيم البرق شطر رميض
سرى في سواد الليل واعترضت له ... سلاسل حمر في سحائب بيض
تبسم ريح عن ثنايا وميضها ... بكل فم رحب الفتوق عريض

لك الله من برق سليم يهيج لى ... سقام عليل بالفراق مهيض

وشوقا إذا نام الخلى يهزنى ... كما هُزَّ قدح فى يمين مفيض

وذكرى أمير ماجد ذى خلائق ... كأزهار روض فى الربيع أريض

أبا حسن مازلت للمجد طالبا ... بعزم صحيح منك غير مريض

ولُبٍّ عزيزٍ ورأىٍ موفقٍ ... وعرضٍ عن الذام المعيب رحيض

فككت دروبا عن جموع كأنها ... دوائر فكت عن حدود عروض

وفصلت أسبابا بها وفواصلا ... ولكنها من سنة وفروض

وصُمٌّ عن المنظوم قومٌ فجاء هم ... نظام جيوش لا نظامُ قريضِ

نظمت لهم بيض السيوف قصائدا ... خلاف ملاهى معبد وعريض

قواف لهم من كل قوم أتتهم ... جوايز من قانى دم وغريض

وشلت نصيع الدين من بعد أن هوى ... وألصق منه حده بحضيض

وكانت بلاد الله فى زى حائض ... فطهرتها من ريبة ومحيض

ولم يثنك الإبعاد عن طلب العلا ... فتبدى قعودا منك بعد نهوض

وكل امرءٍ منا يعلل نفسه ... وتمسك بالتسويف نفس حريض

فلا أَفَلَتْ شمسٌ طَلَعْتَ بنورها ... ولا نالها صَرف الردا بنقيض

رجع الحديث : قال ثم إن الإمام عليه السلام عزم على النهوض إلى اليمن فنهض هو والذين وصلوا إليه وجماعة من أصحابه واستخلف على الهجرة رجالا من الأشراف وغيرهم ، وتقدم إلى أن أمسى بغيل مراد [1] ثم نهض من الغد فأمَّ

---

(١) غيل مراد نهر من أنهار الجوف سمى باسم قبيلة مراد التى تسكن فى مناطق كثيرة من اليمن . وقرية الغيل من ناحية الغيل بالجوف ، على بعد ١٨ كم شمال غرب براقش .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٧٠٣ ؛ التعداد السكانى التعاونى لمحافظة الجوف ، ص ٢٦ ؛ خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠٠ ، القطعة رقم ١ .

طريق براقش وهي طريق في غائط قليل الماء كثير الحر والسموم ، وقد كان أصحابه أرادوا أن يأتوا طريق جبل يام فغلب الإمام على طريق براقش وقد كان معه رجل من أهل الغائط من قوم يقال لهم بنو نفيل من خولان وكان رجّالا ففاته أول الناس وكان الذي يهديهم الطريق ، فأتى الإمام وقال إن الناس على غير طريق وإنهم توجهوا إلى موضع يقال له مجزر [١] وليس فيه مــاء والناس يتلفــون مــن العطش فأُمر من يردهم ، فطلب الإمام عليه السلام من أهل الخيل من يردهم فلم يجد أحدا وقد صاروا على مقدار ميلين ، فلما أن لم يقدر أحــد أن يلحقهم من التعب والعطش والسموم ، سار الناس على حالهم حتى لحق آخرهم أولهم بوادي مجزر فطلبوا الماء فلم يجدوه . فحطوا رحالهم هنالك وصلوا صلاة الظهر والعصر بالتيمم ، وبلغ الناس الجهد من العطش وجعلوا يتصايحون فيه، ويقول منهم من يقول من يسقيني شربة من ماء بقوسي ومنهم من يقول من يسقيني بثوبي فما وجدوا من أحد شيئا . فلما رأى الأمــام عليه الســلام ذلك قام إلى الوادي فعلم فيــه ثلاث مواضع وقال لهم احفروا هاهنا وهاهنا وهاهنا ، فحفروا موضعين فلحقوا الماء على قامة وبسطة [٢] فشرب الناس كلهم وسقوا بهائمهم وملأوا مزادهم [٣] وجميع أسقيتهم وطهروا واستفاضوا في الماء إلى الصبح ثم صلوا ورحلوا . فلما هم في بعض الطريق رجع منهم قوم لشئ نسوه من أدواتهم فأتوا وليس للماء أثر ولا بقى منه شئ ،

---

(١) مجزر قرية في الجوف من بلاد نهم .
الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٦٨٩ .

(٢) البسطة : الزيادة
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة بسط .

(٣) المزادة : الراوية التي يحمل فيها الماء .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة زيد .

فلحقوا الناس فأعلموهم وكانوا من أهل الصدق والثقة والدين فعجبوا من ذلك عجبا عظيما وزادهم ذلك تعريفا عل دلائله وتوقيفا على فضائله وعلى توفيق الله سبحانه وتسديده وعونه وتأييده . ثم تقدموا فباتوا بوادى حريب [١] أسفل وادى السر [٢] حيث يخرجون الفضة من معدنها هنالك وبينهم وبين السر نقيل صعب يقال له نقيل سامك [٣] وهو وعر شاهق إلا أنه مدرج من عصر الأولين ويمنع منه رجل واحد ألفا وألفين فلا يطلعونه . وقد كان حاتم بن أحمد أمر إلى أهل السر وقال لهم إن قوما يخرجون عليكم من الغائط فإذا تمكنوا من بلادكم قتلوكم وأخذوا أموالكم فالزموا لهم النقيل فإنهم لا يقدرون أن يصعدوه وبذل لقوم منهم على ذلك دنانير كثيرة . فاجتمع القوم إلى رأس العقبة وهم أهل قياس وتراس ودروع وحد وحديد ، فلما نظروا إلى الإمام عليه السلام وأصحابه وهم فى الوادى يريدون طلوع النقيل ألقى الله فى قوبهم لهم المحبة وقذف فى قلوب المفسدين منهم الرعب والهيبة ، فأرسلوا إلى الإمام رجلين منهم يطلبون منه الأمان لهم ولبلادهم ، فلما وصلا إليه أعطاهما رمحين وعقد لهم الأمان وأذم لهم على بلادهم . فلما طلع هو وأصحابه لقيه القوم فسلموا عليه ورحبوا به وقد كانوا

---

(١) وادى حريب فى بلاد نهم إلى الشرق من وادى السر ، ومشاربه من جبال السر ، ووادى حريب عزلة فى ناحية نهم أيضا .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٥٤ .التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، جـ١ ص ٢٣٠ .

(٢) يمر وادى السر فى جنوب وجنوب شرق شبام الغراس فى ناحية بنى حشيش ، ويصب فى وادى الخارد .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢١٤ – ٢١٥ ؛ خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، قطعة 1544A4 ، القطعة 1544C2 .

(٣) سامك بفتح السين من الجبال المشهورة على وادى السر .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢١٥ .

يروون عن أكابرهم ومشايخهم رواية ينقلونها عن أسلافهم أن إمام الحق يأتيهم من هذا النقيل ويحط فى دار الجروب وهى جربة جاهلية ويضرب مضربة فى مكان طلحة [١] كانت هنالك يعرفون موضعها ، فلما ذكروا ذلك اشتوروا على أنهم يصرفونه عن المحطة هنالك فإن فعل فليس بقائم الحق وإن لم يفعل وحط فى هذا الموضع تحققوا أنه إياه وأنه الذى بُشّروا به وأجمعوا وقالوا أين تحط يا مولانا فقال أحط فى هذه الجربة ، فقالوا إنكم إذا حططتم بها أضررتم بالناس فى زرائعهم ومن الصواب أن تحطوا فى شعبة يمانية بعيدة من الجراب، فقال أما الصواب فإن معى قوما لو كان على رجل منه مكيال شعير فى مسيرة ثلاثة أيام لغدا حتى يؤديه إلى أهله وليس منا أحد يضر بالناس فى أقل قليل ، ونحن فلا نحط إلا فى هذه الجربة ، فحط هو وأصحابه هنالك وضرب مضربه فأتوا وهو فى موضع الطلحة فتيقنوا أنه الإمام الذى وعدوه فعند ذلك أتوا إليه فبايعوه ودخلوا فى طاعته . وتقدم إلى أن وصل إلى غيمان [٢] من بلاد بنى بهلول من الأبناء [٣] ووصل إليه بنو شهاب فى عساكر كثيرة إلى غيمان ومعهم السلطان أسعد بن عطوة ومعه فرس له قد وجعت عليه فى الطريق وكادت أن تذهب فلم يبرحوا بها يُرَجُّوا لها حتى بلغوا بها إلى الإمام عليه السلام ، فخرج من الحصن

---

(١) طلحة : أرض كيثرة الطلح ، ولا ينبت الطلح إلا بأرض غليظة شديدة خصبة .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : طلح .

(٢) غيمان قريةعلى وادى غيمان من عزلة الوادى الأوسط ، ناحية بنى بهلول ، وهى على مسافة ١٨ كم جنوب شرق صنعاء .
خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544C2 ، التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ ١ ص ٢٣٤ .

(٣) الأبناء هم أبناء فارس الذين سكنوا اليمن ، ولهم ذرية فى عدة أماكن منها بنى بهلول .
انظر ، الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٦ ح٢ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ١ ص٥٤ ، المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٩ .

وهى ملقاه على شقها على غاية التلف . فقرب إليها ونفث عليها ودعا الله سبحانه أن يزيل ما نزل بها فقامت من ساعتها كأنها لم يكن بها بأس فقادوها إلى صاحبها وما بها ريب فطرح عليها السرج والتجفاف وركبها وأتى وهى كسائر خيل أصحابه ما بها عيب ، فسلموا على الإمام وبايعوه واستنهضوه إلى بلادهم، فباتوا تلك الليلة ونهض معهم من الغد ، فلما استقبلوا نظروا وإذا فى السماء خطوط صفر وخضر كثيرة فعجبوا من ذلك ، وقد كانت لحاتم بن أحمد ولهمدان عراضة ذلك النهار عند مسجد الحزة بصنعاء فأرسل الله عليهم ريحا عاصفا فرقت بعضهم من بعض ومزقتهم كل ممزق ورجعوا إلى المدينة وماتم لهم مشورة ولا كلام . ثم تقدم الإمام عليه السلام إلى أن وصل حدة [(١)] ووقف عند الحسن بن سلمه الدعفانى وعند بنى عمه أياما ، ثم وصله السلطان سلمة بن الحسن فسلم له بيت بوس [(٢)] فتقدم معه الإمام إليه فأقام به أياما ، وكان مما أظهر الله له من الدلائل وأيده به من الآيات وعظم البركات أنه صلى الجمعة فى بيت بوس فلما فرغ من الصلاة قعد والناس يزدحمون فى المسجد وينظرون إليه ويستمعون مواعظه وفوائده وما يظهره لهم من حسن خلائقه وسنى طرائقه وباهر علمه وذكاء فهمه، إذ دخل عليه شيخ كبير يقوده أولاده فسلم وقرب من الإمام عليه السلام فشكا إليه الصمم فى أذنيه . فرقى الإمام عليه السلام عليه ونفث فى

---

(١) حدة قرية من عزلة حزة صنعاء ، ناحية بنى مطر وتقع على بعد ٨ كم جنوب مدينة صنعاء . التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ ١ ص ٧٧ ؛ خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ صفحة 1544C1 .

(٢) بيت بوس قرية من عزلة حزة صنعاء ، ناحية بنى مطر على مسافة ٧ كم جنوب صنعاء وتقع ما بين ٢٣ً ١٦ً ١٥ً شمالا ، ١١ً ١٢ً ٤٤ً شرقا ؛ التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ ١ ص ٧٧ ؛ خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544C1 .

أذنيه ودعا الله سبحانه له ، ثم قام هو وأولاده إلى ناحية من جوانب المسجد فإذا به يشهد ويكبر فقالوا له مالك ؟ فقال إني سمعت فى أذنى أنقاضا [١] كأنقاض الوظف [٢] فإذا بى أسمع ما يقال ويحدث به فحادثوه وكلموه فحدثهم وأجابهم ، وإذا به قد صار سميعا بعد أن شهد أولاده أنه كان لا يسمع الجابجب ولا الأصوات فعجب الناس من ذلك عجبا عظيما وزادهم ذلك إيمانا وتثبيتا . ثم أتى إليه رجل آخر أعمى يقال له جابر البصير فسلم وجلس بين يديه وهو يريد أن يسأله هبة جرية وصية فى بلده وظن الإمام أنه أتاه لأن يمسح له على عينيه فلما قرب من الإمام مسح له على عينيه ودعا الله تعالى فرد الله فى عينيه النظر فنظره ونظر من حوله فقال له إنى لم آتك لهذا ، فعادت الظلمة فى بصره كما كانت وأقر بذلك وأخبر به حتى عرفه المخالف والمؤالف وكان مطرفيا فبذلك قل يقينه ولم يهده الله بعد إظهار الحق له والدليل فكان ذلك مما زاد ذا اليقين يقينا وذا الجهالة دليلا واضحا مبينا ، فكان مما قيل فى ذلك من الأشعار قول الشيخ الأجل محمد بن عبد الله الحجيرى حيث يقول :

عد على اليمن يا إمام الزمان ... فى سرور وغبطة وأمان

واستجد السرور واستقبل العمـ ... ـر جديد الشباب والعنفوان

إنما أنت روضة ونعيم ... لمواليك من رياض الجنان

أنت شمس الضحى وبحر العطايا ... وهلال الدجى وليث الطعان

---

(١) النقيض من الأصوات يكون لمفاصل الانسان وغيره .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة نقض .

(٢) الوظف جمع ومفردها وظيف . والوظيف لكل ذى أربع : ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة وظف .

فارس ينفص الكمى ويسقى سيفه من نجيع يوم الرهان
صحب السيف منه قلب صدوق فوق طِرْفٍ مطهم سرحان
واسعٍ ضيقٍ قصيرٍ ثلاثٍ محفر مضمر طويل ثمان
فكأن الركاب طود منيف وكأن الرياح تحت العنان
كل مَلْكٍ بمنبر وسرير وسرير الإمام ظهرُ الحصانِ
ونديم الإمام خط قديم فى كتاب من عالم ربانى
عالم فاهم طبيب لبيب فيلسوف عطاردى المعانى
يابن بنت النبى كل لسان مادح ما يكون مدح لسانى
ظهرت منك معجزات كبار لم نخلها تكون فى إنسان
لم نخبر عنها سماعا ولكنا رأينا يقينها بالعيان
تبرئ الأكمه العليل وتشفى بشفى الله أعين العميان
وتسوق الحيا إلى حيث ما كنت وتجرى الأنهار فى الغيطان
هبك تشفى عمى القلوب بعلم فبماذا تشفى عمى العميان
غير أن الولى لله لا ينكر فيه خصائص الرحمن
فابق طول الزمان تفديك نفسى وأخى من حوادث الأزمان
فى ذرى الحيدرين من بيت بوسٍ آخذاً بالخناق من همدان
فهما الشاهدان والحاكمان باختيار الدروب من غمدان
يابنى حاجب الأكارم والشم الحماة الأباة من دعفان
قد شرفتم بما فعلتم جميعا كل قاص من الأنام ودانى
وينصر الإمام والدين حتى طال فى سمكه على الأديان
نحمد الله حيث منّ علينا باجتماع الإمام والسلطان

---

(١) فى الأصل ياامام .

يا إمام [١] الهدى ويا من عرفنا   لك بالود من قديم الزمان
قد غلّبْنا شوق النفوس إلى الأهل   وتذكارها إلى الأوطان
بتلالى جبينك الواضح الطلق   وأخلاقك الوسام الحسان
وابتسام عند التحايا وبشر   ولنا منك عن وداد الجنان
فتفضل بالفسح منك لدى العيد   لأنس الحريم والصبيان
وابق فى نعمة وعز مقيم   ما تغنت حمائم الأغصان

قال الراوى: فأقام الإمام عليه السلام ببيت بوس ووجه إلى بلاد مذحج وبكيل الهان [٢] الشريف الأجل على بن يحيى بن يحيى والشيخ إبرهيم الحجام ومعهما جماعة من أهل الأديان ، فقابلوا أهل تلك البلاد من مذحج وبكيل ومقرا [٣] وأعلموهم بما كان منهم مع الإمام ، وشهدوا عندهم له بالإمامة وأقسموا لهم على ذلك الأيمان المغلظة على أنهم وجدوا رجلا مثل جده الهادى إلى الحق عليه السلام فبايعهم الناس وواعدوهم للنهوض فى شهر ذى الحجة . وكان من حاتم بن أحمد أنه جمع همدان وسنحان ونهدا وغيرهم وخرج فيهم يريد أخذ زراعة لأهل بيت بوس فى موضع يقال له آلاف ، فأخذوا الزرع وقاتلهم بنو شهاب ومن كان مع الإمام من الأشراف وغيرهم قتالا شديدا وأقامت الفتنة بينهم هنالك بين [٤] . فلما كان فى اليوم الثانى خرجت من أصحاب حاتم خيل

---

(١) فى الأصل ياامام .
(٢) بكيل الهان وهم ولد بكيل بن الهان بن مالك بن زيد بن أوسلة ، وهم فى بلاد آنس .
الهمدانى ، الإكليل ، حـ ٢ ص ٤٠ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ١ ص ١٢٨ .
(٣) بلاد مقرى وبكيل الهان ، يعرف هذين الاقليمين فى الوقت الحاضر ببلاد آنس .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ١ ص ٢١ .
(٤) البين : الفرقة .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة بين .

فاستخرجت رجّالة من أصحاب الإمام عليه السلام واستخرجوهم وهم يتبعونهم ثم رجعت عليهم الخيل فقتلوا منهم سبعة رجال فيهم شريفان من بنى العباس بن على عليه السلام ، وقد كان فيما روى قبل ذلك رأى الشيخ ابن أبى رزين مناما يدل على ذلك فحفظه أكثر جميع أهل تلك الناحية يقول فيه :

بـأبائـى القتـلا فى بيت بوس أفـلا　　　تـدبروا أفعـالهم كمثـل ما عـاد الأولا

هـم سبعة قد ذكروا الله فيهم عدلا

ذكر دخول صنعاء وفتحها وما جرى فيه :

فلما كان فى آخر ذى الحجة وصل أهل اليمن من جنب وعنس وزبيد وكان من مشايخ زبيد عبد الله الحرف وسالم ابنا محمد وصبرة بن المهلب وأحمد بن صبرة البصرى وكافة أصحابه وصباوة بن عنس وأصحابه وسعيد بن يوسف ومنصور بن أبى الهيثم وأصحابهما آل الأحول وسائر عنس ، وكان من جنب مقبل والحداد ابنا عبد الله من المشرق ، ومن نواحى ذمار من بنى عبيدة [1] على بن المنصور بن عبد رب وعبد العزيز بن مرير والمبارك بن موسى وعمرو بن جندل ورجال من آل عبد الرحمن فيهم الغمر بن عبد الله وإخوته وقوم كثير . وقد كان سلمان بن مفلح أثار الحرب على خدار [2] فقتل هنالك ابن الجموح من جنب ،

---

(١) عَبِيْدة بفتح العين وكسر الباء وسكون الياء اسم مشترك لعدة قبائل . وعبيدة مخلاف من ناحية الحدا بمحافظة ذمار .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ٣ ص ٥٧٥ .

(٢) خدار ، حصن خدار أحد ملحقات حصن ذمرمر فى أعلى قرية شبام الغراس على بعد ١٨ كم =

فلما وصلوا القوم حطوا على درب لعمرو الشغدرى من سنحان يقال له ضبحان وهو درب حصين فافتتنوهم ومالبثوا أن دخلوه عليهم فأحرقوه وجوروا صاحبه بعد قتل واحد من أصحابه ، ثم وصلوا إلى الإمام إلى بيت بوس فلقيهم إلى الشهل ، فما زالوا يسلمون عليه زمرا زمرا وفدا بعد وفد حتى اجترحت كفه وسال منها الدم من كثرة سلامهم . فلما أن فرغوا أموا من ساعتهم لصنعاء وقد اجتمعت فيها همدان فوقع بينهم قتال شديد على جوانبها وكان مسجد الجامع ملزوما . ثم إن أهل السرار من أهل صنعاء دخلوا المسجد ولزموه وأبدوا الخلاف مع الإمام عليه السلام وأثاروا الفتنة على همدان ، فدخلت خيل ورجالة من أصحاب الإمام على همدان المدينة حتى صاروا فى الميدان ، فأغلق بعدهم باب غمدان وحيل بينهم وبين من بقى من أصحابهم خارجا فقاتلوا قتالا شديدا ، وأبلوا بلاء حسنا وصبروا صبرا جميلا ، فأنكوا فى همدان وأخذوا القطيع وقربوا من درب صنعاء فانعكفت خيل همدان فى الدرب ، وقتل فارس منهم يقال له عمران بن الذيب على باب صنعاء . وقد كان الإمام عليه السلام عقد لكبار الناس ورؤسائهم رايات ، وكان ممن أعطاه رجلا من أهل صنعاء يقال له على ابن يعقوب عقد له راية - وكان محباً لحاتم بن أحمد ومنصرفا فى خدمته - فقرب بالراية فأعطاها رجلا فى الدرب من همدان ، فأخذوها ونصبوها معهم فى رأس الدرب وصاحوا بالطاعة والجوار فكف الناس عنهم بعد ما نال الفريقين من العناء العظيم والإمام عليه السلام إذ ذاك ببيت بوس ، لأنه كان أراد أن يمسى الناس فى بيت بوس تلك الليلة ، فإذا كان من الغد تقدم بهم وعبأهم للقتال

= شمال شرق صنعاء .

انظر أبو فراس بن دعثم ، السيرة المنصورية ، حـ١ ص ٦٠ ، ص ٨٣ .

فاستعجلوا ولم ينتظروه فوقع قتل كثير وفتح الله تعالى . فلما بلغ الإمام عليه السلام ما فعله على بن يعقوب لم يمكنه إلا الرضا بما وقع ، ثم إن حاتم بن أحمد طلب الجوار والصحابة إلى الإمام عليه السلام فأصحبه الشريف الأجل على بن يحيى بن يحيى ومشايخ من منحج ، وخرجوا به إلى الإمام عليه السلام، فلما وصلوا به إلى بيت بوس ومعه مشايخ من وجوه همدان ، فعندما قابل حاتم الإمام عليه السلام أنشد متمثلا بقول كعب بن زهير بن أبى سلمى :

أنبئت أن رسول الله أو عدنى   والعفو عند رسول الله مأمول

ثم قرب من الإمام فسلم عليه هو ومقدمات أصحابه وسأله الأمان والعفو فعفى عنه وأمنه وحلفه هو وأصحابه وبايعهم وأمسوا تلك الليلة ببيت بوس ، وعادوا من الغد إلى صنعاء . ثم نهض الإمام عليه السلام بالعساكر الكثيرة والجحافل الموفورة من الخيل والرجال فدخل صنعاء على أحسن حال وأنعم بال ، قد مكنه الله من الظالمين وبوأه منازل الفاسقين ، وفتح له فتحا مبينا ، ونصره نصرا عزيزا ، فدخل درب صنعاء . وأظهر العدل فى الناس والعفو وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وسار بسيرة آبائه الطاهرين والأئمة السابقين . وولى القاضى الأجل جعفر بن أحمد بن أبي يحيى على القضاء والصلاة بالناس يوم الجمعة ، وولى على بيت المال رجالا من أهل الثقة والدين . وولى على القيام بأمر الناس وأهل السوق قوما آخرين ، واستقرت له الأمور وثبتت له الأحوال ، وخضعت له جميع القبائل فى الآفاق ، وراعهم ذلك روعا عظيما فأقبلوا من كل ناحية وجهة يتوددون ويهنون ويسلمون ويطيعون ، وقامت الشعراء بين يديه بالأشعار الحسنة يهنونه ويذكرون فضائله عليه السلام وعدله وما منّ الله سبحانه

به عليه من النصر والفتح . وكان من أحسن ما قيل فيه أبيات لسليمان بن فضل يقول فيها :

[ ] [١] صنعا كيوم مكة بل ... أعظم من يوم مكة أضعافا

[ ] [٢] بالحسام فى طرفة العين ... كما يخطف الحسام اختطافا

وقعة أفرغت يعوق ونسرا ... ويغوثا وأتبعت إسافا

ومن ذلك قصيدة لعبد الله بن أبى الفتوح يقول فى أول بيت منها لأنه لم يأت الحفظ على باقيها وهو :

هنيئاً [٣] أمير المؤمنين لك النصر ... وفتح بلاد عنوة دونها مصر

ومنها :

وإن أمير المؤمنين وفعله ... لكالدهر لا عار بما صنع الدهر

ومن ذلك قصيدة القاضى الأجل سليمان بن فضل فى الإمام وهو بصنعاء :

أيامنا ظلماتها أنوار ... الليل فيها والنهار نهار

وكأنما الآصال والضحوات والـ ... ـغدوات فيها لذة أشجار

تتنشق الأرواح طيب نسيمها ... فكأن فضّ قسيمه عطار

تجنى بها الأسماع من أخبارها ... ما تجتنى من روضها الأبصار

يا طيب مختبر لهن كمثل ما ... طابت بحسن حديثها الأخبار

فالأذن تنظم بالنفوس أجلّ ما ... نظمت بمقلة من يرى الأزهار

عصر لنا تبكى به أحياؤه ... موتاهم ويحلّه الأعصار

---

(١) بياض فى الأصل .

(٢) بياض فى الأصل .

(٣) فى الأصل هنتاً .

شلت بنان الجور فيه وانثنى — عند المجور عليهم الجوّار
خشعت شياطين النفاق وأخسئت — فيه الطغاة ودوخ الجبار
وتوقر الطرف الجموح وطال ما — لم يدن منه رجاحة ووقار
طاشت سهام الظالمين كأنما — ضربت عليهم ذلة وصغار
ولقد تولى السامرى وعجله — والقوم صار لهم لديه خوار
الحق أبلج والصحيح أحق ما — يُقنى وضاع المكر والمكار
بالله ثم ابن الرسول وإنما — للخير من ينمى به الأخيار
أما ابن فاطمة فقد بردت به — أكباد قوم مَسَّهُنَّ أوار
قر القرار بدين آل محمد — وبأحمد منه أتيح قرار
هاد من الهادى سليل سميه — عين تصدق أمرها الآثار
لا أحمد النطقا تعلن فضله — من بعد ما نطقت به الأحجار
تاقت إليه منابر زهوا وهنئ — باسمه الدرهام والدينار
من ذا يقابل من يقاتل دونه — وتطيعه الأيام والأقدار
ولو استطاعت أن تقول يدا لها — وسط الندى مع الأنام حوار
هذا أخو الذكر اليمانى فيهما — وإليهما فلتحمد الأسفار
لا أرقلت إلا إليه شملة — أبدا ولا شدَّت لها أكوار
وتكاد تنطق نحوه بتحية — إن سار بين غصونها الأشجار
وهو الحمى للدين أو حلى له — فكأنه سور له وسوار
ومزلزل الدنيا وممسك ركنها — فيه تمور بأهلها ويمار
قل للمدائن والقلاع تبشرى — قيامكن لكن ثم عثار
[ ] (١) مادام النذير بأهلها — متمهلا وتكرر الأعذار

---

(١) بياض فى الأصل بمقدار كلمتين .

صنعاء مضر زلزلت أقطاره ... قهرا ومنه تزلزل الأمصار

منه ينتفر فى البلاد فكيف إن ... ضمت إليه صعدة وذمار

جاء ته خيل الله تمزع (١) شزبا ... مثل البحار يمدهن بحار

وشعارها التهليل والتكبير هـ ... ـيم يوم ذلك شربها الأعمار

ورجال حرب لاهوادة عندهم ... فى الله لا كشف ولا أغمار

يتسابقون إلى الحمام كأنه ... أرىٌ (٢) لذى دين وهم مشتار (٣)

فكأنهم شراب ندامى فى الوغى ... والموت خمر بالرماح يدار

حتى أحاطوا بالدروب هنيهة ... فكأنهم حول الدروب إطار

محقوا الدروب وأهلها فكأنهم ... لَمَمٌ (٤) تحيَّف (٥) أصلَهُ استغفار

بسرت وجوه يوم ذاك كآبة ... والمسلمون عليهم استبشار

بالصيد من وقش الأولى وسناعها ... وببيت بوس تنقم الأوتار

وأتى ابن يحيى باللواء يجره ... يسعى فيتبع جحفل جرار

يرمون أعينهم إليه تقبلا ... إن قام قاموا أو تحرك ساروا

فعلا فى يوم العرونة جدُّه ... فكذا (٦) علا وهم له الأنصار

---

(١) المزع : شدة السير .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة مزع .

(٢) أرى : العسل .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : أرى .

(٣) شار العسل : استخرجه .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : شور .

(٤) اللمم صغار الذنوب .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : لم .

(٥) تحيفت الشئ إذا تنقصته .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : حيف .

(٦) فى الأصل كذا .

حتى استباحوا ماحواه عدوهم ... وتحكموا فى ماله ما اختاروا

فعفوت [١] عفوة قدرة ولو أنهم ... شاءوا البوار على المكان أباروا

نصرتهم أسد السرار محبة ... منهم فلا عال السرار سرار

قوم بهم تثنى الخناصر فى الوغى ... وإليهم فى المكرمات يشار

لا يستضام الجَارُ بين بيوتهم ... والجار فيهم للمجرة جار

العدل من سيماهم وإذا سطوا ... بالمال فى سبل المكارم جاروا

ولجعفر القاضى الأجل نصيبه ... فى المجد لا لط [٢] ولا إنكار

وجهاده متقدم من قبل ذا ... ملئت ببالغ وعظه الأقطار

فالخلق منه مطهر والقلب منـــــه منور والدين منه مغار

ملك على سمت الرجال مصور ... لا عار فيه غير أن لا عار

هو حاكم إن جاروا ومنصرا ... إن حادوا وموقرا إن قاروا

يا بن الرسول بصحبة لا تلغنى ... فأنا الجواد وجودك المضمار

والعلم زرع فى الصدور قشوره ... ممن تراه وعندى الأثمار

إن لم تهب لديك بعد ركودها ... ريحٌ فلا جلب اليمين تجار

فكأنما دهرى فؤادُ مُفكّرٍ ... وكأننى فى طيه أضمار

وأنا الكسير أو الأسير وليس لى ... جبر بغيرك أو يفك أسار

يا دولة الإسلام دومى حقبة ... تتجددين ويومك المسيار

جُمَعٌ وأعيادٌ كذا ومساجدٌ ... معمورةٌ وجماعةٌ أبرارُ

والصوم والصلوات والصدقات ... والتسبيح والتهليل فيك شعار

من بدا ومن صد عنك فأمه ... فى الحشر هاوية وتلك النار

زوروا المساجد واعمروها بالتقى ... أزكاكم العمار والزوار

---

(١) فى الأصل عفوة .

(٢) لط بمعنى جحد .

ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : لطط .

ومن ذلك قصيدة لمرزوق بن أسعد العنسي المعلم فى الإمام عليه السلام وهى:

ظعن الحى فحى الدمنا ... واسأل الأطلال عمن ظعنا (١)

تركوا قلبى رهينا بعدهم ... للبكا جفنى وجسمى للضنا

إن أتى الدهر علينا وقضى ... بعد تأليف ببين بيننا

فهو المألوف من عادته ... قد صحبناه علينا لا لنا

ما صفى إلا وأبدى كدرا ... لا ولا أفرح إلا أحزنا

فمن استمسك من حادثة ... ببنى هاشم يوما أمِنا

أو رأى المنصور فى دولته ... أيها الناس فقد نال المنا

أحمدا نجل سليمان الذى ... حسدت مصر عليه اليمنا

تبصر الأعين منه هاديا ... نوره الباهر يغشى الأعينا

عالما حبرا إماما فاضلا ... طاهرا ركنا كميا محسنا

لُذْ به تكف ملمات الردى ... والقه تلقى السحاب الهينا

واعتصم من خشية الله به ... تكف واقصده توق المحنا

أقبلت راياته تخفق من ... هاهنا خيلا ورجلا وهنا

راية من هاشم تقدمها ... مصقع الحرب على نحونا

ثم أخرى راية كندية ... ترهب الموت إذ الموت دنا

وأزال أسعدت أكرم بها ... بأزال من قديم ركنا

وأتت للدرب زحفا مذحج ... بعد ما ألقت بهمدان العنا

ثم قالت مذحج شيعتها ... فى سبيل الله من مات هنا

كان يوم السبت عاما لهم ... ثم يوم الجمعة العام لنا

ففضا صنعاء قسرا وانثنى ... بعد عام عن زبيد عدنا

---

(١) فى الأصل ضعنا .

يا إماما فضله قد خصنا   وأميرا عدله قد عمنا
نحمد الله الذى ألحقنا   دولة منك وأحياك لنا

هذا حد ما حفظ على غير نسق – قال : ولما أن عفا الإمام عليه السلام عن حاتم بن أحمد وأمنه وخرج إلى المنظر [١] فأقام به وأرسل إلى الإمام عليه السلام بأبيات يقول فيها :

يقول أناس كيف حالك فى غد   مع ابن سليمان المتوج أحمد
[   ] [٢]   يكون غدا واليوم أكبر شُهَّدى
رأيت إماما لم ير [٣] الناس مثله   أبَرَّ وأوفى للطريد المشرد
عفا ووفى حتى كأنى عنده   أخ أو حميم لست عنه بمبعد
وإن بعدت مصر على وربها   فهذا إمام الحق غير مفند
وما خسر المبتاع إن باع عسجدا   إذا لم يطب منه المحك بعسجد

قال : ثم أقام عليه السلام بصنعاء ينفذ أحكام الله ويقيم الحدود على أعداء الله ، من ذلك أنه شهد على رجل من أهل صنعاء بشرب الخمر واشتهاره عنده ، وهو من كبار التجار وأهل الأموال يقال له : الرقيمى فأمر الإمام بإقامة الحد عليه ، فبذل مالا جزيلا يفتدى به نفسه من الجلد فلم يقبل ذلك منه ، وأمر بجلد الحد ثمانين سوطا على أعين الناس . وأقام عليه السلام والناس يفدون إليه من

---

(١) المنظر هى الاسم القديم للروضة وتسمى روضة حاتم فى ناحية بنى الحارث ، على مسافة ٩ كم شمال صنعاء والروضة الآن أحد أحياء مدينة صنعاء .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ١ ص ٢١٠ – ٢١١ ، خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544C1 .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ ١ ص ٢٤ .
(٢) بياض فى الأصل .
(٣) فى الأصل لم يرى .

كل ناحية ومكان وهو ينفذ معهم الولاة إلى بلدانهم ويأمرهم بالاستقامة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وسلم إليه أهل الحصون حصونهم ومعاقلهم . ثم إنه همّ عليه السلام بالمخرج إلى عدن فاضطرب منه ملوكها وهى يومئذ بيد بلال بن جرير ومحمد بن سبأ بن أبى السعود اليامى [(١)] وخافوه خوفا عظيما وقد كان وصل إلى الإمام عليه السلام أهل كوكبان [(٢)] من بنى الزواحى [(٣)] فسمعوا له وأطاعوا ورهنوا أولادا لهم على تسليم الحصن واستقامة الطاعة ، فأتى إلى الإمام بعد ذلك الشريف على بن يحيى وقوم من أهل صنعاء وقالوا : إن أهل كوكبان غير ناصحين ولا عذر من حصارهم وحربهم فنهاهم عن ذلك فغلبوه على رأيه ، وتقدموا لحصار كوكبان ، وجمعوا عسكرا منهم قوم من همدان وسنحان وبنى شهاب وهم غير ناصحين ، وحصن الظفر [(٤)] يومئذ بيد

---

(١) كان بنو زريع نوابا للدولة الصليحية فى عدن إلى أن استقلوا بأمرها فى سنة ٥٢٣ هـ فى عهد الداعى سبأ بن أبى السعود الذى توفى فى نفس العام . فولى الأمر بعده ولده على الأعز الذى توفى فى سنة ٥٣٤ هـ فقام القائد بلال بن جرير نائبه فى عدن باستدعاء أخيه محمد بن سبأ وسلمه الأمر فى عدن . وقام الداعى محمد بن سبأ بن أبى السعود بشراء كثير من حصون وبلاد الصليحيين مثل مدينة جبلة والتعكر وحب وغيرها .
انظر عمارة ، تاريخ اليمن ، ص ١٤٦ - ١٥٠ ؛ ابن عبد المجيد ، تاريخ اليمن ، ص ٦٣ - ٦٤ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، حـ ١ ص ٢٩٧ .

(٢) كوكبان حصن مطل على قرية شبام كوكبان ، ويرتفع عن سطح البحر بنحو ٣٠٠٠ متر ، ويقع ما بين :
٠ً ٣٠َ ١٥ْ شمالا ، ٤٠ً ٥٤َ ٤٣ْ شرقا .
السياغى ، معالم الآثار اليمنية ، ص ٧٤ ؛ خريطة ج . ع . ى . ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1543 B4 .

(٣) بنو الزواحى من قبائل حمير وينسبون إلى قرية الزواحى من أعمال حراز
عمارة ، تاريخ اليمن ، ص ٨٣ - ٨٤ ؛ ابن عبد المجيد ، تاريخ اليمن ، ص ٥٤ .

(٤) حصن الظفر من حصون صنعاء ، يقع على بعد ٥ كم جنوب شرق كوكبان وهو فى أقصى شمال بلاد بنى مطر .
خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1543D2 .

حاتم بن أحمد ، والقلعة بظهر [١] قد كان سلمها إلى الإمام فولى فيها الشيخ الأجل محمد بن سالم الأبرهى ، فأقام الحصار على كوكبان وفيه قوم من همدان فيهم دعفل بن منصور ، فوقع ذات يوم القتال على الباب من جهة الضلع [٢] من ناحية المغرب وتولى الحرب هنالك [قوم من أهل] [٣] قيلاب [٤] من ناحية مسور [٥] وهم قوم من أهل إسلام ورغبة فى الجهاد إلا أنهم لا عادة لهم بالخيل وقتالهم ، فبيناهم فى القتال إذ خرجت عليهم خيل الهمدانيين فهزموهم وقتلوا منهم قتلا كثيرا ، وانهزم الشريف على بن يحيى بمن معه إلى صنعاء والشريف يحيى بن الحسين إلى ناحية مسور . وظهرت همدان للخلاف وأبدوا الحرب فخرجوا مخرجا إلى أسفل الرحبة [٦] فيه حاتم بن أحمد ، فخرجت لهم قوم من جنب من

---

(١) يقع وادى ظهر عى مسافة ١٤ كم شمال غرب صنعاء ويه حصن بيت أنعم وهو فى أعلى وادى ظهر ، وحصن ود فى أسفل وادى ظهر ويطل على قرية القابل . ويبدو أن الحصن المقصود هنا هو حصن ود .

انظر أبو فراس بن دعثم ، السيرة المنصورية ، حـ ١ ص ٢٠٨ ، خريطة ج . ع . ى . ١ ، : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544C1 .

(٢) الضلع جبل متصل بكوكبان ، مشرف على شبام يقال له ضلع كوكبان .

الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ٣ ص ٥٥٣ ؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص٤٠٧ .

(٣) بياض فى الأصل والإضافة من اللآلىء المضية ، جـ٢ ورقة ١٨٩ .

(٤) قيلاب بفتح القاف وسكون الياء ، وادى وقرية فى الشمال الشرقى لقرية مسور على بعد ٧ كم منها . وتقع قرية قيلاب ما بين : ٥٨ً ٣٨ َ ١٥ ْ شمالا ، ٥٧ً ٤٢ َ ٤٣ ْ شرقا .

الهمدانى، صفة جزير العرب ، ص ١٢٥؛ خريطة ج . ع . ى ١، : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1543D3.

(٥) مسور احدى نواحى قضاء صنعاء ، وفى شمالها سلسلة جبال مسور وقرية مسور . وتقع هذه الناحية ما بين ناحيتى ثلا وبنى العوام . ومسور واد وعزلة فى بلاد خولان العالية .

التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ ١ ص ١٤٥ – ١٦٠ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ٤ ص ٧٠٨ ؛ خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1543B3 .

(٦) الرحبة هى القاع الفسيح الممتد من الروضة فى شمال صنعاء حتى بلد أرحب .

انظر ، الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ٢ ص ٢١٠ ؛ الويسى ، اليمن الكبرى ، ص ٤٧ .

أنصار الإمام فهزموهم وقتلوا فيهم رجالا منهم دعفل بن منصور وأخذوا لهم خيلا وسلاحا وجمالا . ثم كان بعد ذلك واجتمعت همدان كلها وحمير وحاتم بن أحمد ومنصور بن جعفر فخرجوا مخرجا لقرية منكل [١] بالجبر ، وقتلوا فيها رجالا ونهبوا أهلها . ثم إن أهل صنعاء اجتمع رأيهم على الخروج للحرب إلى علب [٢] فنهاهم الإمام عن ذلك ، وعلم أنهم لا طاقة لهم بهم فغلبوه على أمره فخرجوا فلقيتهم همدان وسنحان فهزموهم وقتلوا منهم رجالا . وقد كان تقدم الشريف الأجل علي بن يحيى إلى بلاد مذحج لا ستنهاض قوم وتقدم معه قوم من الشيعة ففسدوا كثيرا من أهل الهجر وذلك بسبب مال وصل من محمد بن سبأ من عدن، وقد كان الإمام عليه السلام كره تقدمه فكان أول من أفسده ، وفسد أكثر أهل الهجر بالمطرفية وقعدوا عن الإمام وأقعدوا الناس واستمالتهم الدنيا وحطامها ، ثم إنه وصل الشريف الأجل علي بن يحيى بقوم من جنب وعنس وزُبيد قليل فلقيهم حاتم بن أحمد بجموعه إلي موضع يقال له رغام ، فوقع بينهم قتال شديد، وانهزم أصحاب على بن يحيى ووقف على أعقابهم رجال أجواد منهم منصور بن أبى الهيثم قتل ذلك اليوم رجلين وثلاثة أفراس ، ومنهم عبد العزيز بن يزيد الصقرى وعمرو بن المكسور وغيرهم فردوا القوم عن أصحابهم حتى تخلصوا إلى موضع يقال له عذيقة [٣] . وقد كان الإمام عليه

---

(١) منكل قرية جنوب شرق ثلا بمسافة ٥ كم .
خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1543B4 .

(٢) حمراء علب بلد في سفح جبل نقم من جنوبيه .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٣ ص ٦٠٩ .

(١) عذيقة بضم العين وفتح الذال واد وقرية من عزلة اليمانية العليا ، ناحية خولان الطيال .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢١٧ ؛ التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، جـ ١ ص ٥٣ .

السلام لما علم باجتماع القوم ولقائهم لعلى بن يحيى ولمن معه ولى على صنعاء السطان الجبير بن سلمة ورجالا من الأشراف وبني شهاب ، وتقدم فى خيل معه من جنب فبات فى غيمان ، وبلغه خبر الهزيمة و أعلم أن الناس قد انصرفوا وكان غرضه المادة والفرج لهم ، فلما رأى ذلك وصار هنالك لم ير إلا أنه يتقدم إلى ذمار ، فتقدم هو وجماعة من جنب فعلم بهم حاتم بن أحمد فنهض بمن معه فخالفهم على صنعاء فدخلها وجور من كان فيها من أصحاب الإمام مخافة العواقب منه .

ذكر اللقاء بقليس (١) :

فلما أن صار الإمام عليه السلام بذمار جمع خيلا من جنب زهاء ثلثمائة فارس ، وعارضه عبد الله بن يحيى فى سبعمائة فارس ممدا لحاتم بن أحمد ، وكان مع حاتم بن أحمد من همدان ونهد وسنحان خمسمائة فارس وقريب من ثلاثة آلاف قايس وألف تارس ، فلما بلغه عبد الله بن يحيى بمن معه واجتمعت جموعه نهض بهم للقاء الإمام عليه السلام إلى موضع يقال له قليس فوقع بينهم قتال شديد من أول النهار إلى آخره . ثم إن القوم اجتمعت خيلهم وحملوا على الإمام حملة رجل واحد فافترقت منه أصحابه ثلاثة أصناف ، فصنف انقلبوا مع أصحابهم عليه ، وصنف انهزموا عنه وتعلقوا الجبل ، وصنف يتحمون ويقاتلون وهم يستخرجون نفوسهم . فلما رأي الإمام عليه السلام ذلك فعل فعل آبائه الكرام عليهم السلام وحمل على القوم إلى أن خالطهم ودخل بينهم وجاولهم فى

---

(١) القليس قرية من عزلة النبى شعيب ناحية بنى مطر .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، جـ ١ ص ٧١ ؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٥٣ .

ميدان الحرب ومزقهم يمينا وشمالا ثم استخرج نفسه من أوساطهم ، ورد رأس فرسه وتبع أصحابه يوم الجبل . فكف الله عنه شرهم وقذف فى قلوبهم الرعب وأعماهم عنه إلى أن بلغ إلى أصحابه ولم يكن مراد القوم غيره فسلمه الله سبحانه . ولقد روى الإمام عليه السلام أنه ما رأى أعجب من ذلك اليوم ولا أتعب من قتاله ولا أعسر لقلة المعين وإخلالهم وكثرة العدو واستعادهم [١] وتصدره عليه السلام بنفسه للقتال ومجاولة النزال ومجاولة الأبطال إلى أن استخلص نفسه سالما سويا فالحمد لله سبحانه . ولم يقتل فى ذلك اليوم من أصحابه غير ثلاثة رجال أحدهم شريف من بنى الهادى إلى الحق عليه السلام يقال له إبراهيم وكان له فى ذلك النهار صبر وعناء عظيم وكان شريفا فاضلا . حدثنى من أثق به عنه أنه كان ذلك اليوم وهو راكب على فرس الإمام عليه السلام فلما لم ير الإمام وغاب عنه بين الخيل ظن أنه قد فات ، فلم ير أن ينهزم ولا استجاز ذلك فقاتل على الفرس قتالا عظيما حتى كثروا عليه ، ثم نزل وترجل فقاتل مقبلا حتى قتل يرحمه الله . وروى محمد بن عبد الله الحميرى أن هذا الشريف المستشهد روى له وهم فى ذمار أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى النوم يقول له يا شريف إبراهيم امض جاهد مع المنصور بصنعاء فلم يستحل [أن] [٢] يقف بعد ذلك . قال : ثم إن القوم عادوا من هنالك وتقدم الإمام عليه السلام فأمسى بموضع يقال له كربين من بلاد الأبناء ، وقد كان أمر إلى هنالك بأحمال حطت له عند رجل يسمى خرمش وفيها له ولأصحابه شئ من أزوادهم وأثاثهم ولحافهم

---

(١) عادُّهُمُ الشئ : تساهموه بينهم فساواهم ، وهم يتعادون إذا اشتركوا فيما فيه بعضهم بعضا من مكارم أو غير ذلك .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة عدد .

(٢) ما بين القوسين إضافة .

فتفقده فأتى وقد أخذ الرجل أكثره وخياره وهو ممن يعد نفسه بالدين ويدعى من كبار المسلمين ، فلم يعد الإمام عليه السلام عليه فى ذلك إلا خيرا . وقد روى محمد بن عبد الله الحميرى أنه قال : خرجت من الوقعة هذه فأقبل الإمام عليه السلام من بين القوم كالأسد فلما رآنى التفت إلى بوجهه الكريم وقال : وما سلمت إلا وفى نفسها أمر وهو يقرع على فرسه ، وذكر أنه قعد فى أول الوقعة هو والإمام عليه السلام فذكر له أن فى ذلك الموضع كسرة على المنصور قال فلم أزل به حتى خلع البيضة ولبس المغفر ، وكان ذلك تصديقا للرواية . وقال روى لى قبل ذلك ملحمة فيها : المنصور كى يظهر . من الوادى الأخضر . صاحب اللون الأصفر . والدرع والمغفر . يكسر فى القليس وسحر . ويتغثر [1] عليه الظلمة بتغثر . بثنيات الدهر رو [2] . وهى طويلة لم أحفظ منها [3] غير ذلك . ثم تقدم إلى جبل تنعمة [4] فبات به ونهض من الغد هو ومن بقى معه من أصحابه فنزل بغيل سامك بأسفل السر متوجها إلى الجوف وذلك فى شهر جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وخمسمائة فوصل هجرته بعمران . ووصل إليه السلاطين الأجلاء بنو دعام وأهل الوادى كلهم فسلموا عليه وحمدوا الله على سلامته ، واستروا بقدومه سالما منصورا مؤيدا محبورا قد سلمه الله كل محذور وجنبه كل مثبور [5] وكان

---

(١) غثر : الغثرة : الجماعة المختلطة ، والغثراء والغثر : سفلة الناس . وقيل للأحمق الجاهل : أغثر .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة غثر .

(٢) كلمتان غير مقروءتين .

(٣) فى الأصل منهامنه .

(٤) جبل تنعمة المعروف الآن بجبل اللوز فى خولان الطيال .
الهمدانى ، صفة جزير العرب ، ص ٢٣٨ ؛ خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544C2.

(٥) المثبور : الملعون .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ثبر .

مما قيل من الأشعار فيه ذلك الوقت قول عواض بن مسعود الجنبى الذى يقول فيه :

أبلغ أمير المؤمنين سلامى ... وتحيتى وألوكتى ونظامى

أبلغ أبا حسن المتوج أحمدا ... بحر المكارم كعبة الإسلام

والمشترى حسن الثناء بماحوت ... كفاه فى الإيسار والإعدام

والفايت الساعين أدنى سيره ... فمرامه من فوق كل مرام

واخصصه عنى بالسلام وقل له ... ياخير مبعوث وخير إمام

لما رآك الله أهلا للذى ... أولاك قدت عباده بذمام

فملكت صنعا وهى أملك بلدة ... وأجلها قدرا مدينة سام

وتركت أهل الكفر بين مطرد ... ومشرد فى أبين [1] وشبام [2]

وسطوت سطوتك التى منها تعلمت الضراغم سطوة الضرغام

خلاك قومك مثل موسى مرة ... وطفقت تهتف يا بنى الأعمام

يا آل يعرب يال منحج أقلبوا ... فأجاب قوم لم يفوا بذمام

أخذوا الرشا وسلمت من كيد العدى ... لازلت تسلم كيد كل طغام

ليت القبور بمكة وبيثرب ... وبصعدة صعدت رؤوس أكام

وترى بينها من بها ما حالهم ... وبغار فضله منظر وكلام

لو قام منهم قائم لم ينصحوا ... تركوه يطعن وحده ويرامى

---

(١) أبْيَن ، أحد أقاليم جنوب اليمن ويقع فى شرقى مدينة عدن .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ١ ص ٥٥ .

(٢) شبام بكسر الشين ، اسم لعدد من البلاد منها شبام كوكبان شمال غرب صنعاء ، وشبام الغراس في شمال صنعاء ، وشبام حراز حصن مطل على مناخة غربى صنعاء ، وشبام حضر موت .
انظر *الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ،* حـ ١ ص٨٧ - ٨٨ ، حـ ٣ ص ٤٤١ .

[ ] [١] أصبحت في … جوف المحورة لا تشاب بذام
وقصدت ذروة يعرب وسنامها … نهما وود العد [٢] آل دعام

قال : فأقام الإمام عليه السلام بعمران شهر رجب وشعبان ورمضان ثم تقدم إلى الحقل في شوال فوصل إلي موضعه بالجبجب فاقام به مدة أيام ، وبلغه من قوم من أهل العداوة والمضادة أنهم يشيعون ويرجفون على الناس بأن حاتم بن أحمد يريد الخروج إلى الجبجب ويقصد الإمام بالحرب ، فغضب الإمام عليه السلام من ذلك وقال هو يفرح منا بالمتاركة والعافية على بلاده بالغفلة عنه فكيف يهم بذلك وهو أقل منه وأذل ، ولكني آتيه إن شاء الله إلى بلاده ، ثم طلع إلى بلاد خولان وعزم على جمع قياس وتراس والمخرج إلى اليمن وقال في ذلك الوقت شعره الذي يقول فيه :

على رسلكم يا أيها الطلقاء … تأنوا ففي خير الأمور إناء
أتستعجلون الشر منا وقبل ذا … جرت نقم حلت بكم وبلاء
وتؤذوننا في كل ناد بسبكم … وهل ينبغي بين الأباة هجاء
وتنسون ما قد كان مني ومنكمُ … وأكثر هذا الناس لي شهداء
وما منكم إلا أسير أسرته … وأطلقته فالكل لي أسراء
ويوم دخلنا درب صنعاء عنوة … وفيه رجال منكم ونساء
دخلنا وللنسوان من خوف بطشنا … صراخ وللأطفال فيه ضغاء [٣]
وأموالكم فيه وخيل وعدة … فلم يُجْر مناً في العقود بداء

---

(١) بياض في الأصل بمقدار ثلاث كلمات .
(٢) العد : ماء الأرض الغزير .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة عدد .
(٣) الضغاء : الصياح والبكاء .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ضغا .

وفى بيت بوس قد أتتنى شيوخكم بهم جزع من سطوتى وبكاء
فأمنتهم من خوف ورحمتهم ووافاهم منى رضا وصفاء
وفينا إذا ما شبت الحرب شدة وفى السلم منا رحمة وسخاء
عقدنا لكم أمنا وقلنا ومن يرد فسادا فإنا عنهم بُرآء
وحالف أشياخ لكم ثم خالفوا على فورهم وارتدت الحلفاء
وأظهرتمُ ما كنتمُ تبطنونه وكفركم لم يبق فيه خفاء
ففعلكمُ كفرٌ وغدرٌ ومنكرٌ وفعلىَ عدل زائد وتقاء
[ ] (١) خرجنا من أزال لحربكم وأدخلكم من بعدنا الحلفاء
[ ] (٢) قليس كان أوله لنا وزدتم علينا إذا حم مساء
ولم يغشنا كرب بعون إلهنا وظلتم وفيكم ذلة وشقاء
وخيلكم تربى على ألف فارس وبَيْعٌ جرى من بعضنا وشراء
وخيلى قليل بعضها غير ناصح يُوَدُّونَكُمْ إذ هم لكم قرناء
وكنت على الأعقاب حتى تمنعوا كما فعلت آبائى النجباء
وصَالحُ أصحابى تَحَمّوا وجاهدوا فإنهم الأخيار والصلحاء
ومن أوبتى من أرضكم وبلادكم إلى بلدى تأتيكم البشراء
وإنا وصلناكم إذا شاء ربنا فشدوا إذا جاء تكم النذراء
أتينا بقوم من قضاعة نحوكم لهم شيم محمودة وتقاء
عزاز على الأعداء أعداء ربهم شداد وفيما بينهم رحماء
همُ نصرونا من قديم وحادث وإنهم الإخوان والخلطاء
ومن غلب همدان الكرام ومذحج وحمير أيضا إنهم نصحاء

---

(١) بياض فى الأصل بمقدار كلمتين .
(٢) بياض فى الأصل بمقدار كلمة واحدة .

وكندة والأبناء عونٌ وعدة   وإخوانيَ العباد والفقهاء

وحزبيَ حزبُ الله في كل بلدة   وأصحابيَ الأخيار والعلماء

وحزبي حزب الله في كل موطن   وأضداديَ الأشرار والخبثاء

وأبناء على كرم الله وجهه   هم الأهل والإخوان والشركاء

وصيد بني عمي بأرض تهامة   أميرهم المذكور والشرفاء

وفي مكةٍ منا أمير متوج   تبقى نقى دونه الأمراء

وحوليَ من أبناء هاشم عصبة   كرام عزاز كلهم عظماء

ولو أنني أدعوهم لقتالكم   لجاءوا سراعا واستجيب دعاء

فإن تفخروا بالشم قحطان أهلكم   وما قدمته السادة القدماء

وما فعلت أشياخ يثرب آنفا   وأتباعهم والقادة الخلفاء

فقولكم فيه صحيح وإنما   فخرتم بمن أنتم له فتناء

وما فيكمُ جبن ولا لؤم محتدٍ   وإنكم عند اللقا كرماء

وما سرتم في طرقهم غير أنكم   أتيتم بكفر ما عليه غطاء

وخالفتم الإسلام ثم جحدتمُ   جميع الذي جاءت به الأمناء

وجهّلتمُ أهل الحجا واتّبعتمُ المجوس وقلتم إنهم حكماء

وليس الرجال المؤمنون أولوا التقى   ولا الكافرون الفاسقون سواء

وإن إلهي قد أعان عليكم   فأرضكم منها ردى وضحاء

وجوع وأمراض وموت وخيفة   وما إن لكم من أي ذاك دواء

ولا بد من يوم نزوركم به   تفيض نفوس منكمُ ودماءَ

فأين بكم يايام حين تروننا   وسنحان أيضا إنهم غرماء

وجاهكم إمّا أردتم رجوعه   لكم خانق ما إن هناك رخاء

وصنعاء مادت وهي كرسي ملككم   وغادرتها بالأمس وهي فضاء

فما إنْ لكم في البر منجا ولا لكم   سوى اليَمّ إن اليَمّ فيه شلاء

وفيما مضى قد صدق الله منطقى ولما يخب للمسلمين رجاء
وشعرى حق يعرف الله صدقه وأصدق ما يأتى به الشعراء
وصلى على خير البرية ربنا وعترته ما سبح العقلاء

قال : وكان ذلك فى شهر صفر سنة سبع وأربعين واجتمع معه من خولان قياس كثيرة وتراس ، وأتى بهم عليه السلام طريق حيدان ثم بلاد عذر ، فلما كان بواد يقال له حبطاء [١] حط العسكر فيه ، وهو واد ليس فيه ماء ، فتعب الناس من العطش ، فحفررجل فى البطحاء مُجَرِّباً فلحق الماء على قدر ذراع فحفر كل عنده فوجدوا الماء وشربوا وأسقوا وباتوا خائفين الحذر ، وكانوا قد حطوا قريبا منهم فلما أصبح جاءت عذر فسلموا على الإمام عليه السلام وبايعوه وتقدم معهم إلى شعب فأمسى هنالك ، وتقدم إلى بلاد وادعة وأمسى بهجر الهرائم . وقد كان قاسم بن يعفر الحجاجى جمع الكل من بنى ربيعة وصرخ بهم مخافة من الإمام عليه السلام وتهيبا بهم . فأتوا وهم يصعقون ويرفعون أصواتهم وأسيافهم مشهرة . فلما رأتهم خولان وعسكر [٢] الإمام عمدوا إلى تراسهم وسلوا سيوفهم وثبتوا لهم فحاربوهم ورموهم وطردوهم من قرية الهجر [٣] إلى قرية المصياد [٤]

---

(١) حبطاء واد فى ناحية العشة وعليه تقع قرية حبطاء فى عزلة السواد ناحية العشة قضاء خمر على بعد ١٢ كم شمال غرب قطبين ، وتقع ما بين : ٣ً ٥ َ٢٨ ْ١٦ شمالا ، ١٣ً ٣٩٠ً ٣ ْ٤٣ شرقا . التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥ ؛ التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ ٢ ص ٤٤٠ ، خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1643D1 .

(٢) فى الأصل عسكر .

(٣) الهجر ، محل من قرية الحمران ، عزلة ناحية حوث قضاء خمر .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ ٢ ص ٤٥٥ .

(٤) لم نستدل على قرية باسم المصياد . وربما كانت القرية المقصودة هى قرية الصياط المجاورة لقرية الهجر بعزلة الحمدان .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ ٢ ص ٤٥٥ .

والإمام عليه السلام وصنوه الشريف الأجل عبد الله بن سليمان بينهم يفزعانهم عن القتال ويكفان بعضهم من بعض ، وقتل رجل من بني شرحبيل من مشايخهم يقال له قاسم بن يعقوب ورجل عبيدى قتلا ورميا، وكثرت الصوائب في باقيهم من النبل . وتقدم الإمام بعسكره فحط بقرية السوق القديم بحوث ووصلت إليه بنو شرحبيل بالضيافة واعتذروا من فعالهم ، وكان الإمام عليه السلام يريد حرب أسعد بن حسين البحيرى لأنه من الظلمة المفسدين فوصل به إليه الشريف الأجل يعقوب بن محمد بن جعفر وطلب له الصفح من الإمام والعفو عنه فصفح عنه وحلفه وبايعه . وتقدم الإمام عيه السلام إلى مسلت وفسح لمن كان معه من خولان بالرجوع إلى بلادهم فرجعوا ، ووقف أياما بمسلت يفد إليه الناس ويؤدون ما يجب عليهم من حقوق الله تعالى . ثم تقدم إلى الجوف فأقام به أياما، ووصلته مكاتبة من الشريف الأجل على بن يحيى يسأله التقدم إلى يناع [1] من نواحى حضور وكان يومئذ محاصراً له ولم يطق فيه شيئا ، فلما أن قرب الإمام وعلم أهل الحصن بكونه في النواحي صالحوه وأدخلوه قبل وصول الإمام خوفا منه عليه السلام . فتقدم الإمام إلى مدع [2] فأقام فيه مقدار شهر ثم تقدم جبل مسور فطلعه وكان قد أراد صاحب مسور قياس من ذيبان ، فلما طلع الجبل ولزم رأسه

---

(١) يناع بفتح الياء على اسم يناع بن حضور بن عدى . حصن فى أسفل جبل حضور المعروف بالنبى شعيب فى الحيمة الداخلية غرب صنعاء .

الهمدانى ، الإكليل ، حـ ٢ ص ٢٥٨ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ٣ ص ٢٧٧ .

(٢) مدع بضم الميم وتكتب أحيانا مداع : قرية من عزلة المصانع ناحية ثلا ، على بعد ١٢ كم شمال غرب جبل حضور الشيخ (وهو غير جبل حضور النبى شعيب) وتقع ما بين : ٢٠ً ٣٧َ ١٥ْ شمالا ، ١٥ً ٤٧َ ٤٣ْ شرقا .

الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٣ ، ح ٥ نفس الصفحة ، التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥ ؛ التوزيع السكانى فى محافظة صنعاء ، حـ ٢ ص ٢٥٧ ؛ خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة ، 1543B4 .

دارت القياس من مكان آخر فأتوا القوم من فوقهم فلم يقدروا بهم شيئا وقهرهم أهل القياس . فأقام الإمام بالجبل أياما ثم تقدم إلى الأعذار من مخلاف كوكبان فأتى إليه قوم منهم يقال لهم بني العطوف وقد كانوا أخرجوا من حصنهم، أخرجهم قوم يقال لهم بني الخياط [١] فسألوه القيام معهم والشدة لأزرهم فقام معهم [ ] [٢] حصنا يعزون فيه من عدوهم ، ثم تقدم إلى أن بلغ يناع في شهر رمضان سنة سبع وأربعين فأتى وقد تعنت منه علي بن يحيى وفعل غير جيد مع أهل الموضع . فوقف فيه الإمام أياما ثم أرسل لأهل الهجر قوم منهم السلطان الأجل إسماعيل بن حاجب وأبوالقاسم بن الغريب وجماعة كثيرة [٣] من المسلمين والسلطان الجبير بن سلمة وولده أحمد فتحدث الإمام معهم وأحسن في الموعظة لهم وذكرهم أمور الجهاد وما رغب الله فيه جميع العباد ، وذكرهم ما في رقابهم له من البيعة وقال لهم : أخبروني في تخلفكم عني فلا بد لكم من أحد ثلاثة أوجه إما أن يكون الجهاد وجب علي وعليكم فلم ذا وقوفكم عنه ، وإما أن يكون وجب عليّ دونكم فأبينوا ما الذي أسقط عنكم الفرض وأوجبه عليّ ، وإما أن يكون لم يجب ذلك عليّ ولا عليكم فأبينوا الحجة فيه فإن صح أنه غير واجب عليّ تخلفت من حمل هذا الأمر الثقيل ، وكان ذلك أسهل عليّ وأحب إليّ من ترك الأهل والوطن فقد تركت نسائي أيامى وأولادي أيتاما بكثرة تغربي عنهم وابتعادي منهم . فقالوا يامولانا بل هذا الأمر واجب علينا وعليك ولكن حمّل كل رجل منا ما يطيق فقال إني لا أحمّل أحدا منكم غير طاقته . منكم من يطيق

---

(١) بنو الخياط وتقع بلادهم ناحية الطويلة محافظة المحويت .
الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ٣ ص ٥٥٩ ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة المحويت ، ص ١٩٩ – ٢٠٢ .
(٢) بياض في الأصل .
(٣) في الأصل كثير .

الجهاد ومنكم من يطيق الولاية ومنكم من يطيق التعليم فيقوم كل منكم بما يطيق فقالوا نفعل ذلك ، ثم إنه ولى على يناع الشريف العفيف محمد بن عبد الله العلوى . وتقدم إلى ناحية ذمار وتقدم معه السلطان الأجل إسماعيل بن حاجب وجماعة من المسلمين ، فلما كان بواد يقال له وادى مرحب وهم يسيرون فيه إذ غشيهم نور ساطع يميل إلى الصفرة فقال الإمام لأصحابه هل ترون ما أرى وكان بقربه الشيخ الأجل يحيى بن أسعد بن جعدنه فقال : قد رأيت يامولانا ما رأيت نورا زائدا فكأن الثياب البيض مثل الثياب المشحمة بالصباغ فعجبوا من ذلك وتقدموا حتى باتوا في موضع من الوادى . فلما كان من الغد لقيهم قوم من جنب قاصدين إلى الإمام وسألوه هو وأصحابه عن حالهم فقالوا : أين كنتم نهار أمس قبل الهاجرة ؟ قالوا : كنا فى ذلك النقيل فى رأس الوادى . قالوا : فإنا رأينا فى ذلك الموضع نورا عظيما فى تلك الساعة ، فاتفقت شهادتهم على ذلك وشهادة من كان قريبا من الإمام ، وكانت تلك آية من آيات الله تعالى وعجيبة من عجائبه . ثم تقدم الإمام ومن معه إلى أن وصلوا بلاد ميوان [1] من بلاد بكيل الهان ولقيه هنالك الشيخ إبراهيم بن عبد الله الحجلم وكافة أهل هجر بكيل فسلموا عليه وضرب مضربه وبات فيه قدام القرية ، فلما كان من الغد واجتمع المسلمون وتكلم معهم بمثل ما تكلم مع المسلمين بيناع فأجابوه بالسمع والطاعة وجددوا له البيعة وتقدم هو وإياهم إلى مقرا فقابل أهل مقرا ووعظهم وذكرهم بأيام الله فسمعوا وأطاعوا وبايعوا . وتقدم إلي بلاد خولان بالسوق الجديد فوعظهم وتوبهم فبايعوه وسمعوا وأطاعوا . وتقدم إلى بلاد جنب وقدم السلطان

---

(١) ربما كان الموقع المذكور هو قرية ديوان من عزلة مخلاف قران ، ناحية جبل الشرق ، قضاء آنس التوزيع السكاني في محافظة ذمار، ص ١٣ .

إسماعيل بن حاجب وإبراهيم الحجلم إلى الشيخ زيد بن عمرو وهو بسربه [١] فوصلاه ومن معهما برسالة الإمام عليه السلام وأتوا وهو في وليمة له وعنده قوم من مشايخ جنب على شراب لهم ففرغ المسلمين بيتا فدخلوه ، وأتاهم فسلم عليهم وتكلموا معه ووعظوه وذكروه بالبيعة ؛ بيعة الإمام فأجابهم بكلام مجمل لا أبعدهم فيه ولا أقربهم ، فانقلبوا من عنده إلى الإمام فأتوا إليه وهو بموضع يقال له أفيق [٢] فأعلموه بما كان منهم من زيد ففسح لهم في الإنقلاب إلى بلادهم ، وعيدّ عيد الأضحى بأفيق وقال في ذلك الوقت شعره الذي يقول فيه :

لأُحَكِّمَنَّ صوارما ورماحا	ولأبْذلَنَّ مع السماح سماحا
ولأقتلن قبيلة بقبيلة	ولأسلبن من العدا أرواحا
ولأروين السمر ممن ابتغى	فإذا روين أفدتني إصلاحا
ولأجلون الأفق عن ديجوره	حتى يعود دجا الظلام صباحا
ولاكسون الأرض عما سرعة	نقعا مثارا أو دما سفّاحا
ولأجلبن الخيل من أقصى المدى	لاينثنين ولا يردن مراحا
ولأرمين بها الحصيب وأهله	ولأنجحن ملوكهم إنجاحا
ولأرمين الواديين بصاليم	والمشرقين وأنثني صرواحا
جيش تئن الأرض من جولاته	كأنين من يشكو عنّا وجراحا
ولأوقعن [٣] بخي يام وقعة	تدع الحمام [٤] من الطغاة مباحا

---

(١) سربة بكسر السين ، من قرى بلاد جهران .
المقحفي ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٣١٨ .

(٢) أفيق ، وتسمى الآن أفق ، قرية من عزلة سفل جهران ، ناحية معبر جهران ، قضاء انس .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٧ ؛ التوزيع السكاني في محافظة ذمار ، ص ٣٩ .

(٣) في الأصل ولاقعن .

(٤) في الأصل الحما والتصويب من الحدائق الوردية ، جـ ٢ ص ١٢٤

ولأمطرن عليهم مني سما ... تدع البلاد من الدما أقداحا

بفوارس من مذحج أسد الشرى ... صاروا لكل مرتج مفتاحا

قوم فتحت بهم أزال ولم أزل ... لجميع أمصار الملا فتاحا

يا آل مذحج إنني أعددتكم ... لي في الحوادث جنة وسلاحا

ياراكبا أبلغ ذؤابة يعرب ... عني مقالة من يريد صلاحا

أبلغ زبيد الأكرمين مقالتي ... وسنراة عنس وقيلها الجحجاحا

أبلغ إلى الأثلا [١] ومن أضحى بها ... وإلى أفيق وأبلغن صباحا

وإلى رداع [٢] والموشح [٣] أبلغن ... أبنا ضرار[٤] الضاربين كفاحا

ثم ادع فيهم يال مذحج دعوة ... دوسوا الصفيح وثقفوا الأرماحا

قودوا إلينا مقنبا يغشى الربا ... جيشا أجش عرمرما نطاحا

فيه الصوارم والمثقفة الظما ... وأسود غاب تتلف الأرواحا

لست ابن أحمد إن تركت زعانفا [٥] ... يتبخترون وينكحون سفاحا

يتواعدون لكل ليلة جمعة ... فإذا تلاقوا أطفأوا المصباحا

بالمشرفية والمثقفة الظما ... والأعوجية أبتغي الأرباحا

لا بالسلو مع القيان وقوله ... هاك اضربي دفا وهاتي راحا

---

(١) الأثلا ، عزلة من ناحية ذمار .
التوزيع السكاني في محافظة ذمار ، ص ٥٢ .

(٢) رداع بفتح الراء والدال اسم مشترك بين جملة بلدان أشهرها رداع العرش شرقي ذمار .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٣ ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ص ٣٥٩ - ٣٦٥ .

(٣) الموشح بضم الميم والواو وتشديد الشين ، بلدة في العوازل جنوب البيضاء .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٧٧ ، المقحفي ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٦٧٥ .

(٤) بنو ضرار من قبائل جُرش شمالي صعدة .
الهمداني صفة جزيرة العرب ، ص ٢٣١ .

(٥) الزعنفة : طائفة من كل شيء وجمعها زعانف .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة زعنف

قال ثم آب الإمام عليه السلام وتقدم [١] بلاد زُبيد ووقف بها مدة وكتب إلي زيد بن عمرو كتابا فيه أبيات شعر يقول فيها :

قل لي لزيد رأس مذحج كلها ... وحسامها الماضي الغرار المصلت
ماذا تقول لأحمدٍ ووصيه ... يوم القيامة إذ نكثت ببيعتي
أعددتكم لدفاع كل ملمة ... عني فصرتم عون كل ملمت
وجعلتكم لي جُنَّةً فغدرتم ... يرمي العدو مقاتلي من جنتي
قال الرضي مقالة في شعره ... يأسا وقولي في الرجاء وهمتي
لأنفضُ الكفين يأساً منكم ... نفض الأنامل من تراب الميت
أبدا ولا يوما أقول لخاطري ... أقصر وهبتك للتيا [٢] أو للتي [٣]
لكنني أرجو وآمل دعوة ... منكم تجلي وجه كل دجنت
ثقة بنخوتك التي قد حزتها ... إرثا وأية نخوة لك أيت

فلما بلغت الأبيات إلى زيد رد كلاما جميلا وأبيات شعر يقول فيها :

أهلا بطرسك [٤] يا سليل الصفوة ... يابدر يا مفضال عالي الرتبة
يابن الأولى نزل الأمين بفضلهم ... برسالة وطهارة ونبوة
أتقول إني يا متوج هاشم ... بعد التلاقي قد نكثت ببيعتي
لا ما نكثت ببيعتي أبدا ولا ... أنكرت طول الدهر فضل أئمتي
هل قابلتك فوارسي لكريهة ... هل أشرعت يوما إليك أسنتي

---

(١) في الأصل تقدم .
(٢) تيا . تي وتا : تأنيث ذا ، وتيا تصغيره .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة تيا .
(٣) في الأصل والتي وتم التعديل ليستقيم وزن البيت .
(٤) الطرس : الصحيفة . وطرس الكتاب : سوده .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة طرس .

لا تـنـفـض الـكـف يـأسـا إنـنـي لك مخلص ما عشت صفو مودتي
وعلـيـك مـنـى يـا إمـام تحـيـة مـا غـردت ورق الحـمـام وغـنـت

وسأل زيد الإمام عليه السلام اللقاء إلى بركة نعامه فنهض الإمام ومعه مقدمات مذحج ورؤساؤهم منهم صباوة بن عنس ويزيد بن إسماعيل وعبد الله وسالم الخرفان ومقبل والحداد ابنا عبد الله وسعيد بن يوسف ومنصور بن أبى الهيثم ، ولقيه زيد بن عمرو فى خمسمائة فارس من جنب وفيهم عبد الله بن يحيى فسلموا على الإمام ثم تحدث الإمام معهم ووعظهم وذكرهم بأيام الله ، وخص بالكلام زيد بن عمرو وعبد الله بن يحيى وزاد لهما فى الوعظ والتذكرة والتآلف فأجابوه بالسمع والطاعة وعقدا له بالمخرج معه إلى جنب . وقد كان رسم عليهما المخرج معه إلى عدن فأجابوه إلى ذلك وعقدت له سائر جنب بمثل ما عقدوا وجعلوا المنهض لشهر المحرم سنة ثمانى وأربعين ، ثم عاد إلى بلاد مذحج فأقام فى هجرة الحداد بن عبد الله فى بلاد مذحج أياما . ثم إن حاتم بن أحمد لما علم بذلك نهض من صنعاء يريد إلى زيد بن عمرو وعبد الله بن يحيى وأمر بكتب إلى منصور بن مفضل ومحمد بن سبأ وسألهما اللقاء إلى ذى جبلة [1] وقد كان بلال بن جرير مات فى تلك المدة ، وكان على عدن من تحت يدى محمد بن سبأ فخلف مالا كثيراً لا يحصى فأخذه محمد بن سبأ واستولى عليه . فلما وصل حاتم بن أحمد ذى جبلة ولقيه ابن سبأ وابن مفضل هنالك أعلمهما بما كان

---

(١) ذى جبلة ، مدينة بالجنوب الغربى من إب بمسافة ٧ كم ، اختطها عبد الله بن محمد الصليحى سنة ٤٥٨ هـ أسفل حصن التعكر .
عمارة ، تاريخ اليمن ، ص ١١٤ – ١١٥ ؛ ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ،ص ١٦٩ ؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ١٢٢ .

من عزم الإمام على الخروج لعدن وما كان من إجابة مذحج له ، فعند ذلك أخرج محمد بن سبأ مالا كثيرا فأعطى منه زيد بن عمرو شيئا وعبد الله بن يحيى شيئا وأخرج لجنب عشرين ألفا غير ما أخرجه لمشايخ الناس وأهل الغواية وأخرج لسائر مذحج قريبا من ذلك ، إلا أنه فرق هو وابن مفضل قريبا من مائة ألف ، وقد كان وجد فى توقيع له أنه أنفق فى معارضة الإمام عليه السلام ثلثمائة ألف دينار. وروى لى الإمام عليه السلام أن زيد بن عمرو قال له أعطانى محمد بن سبأ فى دفعة واحدة أربعين ألف دينار وكانت تسبيبا لخروجك من صنعاء ، قال فلما عاد حاتم بن أحمد بهذا المال وفرقه بين جنب رجع رأيهم على أنهم نهضوا إلى الإمام عليه السلام فى ألفى فارس ووصلوا إليه وهو بالعرش من رداع ، فلما قابلوه قالو : يا مولانا قد أخذنا بسببك لقمة كبيرة وإنا نحب أن تسوغها لنا وتهب لنا صنعاء وعدن في هذه المدة وتخرج بنا حيث ما أحببت إما السوة [١] وإما لبيحان [٢] وإما لحضرموت أو نجران أو الجوف أو صعدة . فقال أما صعدة ونجران والجوف فهى لى ومن قبلى وأما غيرها فإنى أخاف أن نزيد تحصل لكم لقمة أخرى فتأخذونها ، وغضب عليهم وعاد إلى الموضع الذى كان فيه وقال رجل مؤمن من جنب من أصحاب الإمام عليه السلام يقال له على بن المسلم :

لحى الله خيلا جبنت عن إمامها ومن بيعة للظالمين تبيد

---

(١) السوا عزلة بالحجرية ، وقرية قديمة خاربة بنفس المنطقة .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ص ٢٣٤ .

(٢) بيحان اسم لمجموعة من القرى منها بيحان السافل وبيحان العالى من عزلة السلف ناحية ضوران قضاء أنس ، وبيحان قرية من عزلة الأعماس ناحية الحدا قضاء ذمار ، واشهرها بلدة بيحان فى الجهة الجنوبية من البيضاء .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ص ١٣٢ ؛ التوزيع السكانى فى محافظة ذمار ، ص ١٨، ص ٤٥ .

بـذلـت لـعـصـيـان المـنـار وردهـا عن الحـاج مـحـض الوالـدين يـزيـد

ثـم إن الإمـام عـليه السـلام ازداد خيلا من جنب من أهـل الإيمان مـنـهم ، ونهض يوم الجوف وأتى على بلاد مراد فركب الخطر وتابع الليالى والأيام وأتى وادى مأرب ثم على صرواح [١] حتى أتى الجوف على اثنتى عشرة مرحلة ، فلما وصل الجوف لقيه السلطان الأجل ربيع بن جحاف وسائر إخوته وبنى عمه بنى الدعام وكافة أهل الوادى فسلموا عليه وهنوا له بالإياب مسلما فأقام عندهم ثم تقدم إلى عمران فى شهر [٢] فأقام به مقدار شهرين وأثار فيه زراعة عظيمة من ذرة وجلجلان [٣] . وكان فى مدة إقامته فى اليمن ظهر فى صعدة الفساد وشرب الخمر ولم يقدر الشرفاء بنو الهادى على إزالة ذلك وتغييره ، فنهضوا إلى الإمام عليه السلام ومعهم الشيخ السعر بن أبى الليل وإخوته والشيخ أحمد بن الصباح الربيعى واستنهضوا معهم الشريف الأجل المطهر بن أحمد بن سليمان فنهض معهم ، فلما وصلوا الإمام عليه السلام إلي عمران فرح بهم وقربهم وأكرمهم وأقاموا عنده أياما ثم إنهم شكوا إليه ما ظهر بعده من الفساد فى ناحيتهم وسألوه النهوض معهم إلى هنالك فنهض فى شهر جمادى الأولى من هذه السنة . فلما أن وصل أسل وأمسى بدرب الحناجر وصل إليه من أهل صعدة الشيخ قاسم بن مريد فحلف له وبايعه وسأله النهوض معه إلى درب الحدادين بصعدة وسلمه إليه ، فنهض ومن معه من الأشراف بنى الهادى إلى الحق عليه السلام

---

(١) صرواح بالكسر ثم السكون ، حصن قديم ومركز لناحية صرواح قضاء مأرب .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٤ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ص ٤٠٢ ؛ التوزيع السكانى في محافظة مأرب ، ص ١٩ .

(٢) لم يذكر المؤلف اسم الشهر . ولكن يبدو من النص أنه تقدم إلى عمران فى شهر ربيع الأول .

(٣) الجلجلان هو السمسم .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة جلل .

فدخلوا الدرب وباتوا فيه . فلما كان من الغد أمر الإمام عليه السلام لمن كان قد شرب الخمر من أهل صعدة فأحضروا إليه فأمر بجلدهم وشد عليهم وأغلظ لهم فى الكلام ، فلما أحر السوط رجلا هرب فدخل فى ثياب رجل من الحدادين محمد بن عبدالله ، فقام الإمام عليه السلام وسل السيف وتبعه وجذبه من الشيخ فتبرأ منه ودفعه عنه فجلد الحد البالغ ثمانين سوطا . فلما فرغ من ذلك تقدم إلى درب ألغز فدخله وجلد قوما فيه وأمر بخراب كنيسة لليهود كانت لهم هنالك فَكَبُرَ ذلك على أهل صعدة ، وخاطر الإمام عليه السلام فى ذلك خطرا عظيما فى دخوله لهذين الحصنين بنفر قليل بين قوم مضمرين العداوة بقتلهم الأمير الأجل محسن بن الحسن وولده وشدة عداوتهم لأهل البيت عليهم السلام لما يقهرونهم عليه من إقامة الحدود وإثبات الحق ونفى الفسق ، وقد قال الأول ماترك الحق لنا من صديق . فلما أقام الحدود عليه السلام وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر خرج من صعدة إلى موضعه بالجبجب فأقام به ثم نهض إلي الظاهر فى شوال من هذه السنة وأخذ معه قوما من الأبقور فوصل إلى مسلت وظاهر بنى صريم ثم نزل إلي وادى ذيبين [١] من بلد الصيد إلى الشرفاء الأجلاء أولاد حمزة وغرضه المخرج لأسعد بن حسين لما كان من عناده ، وقد كان قبل ذلك وصل إليه الشيخ الأجل سالم بن محمد بن السميدع البحيرى وشكا إليه من أسعد بن حسين خلافا وفسادا فعله وأظهره ، فلما صار بذيبين وصله مشايخ من ذيبان فسألوه العطف والصفح عن أسعد بن حسين والعودة عن المخرج إليه فأجابهم إلى ذلك . ولم يزل ذلك فعله عليه السلام يعفو عن المسيء عند المقدرة عليه ويحسن إلى من

---

(١) وادى ذيبين يقع فى جنوب ناحية ذيبين علي بعد ٢٠ كم شمال شرق ريدة ، وعليه تقع مدينة ذيبين مركز الناحية .
خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ صفحة 1533A1 .

قدم الإساءة إليه ، ثم تقدم طريق الجوف فأقام به مدة يصلح أموره ويثبت أحواله ثم عاد إلى مسلت فأقام به مدة . ووصل إليه السلطان الأجل معن بن الحماس ابن القبيب اليامى فذكر له أمورا لحقت أهل القبيب من حاتم بن أحمد وطلب المحالفة عليه ، فأرسل الإمام عليه السلام الشريف الأجل محمد بن القاسم بن يحيى بن حمزة والشيخ الأجل نشوان بن سعيد معه وأمرهما أن يدخلا بينهم بالصلاح وتغطية الأحوال ، فلما وصلا إلى حاتم أسعدهما إلى ذلك وصالحهم ، وخرج من جميع مايغضبهم ، وعجب من الإمام عليه السلام في ذلك عجبا شديدا ومن طلبه الصلاح بينهم وقد كان تعب من تقدم معن إليه فرغبه ذلك في مصالحته ومهادنته وإغفال الشر بينه وبينه ، وسأل الشريف والشيخ المقدم ذكرهما الدخول له في ذلك ففعلا . وتقدما إلى الإمام عليه السلام فشاوراه على ذلك فلم يكرهه لفساد المعين وقلة الناصر واستعطافا له فعادوا إلي حاتم فأعلماه ووعداه اللقاء إلى بيت الجالد [1] فلقيه الإمام إلي هنالك في نصف رجب من هذه السنة فوقع الصلح بينه وبينه والهدنة على أمان الأشراف والمسلمين في بلاده والصيانة لأحباب الإمام وشعيته في صنعاء وأوداده وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ورفع الخطبة للباطنية في المسجد الجامع وإظهار حكم الهادى إلى الحق عليه السلام ومذهبه في صنعاء وعلى كف الإمام عن حربهم ما استقاموا على ذلك ، وكان حاتم بن على بن سبأ يومئذ بصنعاء من قبل عمه محمد بن سبأ واليا على نصف صنعاء ومخاليفها ، وعَمَّر قصرَ غمدان في تلك المدة عمارة عظيمة . قال : فلما عاد حاتم بن أحمد إلى صنعاء رفع المناكير وأظهر الأمر بالمعروف والنهى

---

(١) بيت الجالد ، قرية على وادى المدينى من عزلة الخميس ، ناحية أرحب .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، جـ ١ ص ٩٥ ؛ خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544A3 .

عن المنكر .

حدثني من أثق عن الشريفين الأجلين قاسم بن إبراهيم وحمزة بن جعفر أنهما نزلا من بيت الجالد إلي صنعاء لحاجة عنتها إلى هنالك فدخلا على حاتم ابن على فوجدوا عبدا له مقيدا فسألا عنه فقيل : جلده مولاه على شرب الخمر وقيده على كلمة سمعت منه ، قال : إن منعت الخمر فى صنعاء غدوت اليمن فشربته هنالك ، فبلغ ذلك الإمام فعجب منه ، وحاتم بن على هذا ممن غذى بالخمر وربى عليه . ثم إن الإمام عليه السلام تقدم إلى الجوف فأقام به شعبان ورمضان ثم إن حاتم بن ،حمد تقدم إلى عدن ومعه عبد الله بن يحيى وزيد بن عمرو ومقدمات همدان وسنحان ، فلما وصلوا [إلى] [١] محمد بن سبأ هَمَّ بضرب رقابهم لما أفاتوا من أمواله وإقامتهم عنده ، ثم إنه وصل إلى الإمام عليه السلام الشيخ الأجل منيف بن جابر بن عبد رب إلى عمران ومعه صنوه الرميم ابن جابر وعبد العزيز بن العطير وفلاح بن سرية فقربهم الإمام وأدناهم وأكرمهم وحباهم ، وأقاموا عنده أياما ثم سألوه النهوض معهم إلى ذمار فساعدهم إلى ذلك ونهض معهم . فلما صار بذمار وعلم بكونه هنالك محمد بن سبأ أطلق حاتم بن أحمد وزيد بن عمرو وعبد الله بن يحيى وقال لهم : امضوا فاكفوني هذا فكان وصول الإمام عليه السلام إلى هنالك سببا لسلامتهم . فأقام بذمار مدة شهر وعاد إلى الجوف فعيد فيه عيد الأضحى وقد كانت له بعمران زراعة عظيمة ذرأ [٢] منها مائة جربه بُرًّا وقد كان قرب صلاحه ، فتقدم إلى أسفل الجوف

---

(١) مابين الحاصرتين إضافة .

(٢) ذرأ : بمعنى زرع .

ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ذرأ .

فاستنهض الشيخ الأجل فليته بن العطاف النهمي وهو في مائتي بيت من الشّعر فأحلهم في أسفل من مزرعته بعمران .وأمر لأبي القيس النهمي وهو في مائتي بيت فأحلهم في أعلاها ، ووصل إليه السلاطين الأجلاء آل الدعام وأهل واديهم فسأل الكل النهوض معه إلى شوابه والمخرج لحرب أسعد بن حسين فأجابوه إلى ذلك ، وأباح للظعن ولقوم كانوا معه من جنب مزرعته وقد صار زرعها مصفرا فأقاموا يأكلون منه ويعلفون خمسة أيام . ثم إن الشريف الأجل عبد الله بن الحسين بن حمزة وصل ومعه أخ لأسعد بن حسين يقال له عيسى مخاطبا لأخيه في الطاعة والدخول تحت الأمر ويشفع له في ذلك الشريف الأجل المقدم الذكر فقبل منه الإمام وحلفه على الطاعة وبايعه ، ورجع الشيخ فليته بن العطاف وسائر أهل الحلتين إلى مواضعهم إلى أهل الوادي ووقف الشرفاء والجنبيون مطلقين في المزرعة نفوسهم ودوابهم ثمانية عشر يوما . ثم أمر الإمام بما بقي من المزرعة فصرم وأخذ كل له ، فبقي بعد ذلك للإمام عليه السلام ثمانون فرقا [١] ثم إنه عليه السلام تقدم إلى الشيخ فليته بن العطاف إلى كمنا [٢] بأسفل الغائط فدخل على امرأته بنت فليته بن العطاف وأقام هنالك أياما ثم نهض إلى عمران فأقام به أياما وقال في ذلك شعره الذي يقول فيه :

يلوم حران القلب والجسد	فيما يقاسيه بارد الكبد
ترى السليم الخلي وادعه	وصاحب القرح منه في كبد
ونائم الليل في تقلبه	يلوم من يشتكي من الرمد

---

(١) الفَرَق ، مكيال يسع ستة عشر رطلا ، فأما الفَرْق بالسكون ، فمائة وعشرون رطلا .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة فرق .

(٢) كمنا : محلة من قرية المقاشب ، عزلة همدان ، ناحية حزم الجوف .
الهمداني ، الإكليل ، جـ ٨ ، ص ١٧٥ ؛ التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥ .

يلومني معشر بجهلهم — على فراقي للأهل والولد

وفي اجتناب الأحباب معتمدا — أيضا وتضييع المال والبلد

فقلت إن البهام منكرة — في كل حين مساعي الأسد

قمت بعبء [١] طلبت مجتهدا — عونا على حمله فلم أجد

في كل حين أدعو الأنام إلى — كل رشاد دعاء مجتهد

فلم يجبني إلي الهدى وإلى — ما يرتضيه الإله من أحد

في سقم من علُو أيدى ذوى الجـــــور على مَنْ يهوَى علوٌ يدى

ويى قروح من مشعر غفلوا — عن ضدهم والكمين في الرصد

من معشر كلهم وشيعتنا — من أهل ودى قالوا ومعتقدى

قد أبدوا الكفر عندما خذلوا — الإسلام حقا فعال معتمد

الكل منهم يبدى تعنته — بالمين منهم علىّ والفند

أما القريب الأدنى فثبطه — عن نصرتي مايُكن من حسدى

وعصبة [٢] من شرار شيعتنا — ملوا مقامي واستبعدوا أمدى

وأظهروا القول إنني رجل — مخالف دينهم بكل يد

من أجل أني أنكرت قولهم — في مثل أسماء الواحد الصمد

أسماؤه يزعمونها هي هو — قديمة كالقديم في الأبد

وهل تكون الأشياء ويحهم — حساركا [٣] في المعنى وفي العدد

فأشبهوا قول من يقول ياقـ — ـيوم خلاف التوحيد متحد

قالوا ولانسمع الكلام ولا — ندرك محسوس الحر والصرد

---

(١) في الأصل بعبو .

(٢) المقصود هم جماعة المطرفية.

(٣) كذا في الأصل ، وربما كان صحتها حساككا أو حساكلا . والحساكِ : الصغار من كل شيء .
والحَسْكَلُ ، الردئ من كل شيء .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة حسك ؛ مادة حسكل .

قالوا وهذا القرآن عندهم ... معيب لم ينزل ولم يرد
ولاتحل الأعراض في شبح ... والكون منها فنَارَهاً فقد
قالوا وإن الفروع حادثة ... من غير ما قاصد ومعتمد
لو كنات الحادثات مهملة ... لم يبد ربي خلقا ولم يعد
منهم أناس لايفترون إذا ... رأيتهم من تنفس الصعد
ليخدعوا الناس بالخشوع وبالـ ... ـوعظ نفاقا وكثرة الزهد [١]
وقال قوم لم أعطهم رفقا ... قالوا وكانوا من قبل في رغد
وعصبة [٢] عظموا إمامهم ... وشبهوه بالواحد الأحد
لم أكن داخرا وقد علموا ... أنني ما جنيت من سبد [٣]
أما الرعايا فليس عندهم ... لوم وهم مثل الماء في الجدد [٤]
لكنما من يخصني فسدوا ... ونقضوا ما وثقت من عقد
وخالفوا ما أحببت من عمل ... بفعل مالم أحبب ولم أرد
أشكو إلى الله لا إلى أحد ... مافي فؤادي منهم من العمد
لو يبلغ الضد في ما بلغوا ... وقيل للضد ذره لم يزد
إلا رجال نووا حجا صبروا ... وآزروني لخانني جلدي
بقية الله في بريته ... أهل التقى والصلاح والرشد

---

(١) في الأصل النهد .

(٢) المقصود الحسينية : وهم أتباع الإمام الحسين بن القاسم الذين يعتقدون إنه المهدى المنتظر الذي سيعود ليملأ الأرض عدلا .
أحمد بن سليمان ، حقائق المعرفة ، مخطوط مصور بمكتبة الدكتور رضوان السيد ، ص ٢٤٧ ؛
عبد الغني محمود عبد العاطي ، المطرفية في اليمن بين العلم والسياسة ، ص ١٠٣ .

(٣) السبد : الوبر وقيل الشعر يكنى بها عن الإبل
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : سبد ، الميداني ، مجمع الأمثال ، جـ ٢ ص ٢٧٠ .

(٤) الجدد : الآبار .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : جدد .

[ ] [1] مخترطـــــا في الكف أو كالذراع في العضد
هـم صـريـح وغـيـرهـم زبـد شـتـان بـين الـصـريـح والـزبـد

قال : ثم عاد الإمام عليه السلام إلى أهله بالعسرات فأقام به مدة شهر ومعه ولده المطهر بن أحمد رحمه الله ، ثم نهض من هنالك متوجها إلى صعدة ، وأتى طريق برط وقد كانت جرت الفتنة والفرقة بين أهل صعدة فأقاموا على ذلك مدة ، فلما أن علموا بوصول الإمام لقيه من مشايخهم جعفر بن أحمد وقاسم بن مريد وأصحابه الحدادين ، فدخل عليه أولاد الهادى إلي الحق عليه السلام وقالوا : نحب منك أن لاتكون عونا على أخلافنا ولكن عونا لنا ، فلم ير إلا أنه سوى بينهم وأذم بين القبيلتين فاستوت أمورهم وثبتت أحوالهم ، ثم أقام عليه السلام حفر غيل بمجز وعاد إلى الجبجب فأقام به مدة .

ذكر المخرج إلى غيل جلاجل وماجرى فيه :

ثم بلغه أن قوما من يام بالخانق أظهروا مذهب الباطنية وكان لهم مادون [2] يقال له عمرو بن ظبيان فأعمل الإمام عليه السلام الحيلة في قتله أو طرده وحلف على ذلك منصور بن جندد فوفى باليمين ولم يبرح حتى قتله بأمر الإمام وتسبيبه. وكان من أمرهم ومافعلوه من المنكرات وإطراح المشروعات أنه ما بقى منهم من يصوم رمضان وارتكبوا الفواحش ، وجعلوا لهم ليلة سموها ليلة الإفاضة فيرتكبون فيها الأخوات والأمهات والبنات ، ويفضى بعضهم إلى بعض فلايبقون

---

(١) بياض في الأصل بمقدار ثلاث كلمات
(٢) يقال للعبد مدين وللأمة مدينة : أي مملوك .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : مدن .

شيئا من المنكر إلا يفعلونه ويشربون الخمر ويدمنون على شربها ، وروى منهم أنهم راموا قوما على قولهم الحمد لله . فلما بلغ إلي الإمام عليه السلام ذلك غضب لله تعالى وقام فى جهاد هؤلاء كجهاد المجوس ، فنهض إلى الشام فوصل بلاد بنى شريف وسنحان وقد كانت جرت بين يام وبين سنحان حروب وقتلوا رجلين من سنحان فصبحتهم سنحان بالفتنة وقال شاعرهم .

إنــا صَبَحْنَاهُمْ صَبَاحــاً زايــدا   وديــن ســوء أظــهــروه عــانــدا

بــقــتــلــهــم مــحــمــدا وزايــدا

فلما وصل الإمام عليه السلام إلى سنحان وبنى شريف دعاهم إلى جهاد يام والخروج إليهم فأجابوه إلى ذلك واتعدوا للمخرج فى شهر جمادى الأولى من سنة تسع وأربعين ، فلما عزموا على النهوض وصلت مشايخ وادعة إلى بعوض [١] وقد كان وقع منهم إلف على يام فى أسر همدان . فقال لهم الإمام : يا معشر وادعة قد علمتم ما أظهرت يام من الكفر وأبدت من المنكر وأنتم منى بين ثلاثة أوجه فاختاروا أيها شئتم ، إما أن تكونوا من جنب وسنحان ، وإما أن تقوموا على يام فقوموا واكفوا وها أنذا معكم وأترك جنبا وسنحان ، وإما لم تقوموا مع الناس بالجهاد وهو [٢] فرض عليكم وعليهم ، وقفتم فى بلادكم وأمَّنَّا لكم على نفوسكم وإن كرهتم ذلك وأبيتم إلا القيام بحربنا فلعل ذلك يقرب الأمر الذى يروى فى بلادكم . قالوا : وما الذى يروى فى بلادنا قال : تقتلون وتخرب بلادكم ولاينظرها منكم إلا من سلم رأس جبل ، فلم يردوا عليه شيئا ووجهوا إلى بلادهم. ونهض

---

(١) واد بعوض من أودية بلاد قحطان ويقع إلى الشمال الغربى من قرية بدر .
البلادى بين مكة وحضرموت ، ص ٧٤ ، ٧٧ .

(٢) فى الأصل فهو .

عليه السلام إلى أن أتى إلى موضع يقال له بدر [١] من بلاد يام فاجتمع عسكره هنالك ثم إنه أمر عيونا من آل الحباب من سنحان إلى وداعة وقال : أنظروا القوم فإن كانوا نهضوا فى لقائنا كنا نحالفهم إلى بلادهم ونجعل الحرب هنالك ، فأتت العيون فوجدت وادعة قد نهضوا فى ألف وخمسمائة فى لقاء الإمام عليه السلام للحرب ، فأتوا إلي الإمام وكتموه الخبر ، وذلك بأنه كان لهم بالغيل أوضاع من سمن أوحب فخافوا عليه . وكانوا أيضا منافقين لوداعة وقالوا إن وداعة فى بلادهم لم يبرحوا منها ولا خرج منهم أحد فصدق الإمام منهم ونهض على نصف الليل بمن معه فنزلوا عقبة يقال لها العرقوب وتبعهم باقى الناس ، ثم نهض على ربع الليل الآخر وقد كان على وضوء فصلى عند طلوع الفجر صلاة الفجر على عقبة العرقوب وتكلم مع أصحابه وقال : ما طابت نفسي بالموت فى مثل هذا المخرج وذلك لوجهين فلكفر هؤلاء الذين يريد الله قتالهم ويرضى به ، والآخر أنى غضبت لله سبحانه غضبا خالصا لم يشبه سواه . ثم وعظ أصحابه وتوبهم وحضهم [٢] على الجهاد ورغبهم . وكان من خلصان أصحابه المبارك بن يحيى الأوسى من بنى شريف . ثم نزل العقبة هو وأصحابه وهى عقبة وعرة تعبة صعبة فنزلوا حتي أوطوا الوادى إذ أتى المبشرون بأن أوائل العسكر قد ظفروا وقتلوا رجالا وخربوا دروبا وأخذوا إبلا وعبيدا فسر الإمام ذلك . وتقدم إلى أن وصل موضعا يقال له الجفة [٣] فحط هنالك وكان معه ولده المطهر بن أحمد رحمه الله وقد كان معه مرض ناله . فأمره والده بالوقوف في راحة أو فى بدر ، فقال : والله

---

(١) بدر بلدة فى نجران ووطن لقبيلة يام ، تقع على وادى بدر أحد فروع وادى حبونا .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٦ ؛ البلادى ، بين مكة وحضرموت ، ص ٢٠١ ، ٢٠٤ .

(٢) فى الأصل وحظهم .

(٣) الجفة من بلاد مذكر بنجران ، وتقع فى وادى حبونا .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٧٣٤ ؛ البلادى بين مكة وحضرموت ، ص ٢٠٥ .

ما أصبر عن الوقوف عنك والنهوض معك . قال : فبينا الناس يغنمون ويخربون الدروب إذ بصروا ببقر فى قابل حيل بعيد من وراء الوادى ، والوادى فيه إبل وهو عميق لايرى من يكون فيه . فأغارت قوم من جنب وسنحان يريدون البقر . فلما اختلطوا الوادى وأخذوا البقر ورجعوا بها خرجت عليهم وداعة فقتلوا فيهم أربعة وعشرين رجلا ، وكان فى القتلى غلام شاب من بنى شريف من بنى أوس يقال له دهمش بن جميل ، وكان نجيبا كريما شجاعا محبا للإمام عليه السلام قتل ذلك اليوم ، فتعب عليه أهله واغتموا عليه غما عظيما وكان قبل ذلك قاطعا للصلاة ، فلما كان ذلك النهار اغتسل وتاب وقال اللهم إن لحمى ودمى اليوم بين يدى أحمد بن سليمان لك وفى رضاك . فلما قُتل القوم رحلت سنحان من المحطة وأرادوا (١) أن يقبل معهم بنو شريف لأنه كان أكثر القتلى منهم . فلما أن رحل الناس ركب الإمام عليه السلام وركب معه ابنه المطهر بن أحمد على فرسه وكانت متوجعة . فشد عليها وركب وتبعه ابن عمه المطهر بن قاسم وشرفاء من بنى جعفر بن أبى طالب كانوا مع الإمام وتبعوا الناس يردونهم ويوقفون أولهم إلى أن يأتى آخرهم . فما زال الإمام عليه السلام ومن معه يردونهم إلى أن بلغوا أصل العقبة التى تسمى البرضاء وذلك عند صلاة العشاء . وصلى الإمام عليه السلام الظهر والعصر على ظهر فرسه وتوجه إلى القبلة لقلة إمكانه لأدائها على غير تلك الحال واشتغال الناس بأنفسهم، وما صلى أحد ممن كان معه لما هم فيه من الإشتغال والخوف ممن بعدهم من وادعة ويام وهم فى أعقابهم . فلما دجى الليل وطلع الناس العقبة وهى عقبة وعرة عسرة المصعد والمرتقى وفيها يقول الإمام عليه السلام :

---

(١) فى الأصل أرادوا .

ما رأينا من البلاء والعناء مذ نشأنا كليلة البرضاء

فبات الناس يسرون فى العقبة والقتل والقتال فى أعقابهم إلى أن وصلوا ماء ضعيفا فى وسطها فحطوا عليه وشرب منه من شرب وهو ماء أجن (١) مختلط بالحمأة (٢) .

وقام رجل يورى النار من الزند فلما أوراها رمى بسهم فسقط ميتا ، وبات الناس هنالك يقاتلون إلى أن طلع الصبح ونهضوا فطلعوا العقبة وأتوا على بدر الموضع الذى كانوا أمسوا عند ورودهم وأتوا إلى بلادهم مكسورين مغلوبين لقلة مساعدتهم للإمام وائتمارهم . ثم إن الإمام عليه السلام أرسل إلى الشيخ الأجل منيف بن جابر فوصله فشكا عليه ما لحق بنى شريف وسنحان من الكسرة . فما كان جوابه إلا أن وضع إصبعه السبابة على قائم سيف الإمام وقال له أترى هذا السيف ؟ قال : فإنى لك مثله . فأثنى عليه الإمام خيرا وسر بكلامه ، وكان محله يومئذ بتثليث من نجد فى بلاد نهد فعاد إلى هنالك وجمع الخيل الكثيرة من بنى عبيدة ونهد وخثعم ، وأقام الإمام فى بلاد بنى شريف ينتظر قدومهم أياما . قال وكان أهل الغلام الشريفى دهمش المقتول قد أسفوا عليه من النار حيث لم يعلموا بتوبته . فأراد الله تعالى أن يظهر لهم أمره على لسان صبية صغيرة شدخت بحجر من صبية أخرى فقالت وهى تجود بنفسها لا تقبرونى مع الكبار أهل النار وأقبرونى مع الصغار أهل الجنة . ثم قالت : إن دهمش من أهل الجنة وعليه

---

(١) ماء أجن : هو الماء المتغير الطعم واللون .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة أجن .
(٢) الحمأة : الطين الأسود المنتن .
الزبيدى ، تاج العروس ، مادة : حمأ .

صيام شهر رمضان ، وهي لا تعرفه وهى بنت ثلاث [١] سنين . فلما أن كان المنهض إلى الغيل أرسلت أم الغلام إلى الإمام تسأله وقالت إن دهمشا مرض وأفطر شهر رمضان وقتل ولم يقضه أفأصوم عنه ولم تكن قد علمت بكلام الصبية ، فعجب الإمام من ذلك عجبا عظيما وأمرهم بالصيام عنه .

قال : ثم إن منيف أتى فى ستمائة فارس فيمن أجابه من نهد وجنب وخثعم فنهض الإمام ببنى شريف وسنحان ومعهم الظعن بالحريم والأولاد وبيوت الشَّعر والدقيق الكثير والسمن والكباش . فكانوا يطعمون من وصل به منيف وجميع حماله ورتبه فيقسمونهم فى كل عشية وغدية على القِرى العظيم والحسيك لخيلهم والقضيم . وتقدموا إلى أن حطوا فى موضع يقال له القرارة [٢] من الحمرة [٣] ، وقد كانت وادعة حفروا حفرا بموضع يقال له القو وسقفوها وأرادوها مكيدة للخيل وبيوتا . ثم إن منيف أخذ الخيل جميعها وتقدم إلى الغيل ينتظر المقابل [٤] فوجدت الخيل الحفر فكسوها ، وكان فيمن ركب مع منيف المطهر بن أحمد فلما نظروا البلاد وتبينوها ونظروا المقابل عادوا إلى المحطة فأقام الناس ذلك اليوم هنالك ، فلما كان من الغد نهض جميع العسكر مع الإمام عليه السلام وكانوا ثمان قبائل فأعطى الإمام كل قبيلة راية ، وتقدم فى أوائلهم وسارت كل قبيلة وحدها بظعنها وقد لزمت وادعة ويام قابلى الوادى عن يمين وشمال فى كل قابل مائة فارس وألف رجال وهم قوم أهل شدة وبأس وقتال شديد ومراس ، فكانت

---

(١) فى الأصل ثلث .

(٢) القرارة من بلد بنى نهد فى جهة عسير ، شمال صعدة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٨ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٧٤٥ .

(٣) الحمرة من ديار جنب فى شمال صعدة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٧ .

(٤) يقصد المقابل من الأعداء .

خيلهم لا تفارق رجلهم فدخلت الناس الوادى وفرقوهم عن يمين وشمال وساروا ومنيف من خلفهم يسوقهم . فلما بلغ الإمام عليه السلام بأول الناس نجدا بين الأرينب [١] والغيل [٢] [لزم] [٣] فيه وهو موضع عسر والنبل والحجارة تختلف من هاهنا وهاهنا [٤] فمازال مكانه إلى أن نفذ الناس كلهم وأتى منيف فى أعقاب الناس فى أربعمائة فارس . وتقدم الناس إلى أن حطوا بسوق الغيل وسط بلاد وادعة فلما نصبت الناس بيوت الشعر وقع قتال شديد فحمل منيف ومن معه فى الخيل فهزموا بنى مسعود ومن كان معهم من يام وقتلوا منهم قتلا كثيرا مقدرا من ثلاثين رجلا، ثم رجعوا فحملوا على بنى عبيد فهزموهم وتعقب على بن عياض الوادعى على أصحابه فصرع من فرسه فقام مسرعا يقود فرسه ويذب عن نفسه برمحه إلى أن دخل دربه . فأراد الناس أن يدخلوا عليه دربه وعلى من معه من بنى عمه بنى محمد فصرف الإمام الناس وكفهم عنه ، وذلك أنه كانت بينه وبين الإمام صحبة من يوم حظيرة بنى سابقة لأنه كان وصل إليه وهو هنالك . ثم إن الناس عادوا إلى المحطة بالغنائم الكثيرة فباتوا تلك الليلة وكان من الغد وتبعوا الدروب يخربون ويحملون ما يجدون فيها من الطعام والأثاث ، فأقاموا على ذلك ثلاثة أيام فخربوا دروب الغيل والأرينب وأجلى أهل العرين والخانق وهدادة [٥]

---

(١) فى الأصل ال أرنب . وأرينب موضع فى بلد وادعة النجدية فى شمال غرب صعدة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٥ .

(٢) يبدو أن المقصود هو غيل جلاجل فى بلد وادعة النجدية شمال غرب صعدة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٥

(٣) بياض فى الأصل والإضافة من اللآلىء المضية ، جـ ٢ ورقة ١٩٢ .

(٤) فى الأصل هـهنا وهـهنا .

(٥) الهدادة بأعلى وادى حبونن (حبونة) فى بلاد يام بنجران .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٦ .

عنها وانهزموا وكذلك أهل الجفة والحمرة فوصلوا نجران وأقفرت بلادهم وخلت عن أهلها وهى تكون مسيرة ثلاث مراحل . وفى ذلك اليوم يقول الحسن بن على الشريفى :

ألا لا أبالى بعد يوم حضرته ... على رهوات [١] القو [٢] والخيل شرع

تهاروا علينا فانثنينا عليهم ... كأبرد[٣] لا يضحى[٤] ولا هو يشبع [٥]

ونادى المنادى يال جنب فأقبلوا ... كسيل حثيث فى مثانيه تطلع

فياليت عينا للشريفى دهمشا ... بدت رأس نثو [٦] والأباطيل صرع

فينظر ما يشفى الفؤاد من العدى ... منازلهم هدما والأعناب تقطع

أقمنا ثلاثا فى ثلاث عليهم ... وسرنا وهى خال من السكن بلقع

وياليلة البرضا علينا وجوعها ... بليلة بتنا الغيل نشوى ونصنع

[ ] [٧] لحوم الضان فى عقر دارهم ... بلحم السوانى فهى للقوم توزع

[ ] [٨] إمام الحق من كل ظالم ... بكل كميت فى التجافيف يرزع

عليها من الأبطال كل سميدع ... سخى شجاع ليس فى البأس يجزع

أجيبوا إمام الحق جمعا وصدقوا ... به قبل يوم للخلائق تجمع

ومن لا يجبه فالقيامة وعده ... إذا عادت الأوزان للخلق توضع

---

(١) الرهوات : أى المواضع المتفتحة . والرهوة والرهو ما ارتفع من الأرض وجمعها رهاء .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة رها .

(٢) القو موضع فى بلاد وادعة . وقد مر .

(٣) الأبارد : النمور ، واحدها أبرد .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة برد .

(٤) يضحى إذا أصابه حر الشمس .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ضحا .

(٥) فى الأصل ينسع أو يبشع ، وكلا الكلمتان لا تعطيان معنى واضحا .

(٦) الحرف الأول غير منقوط ويبدو من النص أنه أحد المواضع فى بلاد وادعة .

(٧) بياض فى الأصل بمقدار كلمة واحدة .

(٨) بياض فى الأصل بمقدار كلمة واحدة .

وفى هذه الوقعة وذكر ما جرى فيها أولا وآخرا يقول الإمام عليه السلام :

الله أكبر أى نصر عاجل   من ذى الجلال بفتح غيل جلاجل

كم منة منه علىّ ونعمة   وسعادة تترى وفضل فاضل

حمدا له عدد الزمان وعدة الـ   ـنعماء والنفس الكثير الحائل

كفرت به يام ووادعة معا   وتجبروا وتمسكوا بالباطل

وأتوا من الفحشاء كل كبيرة   فعلا وقولا فوق قول القائل

دانو بدين الباطنية وهو من   دين المجوس وفوق جهل الجاهل

فعمدت خانقهم بسنحان الأولى   وبنى شريف أهل كل فضائل

فأتت عيونهم وقالوا كذبة   مادون ما تبغونه من حائل

فاستعجلوا حتى تنازع جذبهم   ووقفت فى أعقابهم للحابل

فتمكنوا من أرضهم ومتاعهم   من بعد قتل ثم هدم منازل

وغدت رجال منهم لغنائم   من بعد ذاك فقتلوا فى القابل

ثم انثنينا مسرعين وضدنا   والكل منا كالنعام الجافل

فعتوا على وأطلقوا أشداقهم   وتفرقوا بشقاشق وبلابل

وطغوا وتاهوا ثم قالوا جهرة   ياناس ما أحد لنا بمماثل

فَخَروا علىّ وأكثروا وتواعدوا   فخر البهام على الهزبر الباسل

كم شامت أبدى شماتته وكم   من حاسد أبدى الكلام وخاذل

وأنا الذى عرفوه لست بعاجز   عما نهضت له ولست بخامل

وسماحتى وفصاحتى وشجاعتى   وطبائعى معروفة وشمائلى

فدعوت أبطال الحجاز فبادروا   وأتت إلى عساكرى وجحافلى

ودعوت ذا العليا منيفا دعوة   فأجاب كالسبع الفروس الصائل

وله مكارم من أبيه وجده   مشهورة وسمت بعز طائل

هم رؤوس قحطان وذروة مذحج   ما أى قحطان لهم بمشاكل

وفـوارس مـن خـثـعـم أكـرم بـهـم ... وصلوا من البلد البعيد الراحل

وأتـى ابـن جـابـر عـنـدمـا نـاديـتـه ... بـالخيـل يـجـرى ليـس بـالمتـثـاقـل

لمـا تـوافـى جـنـدنـا تمـمـتـهـم ... بـلـد الـعـدا ووطـأتـهـم بـكـلاكـلـى

وقصدتهم فى أرضهم فتركتهم ... جـزر الـسـبـاع وطـعـمـة لـلآكـل

أجـلـيـتـهـم مـن أرضـهـم وبـلادهـم ... ولـعـلـهـا تـأتـى ثـلاث مـراحـل

وحـصـونـهـم مـعـروفـة مـعـدودة ... مـثـتـان قـد حـسـبـت وأى مـعـاقـل

[إنـى لحـرب الـبـاطـنـيـة قـائـم] (١) ... وأنـا لـهـم ضـد ولـسـت بـغـافـل

كـم ظـفـرت بـهـم فـلـم أظـلـم وكـم ... جاشت بحرب الكافرين مراجلى

إنـى دمـار الـفـاسـقـين وإنـنـى ... لـلـظـالمـين كـمـثـل سـم قـاتـل

وعـلـى يـدىَّ هـلاكـهـم ودمـارهـم ... إنـى عـلـيـهـم بـالـقـضـاء الـنـازل

يـرجـون أن حـصـونـهـم تـنـجـيـهـم ... وحـصـونـهـم لـهـم ككفة حـابـل

ولـسـوف أنـفـيـهـم بـعـون إلـهـنـا ... حـقـا وألحـقـهـم وراء الـسـاحـل

الـلـه أيـدنـى بـنـصـر مـعـجـز ... بـصـواعـق أفـنـتـهـم وزلازل

يـاقـوم فـاعـتـبـروا بـذاك وأبـشـروا ... فـلـقـد ظـفـرتم بـالإمـام الـعـادل

مـا بـعـد مـا عـايـنـتـمـوه شـبـهـة ... لـمـمـيـز فـى أمـره أو عـاقـل

ثـم الـصـلاة عـلـى الـنـبـى وآلـه ... خـيـر المـلا مـن راكـب أو راجـل

قال : ثم إن الإمام عليه السلام عاد إلى موضعه بالجبجب مؤيدا منصورا مظفرا محبورا قد مكن الله بسطته من الظالمين وأوطأه رقاب الفاسقين وأيده بالنصر وملكه سنى الأمر ، فأقام بموضعه أياما ، وأتى وقد ظهر من الناس

---

(١) بياض الأصل والإضافة من الحدائق الوردية ، حـ ٢ ص ١٢٩ .

المنكر والفساد وبدا منهم الفسق والعناد ، فجلد أناسا شربوا الخمر منهم على ابن أحمد المبتشر المالكى ، وأقام الحقوق وأمر الناس بالمعروف ونهاهم عن المنكر وأقام آخر رجب وشعبان لأن وقعة الغيل كانت فى أول رجب سنة تسع وأربعين ، ثم طلع مغرب بلد خولان فصام به رمضان وعيد عيد الفطر عند جابر بن سعيد العوسجى بالحجاب وعند بنى بحر ، وبلغه هنالك كتاب من الأمير الأجل القاسم بن غانم يذكر أنه قد صار عند النوار بن جميل بغربى جبل ألغز ويسأله المواجهة له إلى هنالك . وتقدم الإمام عليه السلام إلى أن وصله فأتى إليه ووجده متحيرا قد عسر عليه رجوع تهامةوطلوع الجبال فشكا إلى الإمام ما لحقه من أخيه الوهاس بن غانم ، وذلك أنه أغار عليه بخيل وقوم فأخذوا أمتعته وبعض خيله وقتلوا قوما من خدمه وأصحابه فلجأ إلى ذلك الموضع الذى أتاه الإمام وهو فيه . فلما أبدى على الإمام شكيته رق له ورحمه فقربه وكساه وأكرمه وحباه وشاوره فى أمره وأدناه فقال له : يا مولاى ما أنا بعائد تهامة على هذا الوجه ولكننى أتقدم معك وأطلب منك النصرة والمعاضدة ، فرحب به الإمام وتقدم به معه إلى صعدة . فلما أن وصل [بلاد] [١] بنى مالك أمر إلى ولده المطهر بن أحمد أن يلقاه بمن قرب إليه من العسكر وبالأشراف بنى الهادى إلى الحق عليه السلام، فاجتمعت إليه الربيعة ويرسم والحناجر ومن زادهم مع الشرفاء الأجلاء بنى الهادى ولقوا [٢] الإمام إلى النسرين [٣] وقد نهض فى لقائهم ببنى مالك والبقرا ومن تبعهم ، فاجتمع ذلك اليوم عسكر عظيم وبشر كثير . فلما أن

---

(١) بياض الأصل وما بين الحاصرتين إضافة .

(٢) فى الأصل لقيوا .

(٣) نَسَرين ، موضع فى شمال صعدة .

الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٣ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ص ٤٧٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اجتمعوا دخل بهم الإمام صعدة فزار قبر جده الهادى إلى الحق وقبور أولاده عليهم السلام وصلى بالمسجد وبات هنالك تلك الليلة . فلما كان من الغد جمع الناس فتكلم معهم ووعظهم وتوبهم وأمرهم بتجديد البيعة له فبايعوا وسمعوا وأطاعوا ، ونهض إلى موضعه بالجبجب فأقام به أياما. ونهض إلى الجوف ومعه الأمير الأجل القاسم بن غانم فأقام به أياما وعيّد عيد الأضحى هنالك . وقد كان بينه وبين منيف بن جابر ميعاد للقاء إلى الجوف فبلغه أنه مات بالبهنة من أسفل الجوف فاغتم عليه غما شديدا لما كان من نصيحته وصبره معه واجتهاده ، ثم عزم على المخرج إلى شوابة لحرب أسعد بن حسين لما أظهر من الفساد بعد تكرير البيعة عليه أسفارا والصفح عنه مرارا . فجمع من آل الدعام خيلا كثيرة ورجلا ونهض بهم وبمن معه من الشرفاء الأجلاء بنى الهادى وبنى مالك والربيعة، وتقدم بهم إلى شوابة وقد كان أسعد بن حسين جلب خيلا من همدان من صنعاء عدتهم ستون فارسا بأكمل العدة والسلاح وجمع معهم من سفيان [1] خيلا ورجلا فتركهم عنده فى دربه الأعلى بشوابة . وكان له درب قد بناه بالغيل حصين على أربعة أسقف وعليه خندق عظيم قد حفره حتى الحق الماء وجعل فيه أخاه عيسى ابن حسين ومن معه من سفيان ، قال : فحط الإمام عليه السلام بعسكره على باب الدرب الأعلى وأمر بالحرب وأمسى هنالك . فلما كان من الغد عبأ أصحابه للقتال فقاتلوا وقد كانت الهمدانيون يحلفون الأيمان المغلظة لإن رأوا الإمام فى البحر أو النار ليرموا بأنفسهم عليه وليحملوا عليه حملة واحدة حيثما كان . فبينما أصحاب الإمام عليه السلام فى الفتنة إذ خرج رجل من الدرب من الهمدانيين ذو شدة وبأس يقال له عيسى بن محمود وأراد أن يجرّئ أصحابه

---

(١) فى الأصل سفين .

للخروج والحملة ، فلما خرج رمى رجل من أصحاب الإمام نحره - يقال له سليمان بن أسعد الحربى - فصرعه وصرع فرسه فقامت الفرس عابرة إلى العسكر وأغار عليه أصحابه فاستنقذوه وأدخلوه الدرب ، ثم إن الفرس عادت إلى الخيل فتبعتها الخيل وأكثر الناس فعقروها هنالك . وبقى الإمام عليه السلام فى قوم قليل على الباب فعلم عند ذلك أن القوم يغنمون الفرصة ويخرجون عليه وعلى من معه ، فابتدأ بالحملة من عنده وحمل معه ولده المطهر والأمير القاسم بن غانم وخادمه جوهر فأدخلوهم ، ووقف الإمام وأصحابه على الباب فلما رأوه هابوه ولم يقدروا أن يخرجوا عليه فلم يزل كذلك إلى أن رجع إليه أصحابه وتوافت إليه الناس . فلما أن وقفوا فى الدرب ولم يخرج منهم أحد وتحرزوا فيه ، تقدم الإمام بعسكره إلى الدرب الأسفل بالغيل فحط عليه وأمر بالقتال وبحمل الأشجار والزرع وطرحه فى خندقه ، فما زال القتال عليه والخندق يكبس إلى أن استوى بعد يومين فدخلوا إلى الداير فضربوه بالحديد والمفارس [1] وعرض جداره أربعة أذرع فما برحوا كذلك حتى فصلوه ، ثم اقتعد منهم قوم يرمون من يشرف عليهم ويرجمهم من رأس الدرب ، فدخلوا عليهم الدرب فسألوا الجوار والأمان فأمنهم الإمام عليه السلام وجورهم وأخرجهم بنفوسهم لا غير ذلك ، وأمر بأخذ ما كان فى الدرب من طعام وبقر وأثاث وغير ذلك ثم أمر بالدرب فحرق وخرب . فلما أن نظر أسعد بن حسين إلى ذلك أيقن بالهلاك والدمار وخاف العودة إليه ، فأمر امرأته ابنة أسعد بن جعدنه الذيبانى وكان إخواتها وأهلها مع الإمام ومن أنصح الناس له فعلم أنه لا تأتيه السلمة إلا من قبلها وأمرها بالخروج إلى الإمام

---

(١) الفريس حلقة من خشب معطوفة تشد فى رأس حبل .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ، فرس .

وسؤال العفو منه والأمان له ولمن معه ، فخرجت راكبة على فرس إلى أن أتت الإمام وسألته الجوار والأمان لزوجها ولمن معه فأنعم لها الإمام بذلك إجلالا منه لأهلها وتعظيما لمكانهم وإيجابا لحقهم، فعادت إليهم بذلك فخرجت خيل الهمدانيين بذلك الأمان . [فراحوا] [1] وخرج أسعد بن حسين إلى الإمام عليه السلام وهو بالبيحة من الغيل فحلف له يمينا مع ما تقدم من الأيمان التى حلفها له على سيف الهادى إلى الحق عليه السلام وهو يفجر فيها . فقال الإمام لقد استبطأت انتقام الله لهذا على الأيمان التى تحلفها على سيف الهادى وتفجر فيها ، ثم قبل عنه ذلك وعقد بينه وبين أصحابه وبنى عمه على بن دعفان بن على وأسعد بن أحمد المعترف ذماما وأصلح بينهم . ورد عليه السلام إلى الجوف منصورا مؤيدا محبورا قد فتح الله له ومن عليه بالنصر وأيده بالظفر . وفى ذلك المخرج قال شعره الذى يقول فيه :

أحمد الله ذا العطاء الرغيب حمد مستغفر كثير الذنوب
قد دعوت الإله أن ينصر الـ ـدين وأربابه دعاء منيب
فاستجاب الدعاء من عنده القا ئم بالحق وهو خير مجيب
عاند الحق أسعد بن حسين واعتدى حاملا لإثم وجوب
وغدا فاستمد بالخيل من صنـ ـعاء من سوء رأيه المقلوب
فعمدنا إلى سلاطين همدا ن بنى أرحب شداد القلوب
كربيع ومن كمثل ربيع ذى المعالى وذى الفناء الرحيب
أو كمثل المؤمل الأوحد الند ب أخى الجود والتقى والطيب
ليس فى القوم مثله وهو فى السـ ـن صغير والعقل عقل مشيب

---

(١) بياض فى الأصل والإضافة من اللآلىء المضية ، جـ ٢ ورقة ١٩٤ .

وكذا أرحب وأولاد سرحا … ن سليل الحسيب وابن الحسيب

وعلى بن مصعب ومنيع … وشقير المذكور ذئب الغبيب

وهتفنا بكل آل دعام … ومرزوق الفارس المهيوب

وعمدنا شوابةً بخميس … وضربنا الزروع قبل الضريب

وأحطنا بالدرب الأعلى فصار القـوم غرقى كأنهم فى قليب

ورجمنا وجوههم فى فناهم … وحصرنا فى الدرب خيل شعوب

وترى فارس بحرب للغد … وة ذو همة وقلب صليب

فمضى طرفة وعاد مصابا … تائبا بعدها من التخريب

وانحدرنا لدرب أسعد فى الغيـل بأمر مقدر مكتوب

وهو من أحصن الدروب عليه … خندق قد أعده للخطوب

فأقمنا عليه يومين وانشقـت عصا الظالمين قبل الغروب

وأثرنا الدخان فيه سريعا … وكذا عادتى خراب الدروب

فأحزناهم وحزناه قسرا … بعد ما سعرت بنار الحروب

وعفونا عن أسعد بن حسين … بعد ما جاءنا بأمر عجيب

واتقانا بمثل فعله عمرو … يوم صفين وهو غير مصيب

ثم إن أسعد بن حسين وصل إلى الإمام بعد ذلك إلى الجوف فافتدى درعا كان تودى بها إليه بمائة دينار ودروعا أخر مما أخذ له فى ذلك المخرج ، ثم أقام الإمام بالجوف أياما وضرب لهمدان لقاء وسألهم النهوض معه ومع الأمير الأجل القاسم بن غانم إلى حرض لحرب أخيه الوهاس فأجابوه إلى ذلك واتعدوا لأول المحرم سنة خمسين . فلما أتى المحرم تأهبت الناس للمخرج مات شيخ من دهمة يقال له على بن علوان فاشتغل دهمة فى عزائه وكانوا أكثر من ينهض معه

وأوفره، فتقدم الإمام عليه السلام ومعه [الأمير قاسم إلى] [١] الجبجب وأمر لهمدان نجران وأملح ووادعة ويام فوصله الكل إلى الجبجب فسألهم النهوض فقالوا إن الطريق على خولان فإن نهضت خولان نهضنا ، فسأل خولان النهوض فاعتذروه وكسروا بمال وصل إلى أهل صعدة من وهاس بن غانم . فلما تعذر ذلك عزم الإمام على التقدم مع قاسم إلى بلاد عنز وخثعم وجنب ومن زادهم فتقدم إلى أن وصل قطابر من بلد بنى جماعة فنالته حمى شديدة فأقام بها متوعكا ينتظر البرء ولم يتهيأ له ذلك ، فقال للأمير قاسم ما أرى أمورنا إلا متعذرة من أولها ابتدأناها بلقاء منيف فمات ، وواعدنا همدان فمات شيخهم ، واستنهضنا همدان نجران فاعتلوا بخولان فسألنا خولان فاعتذرونا ، ونهضنا نريد الحجاز فنالنى ما ترى من الوجع ولعل ذلك لخيرة من الله سبحانه فعذره الأمير . وتقدم معه السعر بن [أبى] [٢] الليل وإخوته إلى راحة بنى شريف وعاد الإمام عليه السلام إلى موضعه بالجبجب مريضا فأقام به أياما ومن الله سبحانه بالعافية فعوفى . ثم بلغه أن قوما فى تلك المدة من أهل صعدة شربوا الخمر فى دار قريب من المدينة بمسجد الهادى إلى الحق عليه السلام فأمر عبيده وخدمه بأن يجروهم ويأتوا بهم إليه ، وكان جعفر بن أحمد الشمرى واليا له على صعدة فأتوا إليه وأعلموه بأمر الإمام لهم فدخل هو وهم الدار فوجدوهم يشربون فى تلك الدار وهم أربعة ، فهرب منهم اثنان وأتوا باثنين وكسروا الإناء الذى كان فيه الخمر معهم وخرجوا بهما من المدينة ، فصرخ الصارخ فى المدينة وتبعوهم ورموهم بالنبل والحجارة حتى استردوا الرجلين منهم من عند حصن الناصر عليه السلام

---

(١) بياض فى الأصل والإضافة من اللآلىء المضية ، جـ ٢ ورقة ١٩٤ .
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة .

فلما وصله خدمه وعبيده وقد [١] أسيئ إليهم ومنعوا من ذلك غضب غضبا شديدا. وكان من عادته أنه لو أمر لبعض مشايخهم ما امتنعوا عنه ، فأبدى البراءة منهم وقام على حربهم فجمع جمعا من الحقل فحاربوا على صعدة فقتل منهم رجــلان رجل عويرى يقال له محمد بن المسلم ورجل من مجز فأقام محاصرا لأهل صعدة وأثبت ثلاثة أسواق فى بلاد خولان سوقا بمجز وسوقا بالقهرة [٢] وسوقا بمحيط [٣] وقطع سوق صعدة . ثم طلع المغرب من بلاد خولان فسألهم الخروج معه فأجابــوه فخرج مخــرجا كبيــرا [فيه] [٤] ألف ترس ، فلما بلغ به صعدة وقد كان أهل صعدة جمعوا مالا وفرقوه بين مشايخ خولان وعقدوا لهم أنهم لا يدخلون عليهم سور المدينة ، وقد كانوا حلفوا للإمام إنهم يحملون معه التراس إلى صعدة وأكنوا فى أنفسهم ما قد عقدوه لأولئك ، فلما وصلوا السور حطوا تراسهم وظلوا قعودا بغير حرب . وحارب خواص الإمام وشيعته ومن زادهم من الأشراف ودخلوا جانبا من المدينة ، وتقدم شيخ حيد [٥] من خولان من مران يقال له النسر إلى داخل المدينة فحازه أهل صعدة وما استنقذه أحد من خولان وهم يبصرون فقتلوه . فكان ذلك تصديقا لما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام فى المنصور قال : تتمرد به قضاعة وتعاديه رفاعة ،

---

(١) فى الأصل قد .

(٢) القهرة اسم لعدد من القرى بمحافظة صعدة . ويبدو أن الموضع المذكور فى النص هو قرية من عزلة بنى عابد ، ناحية مجز .
انظر التوزيع السكانى فى محافظة صعدة ، ص ٧ ، ٨ ، ٢٦ .

(٣) لم نستدل على موقع محيط ، ولكن يتضح من النص أنه فى شمال صعدة سواء كان فى ناحية مجز أو ناحية صعدة .

(٤) بياض فى الأصل والإضافة من اللآلىء المضية ، جـ ٢ ورقة ١٩٤ .

(٥) حيد : بمعنى بارز .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة حيد .

ورفاعة هم قوم من حجور بالحريب وآل الشمرى من قوم منهم يقال لهم شمر فعاد ذلك العسكر . فأقام الإمام عليه السلام محاربا لأهل صعدة ومحاصرا لهم بمن أطاعه من خولان ونصح معه سبعة أشهر حتى استضروا وقل الطعام عندهم ، فلما كان فى آخر رمضان أمروا إليه بحريم لهم كبار وصغار وأمروا بمفاتيح دروبهم وتضرعوا إليه وسألوه العفو عنهم فعفى عنهم .

وقد كان حاتم بن أحمد لما علم باشتغال الإمام تلك المدة وقد كان حاصر القلعة بظهر قبل ذلك طويلا وبها والى الإمام محمد بن سالم الأبرهى ، فلما لم يتم له شيء غنم الفرصة من اشتغال الإمام فأتى إلى محمد بن سالم يحالفه ووعده بالمصاهرة وخدعه ، وقال إنى أريد أن تذرى [١] هذا الوادى لى ولك فساعده إلى ذلك وأخرج ما كان عنده من الحب فذرأ به وأبقى شيئا يسيرا يقتات به [٢] فأقام إلى أن قرب صرم الزرع ودنا حصاده فاغتنم حاتم الفرصة فحط على القلعة وحاصرها وقد كان عدم محمد بن سالم الطعام فلم ير إلا أنه صالحه على الخروج والأمان ، فأخذ حاتم القلعة ثم تقدم لنجر [٣] فحاصره وأخذه ثم تقدم لحصن ضباعين [٤] فأخذه ثم تقدم لشوابة وذلك بعد قتل أسعد بن حسين

---

(١) تذرى بمعنى تزرع
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ذرأ .

(٢) فى الأصل : ير .

(٣) نجر قرية من عزلة بنى حجاج ناحية عيال سريح على مسافة ٢ كم جنوب مدينة عمران .
التعداد السكاني التعاونى لمحافظة صنعاء ، جـ ٢ ص ٤٨٨ ، خريطة ج . ع. ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1543B4 .

(٤) ضباعين قرية من عزلة الربع الشرقى ناحية جبل عيال يزيد قضاء عمران ، على مسافة ٨ كم شمال عمران ، وتقع ما بين : ٤١ً ٤٣َ ١٥ْ شمالا ، ٣٤ْ ٥٥َ ٤٣ْ شرقا .
التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥ ؛ التوزيع السكانى فى محافظة صنعاد ، جـ ٢ ص ٣٠٢ ؛ خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠ ، صفحة 1343B4.

لأنه قتله أصحابه وبنو عمه وإخوته فى دربهم غدرا فحارب أهل شوابة على درب أسعد فظفر به وهدمه . قال وكان سببب قتل أسعد بن حسين أنه لما أتى إلى الإمام بالجوف قال له إنى منعت منك همدان أن يخرجوا عليك من الدرب ولم يكن معك غير ولدك المطهر والأمير قاسم فقال له الإمام لو خرجتم مارجعتم فظن أن قد كان لأصحابه فيه مع الإمام مباطنة فى قتله وقتل إخوته وكان يتهمهم ، فلما سمع ذلك حلف فيهم وعزم الغدر بهم عندما يرجع إلى موضعه ، فأرسل الإمام عليه السلام إليهم أن يكونوا حازمين من أسعد فإنه قد أكن الغدر لهم وعلم منه بذلك وسمع منه كلاما . فلما وصل إلى موضعه سبقه بنو عمه بالفتكه فدخلوا ومعه إخوته وسالم ابن أسد من مشايخهم وقوم آخرون من بنى عمه فقتلوهم وهم سبعة رجال ، ودخلوا دار أسعد فأخذوا ما فيها فكان ذلك سبب خروج حاتم بن أحمد إلى شوابة قال : فلما أن بلغ الإمام عليه السلام ما كان من حاتم بن أحمد فى أفاعيله كلها وقد كان قبل ذلك استدعاه زيد بن عمرو لذمار فجمعا لها من كل نهجه وخرباها ، ثم راح زيد إلى سربة وراح حاتم يمتدح بذلك ويقول :

تقول ابنةُ اليامِىِّ لذَّ منامى ولذَّ لمثلى مشربى وطعامى

ثم قال :

فتى نقم الثار الذى لم تطله جنيبٌ بسنحان الكرام ويام
متى أصبحت جنب تطل بنولها وعادتها ملح ورعى سوام

ولما علم الإمام بخراب حاتم للحصون وعزمه على المخرج للظاهر صالح أهل صعدة ووهب لهم ذماما ، وتقدم إلي الظاهر ومعه ولده المطهر فلما بلغ مسلتا أقام بها أياما ووصله حاتم بن معن بن حاتم بن الغشيم فبايعه ، ثم نهض هو والشريف محمد بن القاسم إلي الجوف فأقام به أياما ونهض يؤم ذمار فأتى

طريق العواهل [١] وصحبه صهره مرشد ابن فليته النهمي . ووصل إليه وهو بالعواهل ضيغم بن منيف بن جابر فعزى له في أبيه ثم تقدم إلى أن بلغ الحياف [٢] فعيد به عيد الأضحى عند الشيخ الأجل صباوة بن عنس ، وأتى وبين جنب فتن وحشر [٣] فمازال يجتهد في الصلاح بينهم ومعه الشيخ زيد بن عمرو . وكانت ذمار قد خرجت كلها ولم يبق بها ساكن وتفرق أهلها في البلاد وهم أهل إسلام ودين ومحبة للإمام ومودة ، فمازال الإمام يعمل في ردها ورجوعها حتى عادت على عسر لأن زيدا لم يكن يرد لها ردا ، فلما رجع أهلها وعمروها في أسرع وقت اعترفوا للامام عليه السلام بذلك وشكروه على فعله .

ذكر مبتدأ وقعة الشرزة [٤] وخراب غمدان :

ثم إن الإمام عليه السلام أصلح من جنب وساوى بينهم وأثبت أمورهم وسألهم الخروج معه إلى صنعاء لحرب حاتم بن أحمد وهمدان لما أحدثوا في البلاد فأجابه أكثر جنب وزعيمهم زيد بن عمرو وجبر بن عبد الله وعقدوا له على المخرج معه ، وبقي من جنب عبد الله بن يحيى ومن معه وهم مع حاتم بن أحمد

---

(١) العواهل هي المنطقة التي كانت تضم مدينة صرواح وتقع في شرقي صنعاء على مسافة تصل إلى تسعين كيلو متر .
انظر ، ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ص ١٩٩ ، خريطة الجمهورية العربية اليمنية ، ١ : ٥٠٠٠٠٠ ، قطعة رقم ١ .
والعوهل الأعلى والعوهل الأسفل ، واديان على طريق الجوف إلى مأرب .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٥٤ .

(٢) الحياف اسم قرى في محافظة صعدة ، ومحافظة حجة . أما موقع الحياف المذكور في النص فيبدو أنه بالقرب من مدينة ذمار ، ولم أستدل على أية معلومات عن هذا الموقع .

(٣) الحشر ، الجلاء عن الأوطان . والحشر : الموت .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : حشر .

(٤) الشرزة بفتح الشين والراء والزاي ، قاع في بلاد سنحان جنوب شرق صنعاء ،
الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٣ ص ٤٤٩ .

ومن أخلافه ، وقد كان تقدم قبل هذه المدة كتاب من محمد بن سبأ فيه شعر إلى الإمام يعلمه أنه مجيب له متى دعاه إلي تهامة وزَبيد ، وقد كان قتل فى زَبيد شريف من بنى القاسم بن على يقال له الحسن بن القاسم صبرا ، فأظهر محمد ابن سبأ فى شعره أنه متى دعاه الإمام لنصرته أجابه وجعل أول شعره مدحا لنفسه وافتخارا يقول فى أول بيت له :

لم يمس مفتقرا إلى إنسان — من كان فى عزى وفى سلطانى

وكان الواصل من عنده بالكتاب الشريف الأجل حميدان بن القاسم صنو الإمام لأمه وهذا الشريف المقتول هو صنوه لأبيه فقال فى شعره :

أوضح لأحمد ياحميدان الذى — شاهدت من برى ومن إحسانى

واخصصه عنى بالسلام وقل له — عن نخوة لبيك حين دعاني

لست المعظم إن نهضت فلم يكن — سيفى أمام سيوفكم وسنانى

فأجابه الإمام عليه السلام بشعر يقول فيه :

أغنى الأنام من الأنام مهاجر — فى رأس صومعة من الرهبان

قد فارق الدنيا وودع أهلها — واعتاض منها طاعة الرحمن

يمسى غنيا لايُهم معيشة — بغنى الكريم الواحد المنان

وأشدهم فقرا إلى كل الورى — من كان ذا عز وذا سلطان

من كان محتاجا إلى الأعوان — والجند والخدام والديوان

أما الغنى والمال فهو مودع — وجميع مافوق البسيطة فانى

أو ما سمعت بملك فرعون وما — قد كان من قارون أوهامان

وملوك حمير والتبابعة الأولى — ملكوا وأهل الملك من غسان

وكذلك الأملاك والحكماء من — يونان والأملاك من كنعان

وكذا الأكاسر والأقاصر والأولى — ملكوا وسادوا من بنى مروان

والمحتوون لما احتووه من بنى الـ — ـعباس حازوا أكثر البلدان

فمضوا ولما يبق غير حديثهم ... وأباد ما يحوونه الملوان [1]

[ ] [2] بؤسه بنعيمه ... والدهر يعقب عزه بهوان

[ ] [3] الذى ... لم ينجهم من طارق الحدثان

يا مهديا شعرا يروق نظامه ... فى حسن ألفاظ وحسن معانى

أحسنت فيما قلته ونظمته ... من نشر أوصاف تعد حسان

وذكرت همدانا وسباق فعلهم ... وصدقت فيما قلت فى همدان

وأصبت فيما قلته وذكرته ... من هذه الأسباب والأديان

وبأن قحطانا وعدنانا معا ... فى الود منك لديك مستويان

ووعدتنا نصرا فجد بتمامه ... أنفا لنا من فعلة السودان

فَجُزِيتَ عنا الخير فيما قلته ... وفعلته فى السر والإعلان

أثنى حميدان عليك بكل ما ... أوليت من بر ومن إحسان

فانهض فمثلك من أتم عقوده ... واعزم فأنت الرأس من كهلان

واغضب لسام أنت قد شوركت ... في ملك أنفسها وفى الأوطان

غَضب ابن ذى يزن زمان قدومه ... مستنجدا كسري أنو شروان

فأتى بغلب من ضراغم فارس ... عن أمر ملكٍ من بنى ساسان

تهب الجيوش وفتحها مستصغرا ... هبة اللجين المحض والعقيان

قتلوا من العبدان من شاء وا ومن ... شاء وا استرقُّوه من العبدان

فغدت بنو الأحبوش بعد عتوها ... تشرى العبيد بأبخس الأثمان

وغدت لسيف فى الزمان صنائع ... غنى بها فى الناس كل لسان

---

(١) الملوان : الليل والنهار .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : ملا .

(٢) بياض فى الأصل بمقدار كلمتين .

(٣) بياض فى الأصل بمقدار ثلاث كلمات .

لم تطمس الأيام ما أبقاه من … رق العبيد وعتق كل يمانى

فاسلك طريقته فلست بدونه … فى الجاه والمقدار والإمكان

واقصد بنى حام بأرْعَنَ لو غزا … ثهلان [1] هد الطود من ثهلان

واترك أسودهم كما تَرَكْتُهُم … أسياف سيف مثل سود الضان

[ ] [2] لشد ظهورها … حتى طغوا وبغوا على عدنان

[ ] [3] ليس لآل حام ناصر … إن رام مكروها به الحيان

وبنو على لاتُضَيِّعُ ثأرها … لوكان عند كواكب الميزان

ستناله بالحد من أسيافها … وبنصرة الداعى العظيم الشان

ملك تملك شكرنا بجميلة … وإذا دعوت بنصرة لبانى

فأعد حميدان الجواب وقل له … إنى الجدير بشكر ما أولانى

وكذاك شكر جميع آل محمد … بصنيعه قاصيهِمُ والدانى

فالأمر منهم حيث كانوا واحد … والثأر منهم واحد والعانى

قال : فلما أن تقدم الشريف الأجل حميدان بن القاسم بهذا الشعر أتى به إلى محمد بن سبأ فأقام عنده أياما فأتته الوفاة فمات بحصنه المعروف بالدملوة [4] ، وقد كان له عزم على مناصرة الإمام وإجابته فعاد الشريف فأعلم الإمام بذلك . وكان مما قاله الإمام عليه السلام وهو مقيم فى بلاد جنب قصيدته

---

(١) ثهلان : إسم جبل فى أرض نجد لذبيان .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٦٠ ، ٢٩٦ ، ٣٣٥ .

(٢) بياض فى الأصل بمقدار كلمتين .

(٣) بياض فى الأصل بمقدار كلمة واحدة .

(٤) الدملوة بضم الدال وسكون الميم وضم اللام وفتح الواو ، قلعة فى جبل الصلو على بعد ٤٠ كم جنوب شرق تعز
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٤٢ - ١٤٣ ؛ ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ص ١٥٣ - ١٥٤ ؛ الجندى ، السلوك ، جـ ١ ص ٢٧٩ .

الزهديه التى يقول فيها وهى هذه :

دعينى أطفى عبرتى ما بدا ليا وأبكى ذنوبى اليوم إن كنت باكيا

وأشفى غليلا فى فؤادى بالبكا ولو قال جهال من الناس ماليا

لعل البكا يشفى من الوجد بعضه إذا لم يكن للكل من ذاك شافيا

ولن يسلم المحزون من عضة القضا إذا كانت الأحزان تبقى كما هيا

فقد مات همام لوعظ إمامه وصادف قلبا للمواعظ واعيا

وليس عجيبا إن بكيت ولو دما وأذْهَبَ دمعى من بكاى الأماقيا

وقدماً بكى قبلى رجال تذكروا رسوما عفت عن أهلها ومغانيا

ويوما [1] مسته الذاريات وأشعثا وجته الغوانى فانشطى وأثافيا

فلم لا إذا أبكى على ماجنت يدى من الذنب لما أن تحققت دائيا

فهل من مداوٍ للذنوب من الملا فلم ألق للذنب العظيم مداويا

وهل لقروح فى فؤادى مرهمٌ يداوى غليلا كامنا فى فؤاديا

وليس لذنبى من دواء سوى البكا وتوبة ذى صدق وعفو إلهيا

هبينى نسيت الموت والبعث فتنة وما كان من علم الغيوب ورائيا

ألم أعتبر نفسى ونقصان قوتى ولم ألكُ للموت المشاهد ناسيا

وكنت امرءا ذا قوة فى شبيبتى فأصبح مخضر الشبيبة ذاويا

وَبُدِّلْتُ نقصانا بدى فى جوانحى وجاء نذير الشيب للنفس ناعيا

فيا عجبا من غافل غير عاقل يجدد من دنياه ما صار باليا

ويَعْمُرُ ما قد خرب الدهر قبله ويتبع تسويفا له وأمانيا

ومن هرم يزداد ضعفا وذلة وآماله ترمى بهن المراميا

رأيت معين الملك قد صار [خاليا] [2] فأورثني سقما وأوهى عظاميا

---

(١) فى الأصل بيوتا والتصويب من الحدائق الوردية . جـ ٢ ص ١٢١ .

(٢) بياض فى الأصل ومابين الحاصرتين اضافة من الحدائق الوردية ، جـ ٢ ص ١٢١ .

[ونشان] (١) والبيضا (٢) نادت وهكذا ... براقشها (٣) والقصر قد كان عاليا
وغمدان والسودا (٤) والبئر عطلت (٥) ... منازلها والكل قد صار خاليا
[وفى هرم (٦) ما] (٧) يهرم الطفل ذكره ... وفى كمنا (٨) ما كان للناس باديا
وصراوح (٩) أو روثان (١٠) للناس عبرة ... أباد الردى أسفاله والأعاليا
[وفى كل أرض مثلهن مآثر ... تزهد فى الدنيا وتنفى] (١١) الدواعيا
فيارُبَّ قيل كان فيهن مُتْرَفٌ ... وذى نخوة قد كان فى الناس ساهيا

---

(١) بياض فى الأصل والاضافة من الحدائق الوردية ، جـ ٢ ص ١٢١ .

(٢) البيضاء مدينة بالجوف وهى من المدن الخربة حاليا .
الهمدانى ، الإكليل ، جـ ٨ ص ١٧٥ ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٠ ؛ ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ص ٢٠٠ ؛ السياغى ، معالم الآثار ، ص ٥٦ - ٥٧ .

(٣) براقش بفتح الباء من المدن الأثرية بأسفل جوف أرحب .
الهمدانى ، الإكليل ، جـ ٨ ص ١٧٥ - ١٧٨ ؛ ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ص ٢٠٠ .

(٤) السوداء مدينة بالجوف ، وهى من المدن الخربة حاليا .
الهمدانى ، الإكليل ، جـ ٨ ص ١٧٥ ؛ ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ص ٢٠٠ .

(٥) البئر المعطلة والقصر المقصود بها قصر ريدة ، ويقال فى تفسير هذه الآية « وبئر معطلة وقصر مشيد » أن المراد بذلك قصر ريدة المشيد وبئرها المعطلة . وريدة بفتح الراء وسكون الياء بالدال المهملة المفتوحة ، قرية وناحية فى قضاء عمران وتقع بين : ٠٨ ْ ٤٩ َ ١٥ ً شمالا ، ٣٤ ْ ٠٢ َ ٤٤ ً شرقا . الهمدانى ، الإكليل ، جـ ٨ ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، البكرى ، معجم ما استعجم ، جـ ٢ ص ٦٨٨ ، خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544A1 .

(٦) هرم من قري الجوف
ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ص ٢٠٠ .

(٧) ما بين الحاصرتين بياض فى الأصل ، والإضافة من الحدائق الوردية ، جـ ٢ ص ١٢١ .

(٨) كمنا محلة من قرية المقاشب ، عزلة همدان ، ناحية حزم الجوف .
الهمدانى ، الإكليل ، جـ ٨ ص ١٧٥ ؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥ .

(٩) صرواح قرية من عزلة الوادى حبيب ، ناحية بنى بهلول ، وتقع على بعد ٥ كم شرقى غيمان .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، جـ ١ ص ٢٣٣ ، خريطة ج .ع.ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544C2 .

(١٠) روْثان ، مدينة قديمة خربة ، واقعة بين الجوف ومأرب .
الهمدانى ، الإكليل ، جـ ٨ ص ١٥٨ .

(١١) بياض فى الأصل ومابين الحاصرتين إضافة من الحدائق الوردية ، جـ ٢ ص ١٢١ .

مضى ومضت أمواله ورجاله وقد كان موجودا فأصبح فانيا

فكيف يطيب العيش للمرء بعدهم ويصبح جو الدهر للمرء صافيا

فيأيها المغرور أقصر عن الهوى وأقبل إلى التقوى ولاتك لاهيا

وكن جاهدا فى طاعة الله ربنا تفز بالذى تهوى ولاَتَكُ عاصيا

فلو لم يكن غير الممات ووحشة الـــقبور وكون المرء فى القبر جاثيا

وماذا تلاقى من نكير ومنكر لكان لنا هذا من الشر كافيا

كفى بالبلا والموت للناس زاجرا وبالشيب عن فعل المظالم ناهيا

فلو كان فى العقبى جهنم واديا وكان جنان الخلد عشرين واديا

لخاف الذى يخشى العذاب لقاء ها ويصبح يوما فى جهنم ثاويا

وليست سوى دارين نار وجنة فمن لم يحاذر صار للنار صاليا

ولو لم يكن غير الخلود وكم عسى يُخَلَّدُ فى هاتيك أو تلك باقيا

ولولا الترجى للشهادة والهدى وأضحى إلى الرحمن والدين داعيا

فطوبى لمن يعطى الشهادة تُحْفه ومن كان مهديا ومن كان هاديا

وإعزاز دين الله بعد خموله لأشبع غرثانا وأكسو عاريا

وأنصر مظلوما وأقمع ظالما وأنقذ ملهوفا وأفنى معاديا

لما كنت بين الناس أنظر فعلهم وما كنت للجهال يوما مدانيا

وأغدو لمن عادى الإله معاديا وأضحى لمن والى الإله مواليا

لما سرت إلا فى طريق ابن أدهم وكنت لعمرو بن العبيد مواسيا

وكان محيثم (١) والجنيد أخى التقى فما كان منهم واحد متوانيا

فرحمة رب العالمين عليهم وكان لهم من كل خير مكافيا

[ويممت أرضا لا] (٢) أرى الناس عندها وكنت لأصناف الوحوش مؤاخيا

---

(١) فى الحدائق الوردية [وكا بن حيثم]

(٢) بياض فى الأصل وما بين الحاصرتين إضافة من الحدائق الوردية ، جـ ٢ ص ١٢٢ .

[وقلت لأولادى] [١] وأهلى وإخوتى   وأهل ودادى اليوم ألا تلاقيا
[وإنى رجوت] [٢] الله عفوا ورحمة   وإن إلهي لايخيب رجائيا
[صل إلهى كل يوم وليلة   على من غدا للحق فى الناس داعيا] [٣]

رجع الحديث قال الراوى : إن الإمام عليه السلام أقام ببلاد جنب تسعة أشهر إلى أن أصلح أمورهم وأثبت أحوالهم وأجابوه على الخروج معه إلى صنعاء وعادت ذمار ورجع أهلها كلهم وقد كان يروى فى حكومة قديمة بيتا من الشعر فقال فيه :

إذا خرجت ذمار ثم عادت   فعودتها على صنعا دمار

فنهض الإمام عليه السلام بقبائل مذحج من جنب وعنس وزبيد فاجتمع منهم بشر كثير وخيل كثيرة زهاء من ألف وثمان مائة فارس وذلك فى شهر شعبان سنة اثنتين وخمسين فحط بهم فى جهران [٤] . ونهض حاتم بن أحمد من صنعاء بمن معه من همدان وجنب وسنحان وغيرهم فحط فى نجاد الرقاص وصار العسكران ينظر بعضهم نار بعض . فأقام بعسكره فى جهران أربعة أيام وعسر على العسكر طلوع النقيل وقد لزم عليهم رأسه ، فتقدم الإمام عليه السلام بهم طريق تغيل وكان فى ذلك دلالة فيما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام فى ذكر المنصور فقال : اضطرابه فى أمره وشدته فى قهره ما بين النقيل إلى تغيل . فلما

---

(١) بياض فى الأصل وما بين الحاصرتين إضافة من الحدائق الوردية ، جـ ٢ ص ١٢٢ .
(٢) بياض فى الأصل وما بين الحاصرتين إضافة من الحدائق الوردية ، جـ ٢ ص ١٢٢ .
(٣) اضافة من الحدائق الوردية ، جـ ٢ ص ١٢٢ .
(٤) ناحية جهران تقع فى شرقى بلاد آنس بمحافظة ذمار .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ١ ص ٢٨ – ٢٩ .

أن وصل بالعسكر إلى عذيقة (١) وأنجد بهم تقدم إلى أن حط بموضع يقال له نجد الشرزة ونجد شيعان (٢) وجوب فحط هنالك ، ونجد الشرزة هذا موضع فى واد ضيق بين قرون وحصون فقال له الناس ليس هذا موضع محط ، فقال لهم حطوا فيه فإن الله تعالى سينصركم ويظفركم على عدوكم فحطوا هنالك وباتوا تلك الليلة . فلما أصبحوا ووقفوا إلى الهاجرة ، وقد كان حاتم بن أحمد بعساكره قريبا منهم فى أسفل الوادى بموضع يقال له ريمة (٣) وكانت خيله تسعمائة فارس معدة كلها، فيهم من جنب عبد الله بن يحيى وعبد العزيز بن العطير وحسين بن الربيع فى ثلاث مائة فارس وباقيهم من همدان وسنحان ونهد . وكانت رجله عشرة آلاف فيهم ثلاثة آلاف قايس وألف تارس ، ولم يكن مع الإمام رجل غير قوم قليل . [وبينما كان الإمام] (٤) وأصحابه فى المحطة ومعهم شاعر له يقال له زيد بن على من بنى أبى القراطيس ينشد لهم شعره الذى يقول فيه :

على رسلكم يا أيها الطلقاء تأنوا ففى خير الأمور أناة

وبلغ إلى قوله :

---

(١) عذيقة واد وبلد من اليمانية العليا ، ناحية خولان الطيال .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ ١ ص ٥٣ ، المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٤٤٣ .

(٢) شيعان ، قرية من عزلة الربع الشرقى ، ناحية سنحان ، على مسافة ١٨ كم جنوب شرق صنعاء.
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ٣ ص ٤٦٠ ، المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٣٧٨ ؛ التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ ١ ص ٢٠٠ .

(٣) ريمة بفتح الراء وسكون الياء وفتح الميم ، اسم مشترك لعدد من القرى منها رَيمة حُمَيْد من قرى سنحان على مسافة ٦كم غربى غيمان .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن حـ٢ ص ٣٧٧ ؛ خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544C25 .

(٤) كلمات مطموسة فى الأصل وغير مقروءة .

فأين بكم يايام حين تروننا وسنحان أيضا إنهم غرماء

إذ بدى عليهم من أسفل الوادى أول القوم فلم يفزعوا منهم وظنوهم الأبناء حتى تزايد القوم وبدت الرايات فأيقنوا حينئذ بهم فما أمكنوهم للبس السلاح والشد على خيلهم إذ وقع الطعن بين الحيين . فابتدروا كالليوث الضارية خيلهم وسلاحهم فركبوا وركب الإمام عليه السلام والتقى القوم للقتال فى ذلك الوادى ، فكان زيد بن عمرو وجبير بن عبد الله وآل روح وزبيد وعنس فى ميمنة القتال ، وكانت الأبطن وآل عانس فى الميسرة ، والإمام عليه السلام ومن معه من الأشراف والشيعة فى القلب ولم يكن معه من الرجالة غير أربعين رجلا فوقفوا بين يديه دون المضرب وكان معه أنفار من الأبطن ، وكثرت عليهم النبل والحجارة من كل جانب فمالوا إلى أكثر الصف إلى آل روح وتخلخل الناس من الإمام فما بقى معه غير قوم قليل ، وعدة جمهور القوم وأهل الجد منهم والبأس والشدة من همدان وسنحان . وكان فيمن لاحمه القتال عمرو بن الشغدرى من سنحان وبنو ساعدة والحباب وخيل من همدان فكانوا أمامه صفوفا وقد طمعوا فيه وفيمن معه وجعلوه لهم غرضا لأنه بغيتهم وطلبهم ، وملكوا عليه أكمتين قريبا من المضرب وشمروا أصحابه عنه إلى المحطة ، وعزم أهل المحطة بالإنهزام . وأحيط بأصحاب الإمام من كل جهة إلا مما يلى المضرب فلم ينالوه ، واشتد القتال وحمى الوطيس وكثرت القتلى فقتل ابن أخ لزيد بن عمرو وولد للعمر بن عبد الله وإثنى عشر رجلا من الشيعة ، فلما نظر الإمام إلى زيادة القوم عليهم ولم يصل من أصحابه إلى العدو سهم ولا حجر إلا كل منهم يتقى على وجهه بيده . فجعل عليه السلام يحمل على القوم فيلقونه جنوبهم ورماحهم وسهامهم وما يهم أحد منهم أن يرد رأس فرسه فحمل عليهم أسفارا وكأنه يحمل على جبل من حديد ، وقرب القوم

من المضرب وأحاطوا به ووصلته النبل ، فعند ذلك رفع الإمام عليه السلام يديه إلى السماء وقال اللهم إنه لم يبق إلا نصرك ، وقال فى نفسه إن ظفر القوم اليوم بنا ظهر مذهب الباطنية وارتفع فى جميع البلاد وهلك الإسلام والمسلمون . فعند ذلك أرسل الله ريحا عاصفا من المشرق فقابلت وجوه القوم فاستبشر الإمام عليه السلام بالنصر من الله وقال إنها [ريحهم] (١) احملوا ثم حمل من نهجه فانهزم القوم وأعطى الله النصر عليهم ومنح القوم أكتافهم فلم يزل الطرد فيهم والقتل الذريع حتى لزمت فى أعقاب الناس جنب [أصحاب] (٢) حاتم فلم يزد أحد يتبعهم فانجلت المعركة عن خمسمائة قتيل وخمسمائة أسير أو قريب من ذلك . ومازالت الهزيمة فى همدان إلى صنعاء ثم انهزموا من صنعاء فتعقلوا بالحصون وعاد الإمام عليه السلام بعسكره إلى محطتهم فأقاموا بها ليلتين لأجل صابة وقعت فى ولد لزيد بن عمرو ، ثم نهضوا فى اليوم الثالث فحطوا بموضع يقال له العرق بين بيت بوس وعلب فأقاموا به يومين يصرمون زرائع علب ، ثم نهضوا فباتوا على غيل ابن الأسود ثم نهضوا فحطوا بالحصبة (٣) . وقد كان عقد الإمام عليه السلام لأهل صنعاء بالأمان فجعل محطته هنالك نازحة عنهم لئلا يضر العسكر بأحد فى المدينة ، ثم أمر بخراب درب غمدان وهو درب منيع قد عنى حاتم فى تحصينه وبنايته ورتبه له رجل من مصر يقال له القاضى الرشيد على ترتيب القاهرة بمصر . وذلك أنه حفر بئرا فيه وهُوِىَ (٤) حبل حتى ألحق الماء ثم

---

(١) بياض فى الأصل والإضافة من الحدائق الوردية ، حـ ٢ ص ١٣٠ .

(٢) بياض فى الأصل والإضافة من اللآلىء المضية ، جـ ٢ ورقة ١٩٦ .

(٣) الحصبة موضع شمال صنعاء ، وهى الآن حى من قطاع ثالث مدينة صنعاء .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة ، حـ ١ ص ١٦ .

(٤) فى الأصل هو .

بنى دربا مدورا وكبسه بالطين الرطب حتى صار قطعة واحدة قياس وطن [١] الرمح مكبوسا ، ثم بنى عليه دايرا وربع فى وسطه قصرا مربعا على أربعة أسقف وبنى أربع غرف فى أعلاه واستوعب فيه دورا كثيرة من دور أهل صنعاء خربها وأخذ جصها وآجرها وخشبها وبنى به ثم بنى سورا محيطا بالدرب وخندقا من بعده ، وصار قاهرا للمسجد والدرب ولصنعاء كلها ولم يبن فى اليمن مثله فأمر به الإمام فخرب حتى ألحق بمآثره . وأمر بإسلام الدرب الكبير من الخراب وقد كان أيضا عنى فيه حاتم وحصنه وخندق عليه فرأى الإمام عليه السلام إسلامه أصلح للمدينة وأمنع من كيد العدو .

قال ثم إن شهر رمضان قرب فاستعجل الناس للمراح فاستأذن جميع العسكر فى الإياب إلى بلادهم فأذن لهم الإمام ، وتقدم إلى بيت بوس فأقام به شهرا وكان أكثر إقامته عند السلطان سلمة بن الحسن ، فأتى الإمام العلم أن سفراً لحاتم بن أحمد يختلف إلى سلمة وبذلوا له فى الإمام مالا جزيلا مقدار أربعين ألفا وأطيانا وأعنابا وحصونا ومنازل بصنعاء وعوائد دائمة من محمد بن سبأ . فلما ظهر ذلك للإمام أمر للشريف العفيف والسطان الأشعث بن أسعد لأهل سناع فوصلوا إليه فأعلمهم بذلك [فأخذوه] [٢] معهم وأظهروا أنهم أتوا إليه وحلفوا عليه للعيد عندهم . فنهض معهم عليه السلام وقد سلمه الله من كيد الظالمين وردهم « بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا » [٣] . فعيد الإمام عليه السلام عيد الفطر بسناع وقام بين يديه زيد بن

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) بياض فى الأصل والإضافة من اللآلىء المضية ، جـ ٢ ورقة ١٩٦ .

(٣) سورة الأحراب ، آية ٢٥ .

على وهو منشده والشعر للقاضى الأجل محمد بن عبد الله الحميرى يمدحه فيه ويذكر فضائله عليه السلام وهو :

تهنا بك الأعياد إذ أنت عيدها ... وإذ أنت منها بدرها وسعودها
سبقت إلى غايات كل فضيلة ... بعلياء تبديها لنا وتعيدها
أقمت منار الدين يا بن محمد ... وصرت كمثل الشمس بادٍ عمودها
فاشرقت الآفاق منك بغرة ... كثير لرب العالمين سجودها
ألست الذى أحييت دين محمد ... وأسيافه إذ كلّ منها حديدها
ألست الذى ذكرتنا وقعاته ... وبيض الليالى قد مُحتها وسودها
بنجران والغيل الشهير وصعدة ... وصنعاء والجوفين باق شهودها
ويوم نهضنا من ذمار بخيلنا ... وزيد بن عمرو يوم ذاك عميدها
كتائب من جنب بن سعد ومذحج ... تعادى بهم خيل خفاف لبودها
يهزون أطراف الوشيج كأنما ... عليها سيوف فارقتها غمودها
فلما وصلنا نجد شيعان أقبلت ... علينا الأعادى كهلها ووليدها
وظنوا ظنونا فى الخلا كَذَّبتْهُمْ ... أليس عن الأخياس (١) تحمى أسودها
ولما أطل الموت واشتجر القنا ... ودارت رحاها واستتب وقودها
رَكَزْتَ لهم صدر القناة كأنما ... جبال ثبير ثم أرسا ركودها
وقلت لمر النفس صبرا فهذه ... حياض الردى حقا وأنى ورودها
فإن لم يكن نصر وإلاّ منية ... تكون خلاصا لى فتلك أريدها
وواساك من أهل الديانة عصبة ... كثير إذا شدت قليل عديدها
[فليت] (٢) قبورا بالمدينة بشرت ... بما فعلت من بعد حين جنودها

---

(١) الخيس الأجمة والخيس موضع الأسد والجمع أخياس .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة خيس .
(٢) بياض فى الأصل والإضافة من الحدائقة الوردية ، حـ ٢ ص ١٣٠ .

صعقنا عليهم صعقة مذحجية فكادت لها تلك الجبال تميدها
فيا للآكام السود لولا صعودها لقد كادت الأبطال جمعا تبيدها
فخمس مئين حُزَّ منها وريدها وخمس مئين ثقَّلتْها قيودها
وطاروا إلى روس الجبال شلاشلا من الخوف فيها خافقات كبودها
وسرنا لغمدان المنيف فأصبحت نوائبه فى الترب ثاوٍ مشيدها
وأضحى ابن عمران المتوج حاتم يقول ألا عفوا فلست أعودها
وأصبحت الأقوام فى كل بلدة تقول ألا لم يبق إلا زبيدها
وأنت بنفس لا يزال نفيسها إلى كل مجد أو طعان يقودها
فيابن أمير المؤمنين ومن له سوابق مجد ليس يحصى عديدها
إذا طلبت همدان منك إقالة وسنحان يوما واستقام أويدها
فَعدْ لَهُمُ بالصفح منك وبالرضى فلن يبلغ الغايات إلا معيدها
وحاشاك أن تنسى السوابق منهم وما فعلته فى القديم جدودها
أتعلم أن الحق قام بنصره إلى الآن قحطان بن هود وهودها
وتعلم قطحان وهمدان إن عصت مقالك أن الله وهنا يزيدها
فقد [1] جمعها يابن النبى إلى الهدى فليس يقود القوم إلا رشيدها
فما اجتمعت خيل الطعان بمشهد تكون به إلا وأنت وحيدها
ولا اعتركت خيل وخيل طعائن بحر القنا إلا وأنت نجيدها
ولا اجتمعت يوما نزار ويعرب بمجتمع إلا وأنت تسودها
وإنك للمنصور منصور هاشم وما بعدها من غاية تستزيدها
وكل أناس أعرضوا عنك وأمتروا فما هم من الإسلام إلا يهودها
فدمت مدى الدنيا لأمة أحمد تشيد لها أركانها وتسيدها

---

(١) فى الأصل فعد والتصويب من أئمة اليمن ، جـ ١ ص ١٠٥ .

قال : وأقام الإمام عليه السلام فى بلاد بنى شهاب إلى عيد عرقه وكان بينه وبين حاتم مكاتبات ومراسلات يريد حاتم الدخول فى الطاعة والقبول منه فلم يقبل الإمام وكان ذلك بالملاطفة من الكلام الجميل ، فلما لم يقبل الإمام منه رد كلاما جافيا ، فرد عليه الإمام فى كلام له أنه طبيب ولم ينتفع بطبه وعاقل ولم ينتفع بعقله ومعه داء لا دواء له . فرد كلاما وتمثل فيه بقول المتنبى حيث يقول :

كدعواك كل يدعى صحة العقل ... ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل

فرد عليه الإمام عليه السلام :

إذا كنت لا تدرى بما فيك من جهل ... فذاك إذاً جهل مضاف إلى جهل
ولم أنتحل ما ليس فى وإنما ... مقالى حق قد يصدقه فعلى
ومن جحد الرحمن والرسل لم يكن ... بمعترف يومابحق بنى الرسل
وكل عباد الله غيرك عارف ... بما فى من أصل شريف ومن فضل

فرد كلاما فيه بيتا شعر يقول فيهما :

لنا النُّهىُ فيما حرم الله والزجر ... وليس لكم نهى هناك ولا أمر
فلازال ذا فينا وذلك فيكم ... مدى الدهر حتى يأتى الحشر والنشر

فأجابه الإمام عليه السلام بكتاب تمثل فى أوله ببيت شعر يقول فيه :

لا افتخار إلا لمن لا يضام ... مدرك أو محارب لا ينام

بسم الله الرحمن الرحيم حمدت من أنطلق الفيلسوف بذكره وحمده ، وإن كان مبطنا من ذلك بخلافه وضده ، لأنه سلك فى مبتدأ كتابه طريقة محمودة لو أتمها فذم الجفا والمشاتمة ثم عاد إليها فتعدى الحدود المضروبة .

جرى ما جرى حتي إذا ما قيل سابق تـلاحـقـه عِرق الجـران [١] فـبلّدا

فرجع إلى عادته من سلاطة اللسان . والسلاطة آفة الإنسان فكان مثله كمثل صاحب المارستان . ولا لوم لأنه مضى يوم دخلنا عليه صنعاء بعض لب فؤاده، ومضى بَعْضُه يوم الشرزة فبقي بلا لب إلا ما يتكلفه ، وأما ما ذكره في الذين قال إنهم قد كفوه مؤنة الهجاء فقد هُجي رسول الله صلى الله عليه وآله ، هجاه ابن عمه أبو سفيان بن الحارث فرد عليه حسان ابن ثابت :

هـجـوتَ مـحـمـدا فـأجـبـت عـنـه وعـنـد الـلـه فـي ذاك الجـزاء
أتـهـجـوه ولـسـت لـه بـكـفء فـشـركـمـا لخـيـركـمـا الـفـداء

وما مثله هو وهم إلا مثل البعوضة لا يؤذى الناس منها إلا طنينها مع أذنيه فإذا طلبها لم يجدها وقد بلغت مكروهه ومكروه غيره بحمد الله تعالى .

إذا شـئـت أرغـمـت الـعـدو ولـم أبـت أقـلـب فـكـرى فـى وجـوه المـكـابـد

وقد هجانا أخوه الذى مات طريدا لنا فناب عنا بعض شيعتنا فقال :

لـو سـار ألـف مـذحـج لـيـحـل فـى عـمـران غـيـر إمـامـنـا لـم يـقـدر
تلك الـشـجـاعـة لا شـجـاعـة معشر مـثـل الـعـجـائـز فـى ظـلال المـنـظـر

وأما قوله لهم النهى عما حرم الله والزجر ولعل ذلك النهى والزجر على الكلاب، والله ما عرفت لهم سابقة في الجاهلية ولا في الإسلام ، كان أول من تسلطن منهم حاتم بن الغشيم [٢] وذلك أنه سرق السلطنة من آل الصليحى [٣]

---

(١) الجران مقدم عنق البعير وكذلك الفرس . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة جرن .

(٢) حاتم بن الغشيم المغلسى الهمدانى ، تملك صنعاء بعد وفاة الداعى سبأ بن أحمد الصليحى سنة ٤٩٢ هـ إلى أن توفى فى سنة ٥٠٢ هـ فتولى الأمر من بعده ابنه عبد الله بن حاتم .
يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، حـ ٢ ص ٢٨٠ - ٢٨٢ ؛ ابن عبد المجيد ، تاريخ اليمن ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٣) الصُليحيون هم أبناء على بن يوسف بن عبد الجبار بن الحجاج الصليحى ، وسمى الصليحى =

وذلك أنه أسلفهم مالا جمعه معهم فأعطاه المكرم حلقته [١] فسرق بسبب الحلقة عدن فتبعه المكرم إلى عدن فخالفه إلى صنعاء فتبعه إلى صنعاء فهرب منه إلى براش [٢] كما فعل هو وكذلك كانت صنعاء لآل القبيب وهو مشتغل فى المنظر بالطب والتنجيم واللعب بالكلاب . ثم افترق آل القبيب وقتل بعضهم بعضا فخالفهم عليها ولم تكن لأبيه ولا لجده . وأما قوله إنه لا يحسن للرجل أن يمدح نفسه وإن أحسن المدح ما يقر به الضد لضده فلا نعلم اليوم أكبر عداوة منه لنا فقد شهد لنا بالأمانة والوفاء والزعامة فقال فينا :

رأيت إماما لم ير الناس مثله ... أبر وأوفى للطريد المشرد
عفا ووفى حتى كأنى عنده ... أخ أو حميم لست عنه بمبعد

وقال أيضا أخوه أسعد فى شعره :

ملكت فأسجح [٣] منعما يابن فاطم ... وشيد مبانى هاشم ذى المكارم

إلى قوله :

فإن كنت قد بُلغت عنى مقالة ... فقد تبت يا مولاى توبة نادم

وعما قليل يقول كما قال أخوه ويفرح من يرجع إلى ما كان عليه أبوه وقوله لا

= نسبة إلى موضع كان يقال له صلاحة ، منهم السلطان على بن محمد الصليحى مؤسس الدولة الصليحية .

ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ١١٧ - ١١٩ .

(١) اعطى فلان الحلق أى خاتم الملك يكون فى يده .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة حلق .

(٢) براش جبل فى شرقى صنعاء على مسافة ٧ كم .
خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544C2 .

(٣) الاسجاح : حسن العفو ، ومنه المثل السائر فى العفو عند المقدرة : ملكت فأسجح .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة سجح .

يحسن للرجل العاقل أن يمدح نفسه فقد حكى الله عن يوسف عليه السلام أنه « قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ » (١) . وقال عز وجل « وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ » (٢) . الآية وقوله إنى طالب دنيا وقوله هذا طار وهذا فلت ولذتى فى دنياى قتاله وقتال أمثاله من أعداء الله ، وقد بغضت عليه وعلى غيره من أهل الدنيا دنياهم فى كل ناحية ولى اليوم نيف وعشرون سنة كلما فرغت من حرب قوم من الظالمين قمت فى حرب آخرين من أعداء الله رب العالمين وإن لا أبرح كذلك حتى أموت . وأما قوله إنى كفيته ذم نفسى أنى له داء لا دواء له ويعلم أن الداء الذى لا دواء له هو الموت وأنا له كذلك إن شاء الله ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحن السم فمن شاء فليستم ونحن الشم فمن شاء فليشتم وأنا له داء ولضده دواء فيعلم ذلك والسلام وصلى الله على محمد النبى وآله وسلم .

قال : ثم إن الإمام عليه السلام نهض إلى ذمار فنزل على زيد بن عمرو فلما وصل الإمام أتى إليه وطلب منه المصالحة والمهادنة فلم يجبه إلى ذلك فصالحه زيد بن عمرو على دفع سبعة آلاف دينار فى كل سنة . ثم نهض الإمام عليه السلام بقوم من جنب قدر أربعين فارسا فوصل بلد بنى شهاب ، وأتاه موسى بن منصور بن سعيد اليامى بقوم من أصحابه وولد للحسن بن صيدمان الزواحى فاستنهضوه لكوكبان فأقام فى بلاد بنى شهاب ثمانية أيام وحاتم بن أحمد فى ذلك يضرب الملاقى لهمدان ويجمعهم ، وقال لهم إن أردتم القضاء بيوم الشرزة

---

(١) سورة يوسف ، آية ٥٥ .

(٢) سورة الشورى ، آية ٤١ ، ٤٢ .

ويما قبلها فقد حصل الرجل فى أربعين فارسا وهو يمر فى وسط بلادكم وبين حصونكم وأنتم خمسمائة فارس ورجل لا يعتد وقد جاء وكم هدية . فقالوا له يا حاتم إنك أوقعتنا فيما نكره من حرب هذا الإمام مرارا كثيرة ونحن فلا نساعدك اليوم إلى هذا وعاد دمانا لم تجف فى الشرزة وتفرقوا ولم يساعدوه ، وتقدم الإمام عليه السلام فطلع كوكبان فأقام فيه عشرة أيام . وتقدم فحط ببيت ذخار [١] وأراد أن يحصر حصن بيت عز [٢] وهو لمنصور بن جعفر الضربوه فأقام الحرب عليه والحصار أياما وهو حصن حصين فلم يتم للعسكر فيه شئ ، وأقام فى بيت ذخار عشرة أيام، وتقدم إلى حضور المصانع ولقيه هنالك ولده المطهر بن أحمد بخيل من آل دعام فيهم ربيع والمؤمل بن جحاف بن ربيع وخيل من بنى بحير ومحمد بن حاتم بن دعفان وقوم من بنى عمه ، عدة الخيل أربعون فارسا وثمان مائه قايس من ذيبان فوصلوا إلى الإمام وسلموا عليه ، ووصله قوم من مسور من السلاطين بنى عبد الحميد . ثم إنه وقع قتال بين عسكر الإمام وأصحاب منصور بن جعفر الضربوه من حمير وهمدان بموضع يقال له بردان ومحطة بقرية شناشر [٣] ، فأعطى الله أصحاب الإمام الظفر والنصر عليهم فهزموهم إلى أن أوصلوهم قرية ثلا [٤] وقتلوا منهم رجالا . وعاد العسكر إلى

---

(١) ذخار بضم الذال ثم خاء هو الجبل الذى أقيم عليه حصن كوكبان ويطل على شبام .
الهمدانى ، صفة جزير العرب ، ص ١٢٣ . وبيت ذخار موقع قريب من شبام . يحيى بن الحسن، غاية الأمانى ، حـ ١ ص ٢٠١ .

(٢) بيت عز قرية من عزلة الضلاع وكوكبان ، ناحية شبام ، قضاء الطويلة .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة المحويت ، ص ٢١٢ ؛ اسماعيل الأكوع ، البلدان اليمانية عند ياقوت ، ص ٤٦ .

(٣) واضح من النص أن شناشر وبردان تقعان بالقرب من قرية ثلا .

(٤) ثلا بالضم مدينة ومركز ناحية ثلا ، وهى على ارتفاع ٢٤٠٠ متر ، وعلى بعد عشرة كيلو مترات جنوب غرب مدينة عمران وتقع ما بين : ٣٢ً ٣٩َ ١٥ْ شمالا ، ٤٠ً ٥٤َ ٤٣ْ شرقا . =

الإمام عليه السلام فلما رأى ذلك منصور بن جعفر أيقن بالهلاك ، وعلم أن الإمام يستولى على القرية ويغلبه عليها ، فأرسل ولده مفرح بن منصور متوديا ومطيعا وطالبا للأمان والعفو فقبل الإمام عليه السلام منه وبايعه وحلفه وارتهن منه ولدا على خراب بيت عز فسلمه . وتقدم الإمام عليه السلام معه إلى أن أمسى بحلملم [١] ثم تقدم إلى أن بات بهجر بنى شاور [٢] وأمر له ولاصحابه صنوه الشريف عبد الله بن سليمان بِقرى فأتوا إليه فتغدوا عنده فلما فرغوا سأل الإمام عليه السلام صنوه عبد الله أن يهب له ولد مفرح بن منصور الذى معه رهينة على خراب حصن بيت عز ففعل له الإمام ذلك ورده إلى أهله . وتقدم الإمام إلى بلاد بنى صريم ووصله من حاتم بن أحمد مكاتبة يطلب منه المصالحة والمهادنة والدخول له فيما يحبه ففعل ذلك ، ولقيه إلى عجيب [٣] فصالحه على الشروط المتقدمة التى كانت عند عقد الصلح الأول . ثم تقدم الإمام عليه السلام [إلى] [٤] الجوف وذلك فى شهر صفر سنة ثلاث وخمسين فأقام به أياماه وتقدم إلى الحقل ونقل معه امرأته بنت فليته بن العطاف وأولاده فوصل بهم فى شهر ربيع الأول إلى موضعه بالجبجب فأقام به أياما ، ثم أقام ببلاد خولان إلى شهر شوال وعاد

= التوزيع السكانى فى محافظة صنعاء ، حـ ١ ص ٢٠٨ ؛ الويسى ، اليمن الكبرى ، ص ٦٥ ؛ خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1543B4 .

(١) حلملم الأعلى وحلملم الأسفل ، قريتان فى الغرب والشمال الغربى لقرية الأشمور بمسافة ٣ كم ، وهما قريتان من عزلة الأشمور ناحية عمران .
التوزيع السكانى فى محافظة صنعاء ، حـ ٢ ص ٣١٨ ؛ خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1543B4 .

(٢) بنو شاور من قبائل همدان .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٤٧ .

(٣) عجيب بفتح العين وكسر الجيم ، بلدة شمال ريدة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٥٨ ؛ الإكليل ، حـ ٨ ص ٥٨ ..

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة .

إلى الحقل ، ووصله على بن حسين بن عمران برسالة من حاتم بن أحمد يسأل منه أن ينفذ إليه ولده المطهر وأحب مواصلته ، ووعده أنه يملكه براش ويزوجه ويذل له الجميل من نفسه وغرضه بذلك أن يستكفى شر الإمام ويطلب العافية منه به فكره الإمام مواصلة [ ] [١] لحاتم ونهى عن ذلك ولم يساعد إليه . ثم عزم على النهوض إلى ذمار وقد كان زيد بن عمرو اشترى حصن أشيح [٢] بثلاثة آلاف دينار للإمام عليه السلام وكتب إليه يستنهضه إليه ويعلمه بذلك ، فتقدم الإمام ومعه ولده المطهر وعلى بن حسين بن عمران ويحيى بن مفضل بن دعفان إلى أن وصل بلاد بنى شهاب فلقيه حاتم بن أحمد إلى حدة فجدد عليه الإمام البيعة والعقود وتقدم إلى أشيح وتخلف المطهر فى وقش . فأقام الإمام بأشيح شهرا ووصله ولد لأحمد بن محمد الحطر الخولانى من وصاب [٣] وذلك عند ظهور القرمطى على بن مهدى بتهامة ، وكان من شأنه أنه كان فى أوله يعظ الناس ويتعفف ويريهم النسك والزهادة وباطنه الزندقة والباطنية . وكان مما قوى عزمه أن الحرة صاحبة زبيد لما أرادت الحج أودعت عنده مالا كثيرا فقام وتألف به قوما من عك [٤] وأقام بهم فى ناحية قوارير [٥] . وكان عليه من الحرة صاحبة

---

(١) بياض فى الأصل .

(٢) اشيح بالفتح ثم السكون وياء مفتوحة وحاء مهملة حصن فى عزلة بنى سويد من بلاد آنس .
عمارة ، تاريخ اليمن ، ص ٨٢ ، ١٢٠ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، ص ٢٧ .

(٣) وصاب جبل مرتفع يشتمل على ناحيتين ، وصاب العالى ووصاب السافل فى قضاء ذمار . سميت باسم وصاب بن مالك .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ؛ الوصابى ، تاريخ وصاب ، ص ٨١ - ٨٣ .

(٤) عك وهم من ولد عك بن عدنان ، وبطون عك أربعة تقيم معظمها فى تهامة .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٥٣ - ٥٤؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٣ ص ٦٠٨ - ٦٠٩ .

(٥) قوارير حصن فى وصاب السافل ، ويعرف الآن باسم المعكل ، وقد خرب من زمن . وقوارير=

قوارير فضل وإحسان وهى امرأة عمر بن محمد الحطر وهى من بنى الصليحى وكانت الحبشة قد علت أيديهم بتهامة وزّبيد واستضعفوا من كان بها من العرب وصيروهم لهم عشيرة وأكثروا الفساد وأظهروا المنكر وأبدوا الفواحش ، وكانت عك بن عدنان من أقوى قبائل تهامة وأكثرهم فاستدعاهم ابن مهدى ومن بهم ووعدهم رفع أيدى الحبشة عنهم وملك زبيد وهم قوم أغمار جهال شجعان لا يرهبون الموت ولا ما بعده ، يطرحون بأنفسهم ولا يبالون بها فقاموا معه وأطلق لهم أيديهم وحلفهم أنهم لا يرفعون أيديهم من كبير ولا صغير ولا رجل ولا امرأة ولا قوى ولا ضعيف ، وقال لهم أن القوم الذين يلقونهم كفار وأن أولادهم كفار مثلهم يجب قتلهم . وكان مما جرأهم به أنه نهض فى أول قيامه إلى قوارير ومعه مقدار عشرين رجلا فوقع عليهم الغيث فى طريقهم ولم يجدوا موضعا يلجأون [(١)] إليه فساروا ، فبيناهم كذلك إذ وجدوا شيخا حالا وحده فى مزرعة فأضافهم وفرح بهم ورحب وأدخلهم خيمة له وأوقد لهم وأدفأهم وذبح لهم شاتين لا يملك غيرهما من الماشية فباتوا عنده ، فلما أصبحوا دعوه وقالوا قد فعلت معنا جميلا لا نجد لك مكافأة به إلا الجنة ثم قاموا له فذبحوه وذبحوا امرأته وأولاده الكبار منهم والصغار والذكر والأنثى . وكان يأمر أصحابه أن يغزوا قرى تهامة وهى خيام فيحرقونها فى الليل ومن فيها فمازال كذلك حتى اقفروا أكثر تهامة . ثم قام على زبيد فجمع جمعا وأحاط بالمدينة فقتل فى أول يوم ألف قتيل على سور المدينة ، وقتل فى اليوم الثانى ثمان مائة فما فلّهم ذلك ولا كسرهم ، فجمعوا له

= قرية من عزلة الداشر ، ناحية وصاب السافل قضاء ذمار .

الوصابى ، تاريخ وصاب ، ص ٨١ ، الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ص ٦٥٨ ، التوزيع السكانى فى محافظة ذمار ، ص١٦٠ .

(١) فى الأصل يلجووا .

جمعا وكان فيه الأمير أحمد بن غانم بن يحيى فالتقوا بالكدراء [1] ونهوجها فهزمهم ابن مهدى وعسكره ولزم ولد غانم فى أعقاب الناس فصرعه فرسه فقتل . ثم إنه حل موضعا فى وادى رمع [2] ومدن فيه مدينة وبنى فيها بناء وحل معه خلق كثير وكبرت كلمته وملأت القلوب هيبته ، وكان منه أنه طلب نكاح ابنة لعمر الحطر إلى أخيها على بن عمر وهى ابنة للحرة فأوجبوا له ذلك ، فوصلهم فى قدر ثلاثة آلاف رجل فحطوا تحت قوارير فدخل فى ثلاث مائة رجل ، فدخل على امرأته ودخل أصحابه معه وأمرهم فقتلوا على بن عمر وصاحب الحصن وقتلوا معه ثلاث مائة نفس ما بين ذكر وأنثى وصغير وكبير ، وسبى صهرته الحرة وبناتها وسبى من أهل الحصن أربع عشرة امرأة وأخذ ما كان فيه من الأموال . وكان معه قوم من رازح من خولان يقال لهم بنو منبه فزادوا جرأه [3] على أكثر أفعاله، فلما جرى علّى ابن الحطر ما جرى فزع أصحابه إلي الإمام عليه السلام فوصل إليه ولد لأحمد بن محمد بن الحطر إلى أشيح فشكا عليه ما وقع بهم من ابن مهدى من القبائح والشنع والغدر ، فغضب لذلك الإمام عليه السلام غضبا شديدا وتقدم إلى زيد بن عمرو وسائر جنب فقومهم فكسر عليه زيد بن عمرو فتألفه الإمام بألف درهم قفله فضة وبحصان شراه مائتا دينار، وأعطى جبر بن

---

(١) الكدراء مدينة خاربة فى تهامة ، وتقع على وادى سهام .
ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ص ٦٠ .

(٢) رمع بكسر الراء وفتح الميم ، واد يصب في البحر الأحمر فى شمال وادى زبيد ، وأوله من أشراف جهران وغربى ذى حشران .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٣٣ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ص ٣٧٠ – ٣٧١ .

(٣) فى الأصل جروة .

عبد الله مائه وخمسين ملكيا [١] وزود قوما من جنب أربعمائة دينار وأعطى مشايخ منهم مثلها ، ونهض بهم وسايره زيد بن عمرو إلى موضع يقال له السفالى بمقرا ، فكسر عليه وعلى أصحابه فلم يطعه أحد . وتقدم الإمام عليه السلام ومعه جبر بن عبد الله وفساده أكثر من صلاحه وعدة من كان مع الإمام من جنب مائتا فارس فلقيه خولان بمقرا وصاب . ثم تقدم إلى زَبيد وليس معه دليل غير طريق الماء فى وادى زبيد فوصلها لستة أيام ، فلما وصل مسجد معاذ بات به ليلة ثم تقدم إلى الجليب تحت قوارير فبات به ليلة وكان يخاف البيات فى المحطة والقوم أهل بيات فبات الناس حازمين . فلما أن كان من الغد أمر عيونا وطلائع فوصلوا مدينة ابن مهدى إلى الغزالى وكانوا أربعة عشر فارسا فلم يجدوا معه إلا قوما قليلا ، ولم يكن قد بلغهم [٢] علم عن الإمام ووصوله . وكان من دون هذه العيون مائة فارس فيهم جبر بن عبد الله فأتوا إليهم وأعلموهم وقالوا لهم اتبعونا الساعة لأخذ [٣] على بن مهدى ومن معه فقال لهم جبر إن كنتم ترجون أموال أهل زبيد فدعوا ابن مهدى إلى أن تفرغوا من زبيد وهو لكم من بعد، وإن لم تكونوا تطمعوا فى زبيد فخذو ابن مهدى . فكسرهم من ذلك وتواصوا أنهم لا يعلمون الإمام بما رأوا فرجعوا وأخفوا ما عاينوه وباتو آمنين .

وكان شيخ عك يقال له حسن التويتى وكان فارسا بصيرا شجاعا مطاعـــــا [وكان غائبا] [٤] فأمر له إبن مهدى فأعلمه ، فنهض من ساعته فى مائتى فارس

---

(١) الدنانير الملكية وهى الدنانير التى بدأ بضربها على بن محمد الصليحى .
(٢) فى الأصل معهم .
(٣) فى الأصل فأخذ .
(٤) مابين الحاصرتين إضافة من اللآلىء المضية ، جـ ٢ ورقة ١٩٨ .

وألف راجل فبيتوا الإمام وأصحابه في محطتهم فما استيقظوا إلا من وقع السيوف ، فلما فزعوا شد الإمام الناس ووقف قدام للضرب وقد عقروا بعيرا قريبا من المضرب وأربع بغال لخولان . وكان قد انهزم كثير من الناس حتى سمعوا صوت الإمام عليه السلام يشدد الناس ويأمرهم بالقتال إلى أن شُد له على فرسه ، ولبس لامة حربه وركب وحمل هو وأصحابه على القوم فهزموهم وقتلوا منهم عشرين فارسا فيهم حسن التويتى راح وفيه طعنة فأقام ثمانية أيام ومات وما قتل من أصحاب الإمام غير رجل من آل يزيد من جنب يقال له نحيم بن ذؤيب . فلما أصبح تقدم الإمام بأصحابه إلى زبيد ، وقد كان أراد التقدم إلى موضع ابن مهدى فغلبه أصحابه على التقدم إلى زبيد فساعدهم وتقدم ، وكان قوم من جنب فى أول الناس فظفروا بقوم من أصحاب ابن مهدى قد أخذوا قطارا وقتلوا رجلين وعادوا يحملون الحب والعسل والسمن وقد كان عدم الحب فى زبيد وبلغ أربعة الكفير (١) بدينار ملكى إذا وجد ، فلما وصل الإمام عليه السلام حط على باب الشبارق وضرب مضربه هنالك وأدخل الجنبيون الحب الذى أخذوه وهو ثلثمائة [حمل] (٢) فتبلغ به أهل زبيد . وخرجت القواد والعرفاء والفقهاء وسائر أهل زبيد فسلم كبار الناس على الإمام وحمدوا الله على قدومه إليهم ، وكان أمير زبيد يومئذ فاتك بن محمد بن جياش وكان فاسقا مسرفا خبيثا تروى عنه أمور قبيحة موحشة فى نفسه ، ويقال إنه كان له بريمان (٣) فى

---

(١) الكفر والكفرى : وعاء طلع النخل .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : كفر .

(٢) فى الأصل رجل .

(٣) البريم : خيط فيه الوان تشده المرأة على حقويها .
ابن منظور ، لسان الغرب ، مادة برم .

بطنه كالامرأة ، فبات الإمام وأصحابه فى محطتهم وهم يسمعون أصوات المغنيات وضرب الطنابير والملاهى ففزعوا من ذلك وحرض الإمام فى قتل فاتك هذا .

فلما أن كان من الغد دخل الإمام المدينة وحول المضارب إلى الميدان ومازال يُعمل الحيلة فى قتله حتى أغلق عليه بيتا [1] وأتى بمفتاح القفل فقبضه ، فلما دخل الليل وصلت إليه امرأتان تحملان مالا بلحمين [2] ودخلا دهليز الدار التى كان فيها الإمام وهى دار القائد سرور ، وأرسلا إليه أن يفديهما سيدهما بذلك المال ويعزله من الولاية ويولى سواه ، فردهما بما كان معهما وحلف لا أفداه لو أعطى ملك زبيد كله ثم إنه أمر به فكسرت رقبته ، ورمى ناس كانوا معه يفعلون المنكر بالحراب وطابت البلد . وخرج قائد له يقال له ريحان ومعه مال كثير وهو مال أمير زبيد فتجور بالإمام فجوره فاجتمعت إليه القواد وقالوا إن مع هذا مال ملك زبيد فقال الإمام يكون معه ما كان فقد جورته وما كان معه ، ثم أقام الإمام عليه السلام بزبيد ثمانية أيام وولى عليها رجلا من بنى جياش يقال له محمد بن نجاح وكان القواد يعطون العسكر كفايتهم [3] فقال الإمام أما أنا فلا أقبض منكم شيئا كفاية ولا غيرها ، وكان معه ومع أصحابه زاد فلما فرغ الزاد كان يأمر من يشترى له الطعام ويأمر به من يطحنه وكانت حاشيته مقدار ستين رجلا. وكان فى يوم من هذه الأيام أتى إليه عجوزان قد قطعت أيديهما وكانا

---

(١) فى الأصل بيت .

(٢) ربما كانت الكلمة بملحمتين . والملحم : جنس من الثياب . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة لحم .

(٣) فى الأصل كفاياهم .

خارج المدينة يلقطان من جنى السدر فقالا إن أصحاب ابن مهدى أغاروا على أربع عجائز فقتلوا اثنتين وقطعوا أيدى هاتين وقد كمنوا كمينا فى موضع قبلى التريبة [١] . وأغار مائتا فارس منهم فخرج قوم من الجنبيين وغيرهم فكان أول من وقع منهم مبارك بن موسى وعلى بن الشعدرى القيسى من جنب فطردهم على الشعدرى وصاحبه فوقف له ، فمازال يطردهم إلى أن أوقعهم في الكمين فثاروا عليه ، فطردتهم الخيل إلى أن بلغ صاحبه فاطردا إلى أن وصلا خيلا من أصحابهما موقفه لهما فرجعوا عليهم . وكان أول من طعن فيهم شريف علوى يقال له أحمد بن حرب طعن فارسا فأرداه وساقوهم مشوارا جيدا فقتلوا منهم رجالا كثيرا قريبا من العشرين وأخذوا لهم أفراسا وعقرت خيل من خيل الجنبيين . والتقى رجلان رجل من أصحاب الإمام يقال له نعيم بن زياد من جنب ورجل من أصحاب ابن مهدى واطَّعَنَا فكسرا رمحيهما واضطربا فلم تعمل سيوفهما شيئا ، فاعتنق نعيم الرجل فصرعه ثم قتله وأخذ درعه وبيضته وعادت فرساهما فأخذهما أصحاب ابن مهدى ، وكان هذا القتال فى موضع منخفض فلم ينظرهم أحد وكان الناس ينظرون على سور المدينة فلم يروا أحدا فرجع أصحاب الإمام ظافرين غانمين والحمد لله رب العالمين . فلما كان من الإمام عزم على النهوض إلى ابن مهدى إلي رمع فرسم على الحبشة الخروج معه ، وخرج الناس وبقى الإمام عليه السلام ومن الجنبيين والخولانيين قوم أغلق أهل زبيد عليهم الباب فخاطب فى خروجهم فلم يفتح لهم ، وأخذوا خيلهم وسلاحهم وكانوا قد ادخروا من الطعام ما يكفيهم مدة طويلة لأن الناس لما أمنوا بكون الإمام عليه

---

(١) التُرَيْبَةُ بلفظ التصغير ، بلدة شرقى زبيد بمسافة ١٠ كم .
عمارة ، تاريخ اليمن ، ص ١٠٧ حـ ٢ ، المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ١٠٦ .

السلام في زبيد جلبوا الحب من الجبل والبحر وكثر الطام حتى بلغ سعره سعر الجبال [١] . وخرج مع الإمام القائد ريحان موقر جملين مالا ذهبا وفضة فلما [رأى] [٢] الإمام فعل أهل زبيد ولزمهم لبعض أصحابه صار متحيرا لا يدرى أيتوجه إلى ابن مهدى أم يحارب أهل زبيد ، فلم ير لأى الوجهين صوابا ولم ير إلا الإياب . فتقدم إلى أن كان فى بعض الطريق وقد كانت خيل الهمدانيين فاتت وهى سبع من الخيل منها ما قد عقر ومنها ما أخذ فغرمها وغرم لرجل من جنب من آل عايذ فرسا لولده فيمتها ثلثمائة دينار وأعطى أثمان ست ، فلما علم أصحابه بخبر القائد وخروجه بالمال ، اجتمع إليه منهم قوم وقال رجل من آل عايذ يقال له مبارك بن موسى أما أنا فلو حضرت الإمرأتين اللتين أتيا بالمال لافتداء فاتك بن محمد مارجعا به وخطئوا [٣] الإمام فى ذلك وقالوا كنت تأخذ المال وتتم على قتل الرجل فالمال عائد إليك لأنه لبيت مال المسلمين . فقال عليه السلام قد نزّهت نفسى من الطمع عند أهل زبيد وقد كنت قلت لهم إنى لا أسألكم شيئا وتلوت قول الله سبحانه « فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله » [٤] . قالوا له فهذا الذى مع القائد هو لبيت المال وأنت أولى به وقد غرمت سبعا من الخيل وفرقت مالاً كثيرا فخذ هذا المال فقوٍّ به الإسلام ، فقال ما يسعنى عند الله ولا ينبغى لى فى المنعة وقد جورته وماله وقد قال الله تعالى « وإنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ » [٥] . وأنا أعمل

---

(١) أى سعر الحب الذى يباع فى الجبال .
(٢) كلمة ممحاة فى الأصل .
(٣) فى الأصل وخطوا .
(٤) سورة يونس ، آية ٧٢ .
(٥) سورة التوبة ، آية ٦ .

فيه بكتاب الله فمازال مع الإمام عليه السلام إلى أن أبلغه مأمنه .

قال الراوى روى عن المؤيد [١] عليه السلام أنه حارب سلطانا فى الديلم وكان ذلك السلطان حاطا فى موضع وقد ضرب مضربا له ، ثم خف أصحاب السلطان وانهزموا وتركوا المضرب فغلب عليه الإمام المؤيد عليه السلام ، فسبق عليه رجل من أصحابه وفيه فراش له فوجد فيه مالا وهو ثلاثون ألف مثقال فقبضه وأتى به إلى المؤيد عليه السلام فدبر أمره وعلم أن ذلك السلطان كان له زرائع وكان له مراكب فى البحر ، فقال ما يؤمننى أن يكون هذا المال حصل من الحلال فأمر به ورده إلى السلطان ولم يستجزه . وقد فعل الإمام عليه السلام ما هو أعجب من هذا وقد قدمنا ذكره من مال القائد وشدة ورعه عنه وقلة طمعه فيه وفى المال الذى وصلت به الامرأتان . وقد كان يجد فى ذلك الرخصة والجواز ولم يزل ذلك فعله فى هذا ومثله عليه السلام . والحمد لله الذى هدانا به ومنّ علينا بكونه حمدا كثيرا. وقد فعل مثل هذا القاسم حيث وصله مال من المأمون على سبع بغال فرده ولم يقبله وقال فى ذلك :

وقــائـلــة وهـــى لـــوامـــة　　　وفـى عـيـشـهـا لـو درت مـا كـفـى

قال وآب الإمام عليه السلام إلى ذمار سالما غانما. وقد كان قوم من أهل مقرا بموضع يقال له حران على مذهب الباطنية وهم بموضع وعر ، جبال وأشجار وقد أحاطوا بها عليهم وغرسوها شيئا يقال له السحب جنس من العمق [٢] لا يتم

---

(١) أبو الحسين أحمد بن الحسين بن هارون بن الحسين.. بن الحسن بن على بن على بن أبى طالب. دعا إلى نفسه فى سنة ٣٨٠ هـ وهى الخرجة الأولى . وبايعه الجيل والديلم . توفى سنة ٤١١هـ. حميد المحلى ، الحدائق الوردية ، جـ ٢ ص ٦٥ - ٨٣ .

(٢) العِمْقَى بكسر العين ، شجر بالحجاز وتهامة أمر من الحنظل .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة عمق .

لأحد فيه حيلة ، وهم قوم رماة أهل شدة ونجدة وجاه عظيم في بلادهم وأموال . وكان قد خرج إليهم سبأ بن أحمد الصليحي وهو بأشيح فما قدر عليهم ، فلمارجع الإمام عليه السلام من زبيد آذنهم الحرب وقرب منهم إلى موضع يقال له الموفد[1] وفرق كتبا إلى الجنود فقذف الله في قلوب هؤلاء الرعب فانهزموا ليلة وصل إليهم الموفد بنفوسهم . فأمر ولده المطهر بن أحمد وقد كان وصل إليه من وقش مسلما عليه ومهنئاً له بقدومه من زبيد فأمره بخراب حران ، وأحرق دور الباطنية وأسلم دور قوم ليسوا منهم وأنهب أموالهم ، وزاد أمر بخراب قرية لهم أخرى تسمى الحرف [2] ورجع إلى ذمار . وقد كان وَالىَ على أشيح على بن يحيى بن يحيى فوقع في نفس المطهر وجدٌ على أبيه حيث أحق بأشيح غيره ، فاستأذن والده في بناء جبل يقال له ريمه وهو بين قوم جبر من خولان وجنب لم يملكهم أحد ولا أطاق بلادهم سلطان فبناها . وتقدم الإمام إلي ناحية الجوف فلما وصل غيمان من بلاد الأبناء وصله الشريف الأجل جعفر بن على بن جعفر بن القاسم وولده الحسن بن جعفر وأعلماه بما جرى على الشريف القاسم بن جعفر من خراب دربه بعيان وإخراجه منه وإخراج الحرايم نصف النهار بين الجموع من عمرو بن منيع السلماني وبني عمه ومن معه وأخذوا ما كان في الدرب . وكان بين الشريف القاسم بن جعفر وبين الإمام قبل ذلك مباعدة ومضادة فلم يقم الإمام

---

(١) الموفد ، واد في غربي ذمار .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٧ .

(٢) الحرف اسم لعدة مواقع قريبة من ذمار منها قرية الحرف من عزلة مخلاف يعر ناحية ذمار ، قضاء ذمار ، والحرف قرية من عزلة الكعينة ناحية ضوران ، قضاء آنس ، والحرف قرية من عزلة بني الفضل ، ناحية ضوران ،والحرف محلة من قرية كربة عزلة بني الفضل ، ناحية ضوران ، والحرف محلة من قرية البدار من عزلة بني خالد العليا والسفلى ، ناحية ضوران ، والحرف قرية من عزلة خمس الجبال ، والحرف قرية من عزلة خمس الصبح ناحية ضوران .
التوزيع السكاني في محافظة ذمار ، ص ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٧ .

معه إلى أن أتى هذا الشريف وهو من فضلاء آل القاسم وكبرائهم فأجابه الإمام إلى ما سأل وغضب لغضبه ، وتقدم إلى أن وصل بلاد حاشد ولقيه هنالك القاسم بن جعفر وشكى عليه ما لحقه وطلبه النصرة والإنتقام من أهل عيان بما فعلوه معه فأجابه إلى ذلك . وتقدم إلى أن وصل عيان وقد كان اجتمع فى عيان قوم من بكيل من دهمة وسفيان فى كثرة وقوة ، فلما علموا بالإمام عليه السلام ووصوله قال شيخ من دهمة يقال له موسى بن الأحلس إنا حالفون للإمام وكنا ظننا أنه يسره مافعلناه مع قاسم بن جعفر لأنه كان له مخالفا ، فإذا كان ذلك يغمه وقام فيه فإنا لا نقابله بقبيح ففر [1] من الموضع الذى كان فيه وما عاد لتجفاف فرسه وهو فى الدرب ، فلما ولى ابن الأحلس انهزم من كان مع عمرو بن منيع من دهمة وانهزم عمرو وبنو سلمان كلهم وطلعوا جبلا شرقى عيان يقال له أصحر فوقفوا. ووصل الإمام بعساكره ومعه قوم من جنب وهمدان فيهم السلطان الأجل محمد ابن حاتم بن دعفان فى خيل من أصحابه ، ومائة مقاتل من حمير فيهم على بن منصور بن جعفر ومن كان معهم من سائر الأشراف ، فلما توافوا بعيان وكانت فيه زراعة ذرة عظيمة قد قرب حصادها فضرب مضربه عند بركة الضرب وتقدم بمن معه لدرب عمرو بن منيع فخربه وحرقه وخرب القرية وأنهب الزرائع ، وأقام هنالك ثلاثة أيام ثم عاد إلى مسلت وذلك فى أول رمضان سنة أربع وخمسين . وكان نزوله زبيد فى صفر من هذه السنة فأقام بمسلت أياما ونهض إلى الجوف فى نصف رمضان فأقام فيه إلى شوال ، وجمع من بقر الجوف مقدارا من مائتى ضمد [2] يريد أن يرد بها غيل الخارد أعلى من عمران ، وقد كان رحل معه من

---

(١) فى الأصل فو .

(٢) الضَمْدُ : خيار الغنم ورذالها ، صغيرها وكبيرها وصالحها وطالحها ودقيقها وجليلها . والمعنى هنا مائتى رأس متنوعة .

أهل الجوف السلطان ربيع بن جحاف ويحير بن جابر ورجال من نهم ، ثم جمع البدو فحلوا عنده فيهم مرزوق بن يحيى ومحمد بن أرحب فى مائتى بيت والسلطان المؤمل بن جحاف يختلف إليه. فأقام يرد الغيل ببقر الجوف شهرا وبنى حصنا فى الرزم [١] أنفق فيه خمسمائة دينار . وأثار زراعة عظيمة أنفق فيها وفى الغيل والحصن مالا جزيلا قريبا من خمسة آلاف دينار وطعاما كثيرا ثم أقام بعمران إلى شهر ربيع . ووصل الشريف أبو السعود بن حاجب سفيرا لمطهر بن أحمد يعلمه أنه خالف عليه بنو جعفر من أهل مقرا وذلك أنه لما بنى ريمه قبض أهل مقرا قبضا شديدا وشد عليهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وشد عليهم فى الصلاة شدة عظيمة وجلد قوما لم يصلوا حتى قال رجل فى حمض [٢] وقد طهر واستقبل القبلة أصلى للمطهر ، ورفع شرب الخمر . فلما استقر بريمه واتسقت له الأمور سار فى الناس سيرة حسنة وأظهر من الكرم وحسن الأخلاق ما لم يوجد فى مثله من الشرفا [٣] ولا غيرهم ، ووفدت إليه الوفود وأعطى العطايا الجزيلة وقَرى القِرى الجزيل الذى لم يعرف فى وقته إلا عنده وعدمت الكباش فى ناحيته من كثرة القرى فكان يأمر لشرائها إلى ذمار . وتزوج ابنة الشيخ الأجل عمر بن أبى العباس فقام معه ووازره وأعانه على أمره ، فلما جرت الشدة على أهل مقرا ونفذت أحكام الله فيهم اشتوروا وعزمواعلى الخلاف وأمروا بذلك بنى جعفر وهم من أقواهم وأشجعهم وأكثرهم أموالا ولهم

= ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ضمد .

(١) الرِّزم موضع فى سفح جبل يام فى الجنوب الغربى من الجوف ، قرب قرية مجزر .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣١٩ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ٢ ص ٣٦٦ .

(٢) حمض بفتح الحاء والميم ، واد مغيول من وديان ذمار .
الهمدانى ، صفة جزير العرب ، ص ١٢١ ، المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٢٠٣ .

(٣) فى الأصل الشرف .

حصون منيعة ، فامتنعوا فيها عن أداء حقوق الله تعالى وحاربوا المطهر وأصحابه . فكتب إلى والده يعلمه بذلك فلما وصله كتابه نهض من ساعته فوصل بلاد حاشد وقد [كان] [١] حاتم ابن أحمد علم أنه ناهض إلى اليمن فكتب إليه إلى ناعط [٢] يسأله ألا يعوّج [٣] من صنعاء وأن يجعل طريقه عليها فالبلاد بلاده فأنعم له بذلك ، فجمع حاتم همدان وقعدهم على الطرق وأنوى بالإمام الغدر والمكيدة ، وجعل معه عيونا لوقت نهوضه فحدثت بالإمام عليه السلام حمى فكتب كتابا إلي الشريف الأجل على بن مظفر وهو بصنعاء وكتابا إلي حاتم ذكر أنه نالته حمى [٤] وأنه يريد المعاودة إلى الجوف . ثم توجه طريق الجوف فعاودت العيون فأعلموا حاتما بذلك فأمر للهمدانيين وأعلمهم برجوع الإمام إلي الجوف [وبعد أن نزل] [٥] الإمام بموضع يقال له الرجو [٦] عاد إلى بيت الجالد فوقف إلى أن تعشى هو وأصحابه هنالك ونهض هو وجماعة من الشرفاء بنى حمزة وكان معه الشيخ المبارك بن موسى وجابر بن علوان فسرى فى الليل وتقدم طريق الرحبة فسار ليلته إلى أن أصبح عليه فى عضدان [٧] ، وتقدم إلى السر فلما علم

---

(١) مابين الحاصرتين إضافة .

(٢) ناعط قرية أثرية من عزلة خميس القديمى ناحية ريدة . وتقع ما بين : ٤٩ً ٤٦َ ١٥ْ شمالا ، ٤٩ً ٠٧َ ٤٤ْ شرقا .
الهمدانى ، الإكليل ، جـ ٨ ص ٨٢ – ٩٤ ؛ التوزيع السكانى فى محافظة صنعاء ، جـ ٢ ص ٣١٤؛ خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544A1 .

(٣) عاج : مال ، وعاج عليه : انعطف .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة عوج .

(٤) فى الأصل حما .

(٥) مابين الحاصرتين مساحة مطموسة في الأصل .

(٦) الرجو قرية من عزلة الحميس ، ناحية أرحب ، قضاء صنعاء ، على مسافة ٧ كم شرقى ناعط .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، جـ ١ ص ٩٥ ؛ خريطة ج . ع. ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544A1.

(٧) عضدان حصن فى الجنوب الغربى من صنعاء على مسافة ميل واحد . =

به حاتم كتب إليه كتابا يذكر له أنه كان يحب أن يأتى طريقه على صنعاء إلا أنه قد عمل عمل الرجال . وفى مثل هذه المرة وفيها يقول الإمام عليه السلام :

إذا ماخفت فى بلد عدوا فخالف ظنه فى كل فن
وخف من كنت تأمنه احتياطا وظن بمن تعادى شرَّ ظن

ثم تقدم الإمام عليه السلام إلى بلاد الأبناء ومن بلاد نهد ثم مر بوادى [1] عذيقة وتقدم إلي أن وصل مقرا فأتى إلى قوم منهم يقال لهم أهل التبيين [2] فاستنهضهم معه ولم يستنهض أحدا ممن مر عليه من القبائل غير هؤلاء فوصل بهم إلى مقرا .

قال الراوى : سمعت الإمام عليه السلام يقول ماهبت قتالا ولا حربا فى بلد مثل ماهبت قتال بنى جعفر ، قلت له ولم ذاك قال لوجوه منها أنه كان ذلك فى الخريف فخفت أن تعوق الأمطار ، ومنها أن بلادهم وعرة لا معمل فيها للخيل ، ومنها أنهم فى حصون منيعة وأهل مقرا عشرة آلاف وهم منهم ولايؤمن غدرهم وهم من أغدر الناس وأشجعهم وأجهلهم فكان من توفيق الله سبحانه أنه أعان عليهم فلم يقع مطر فى مدة إقامته بمقرا . ثم إن الإمام تقدم إلى نجد الضلع أعلى من مدر وحصون بنى جعفر ووصله ولده المطهر بن أحمد رحمه الله إلى هنالك بقوم من أهل سحاقه وأهل وتيح [3] وخولان وسلم عليه وكبار أصحابه ثم

= الهمدانى ، الإكليل ، جـ ٨ ص ٣٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ص ١٢٩ .

(١) فى الأصل واداى .

(٢) الكلمة فى الأصل غير منقوطة ، ولا تقرأ إلا بهذا الشكل .

(٣) وتيح بفتح الواو وكسر التاء وتسكين الياء ، جبل فيه قرى ومزارع غربى مدينة ذمار . ووتيح قرية من عزلة بنى عفير وتيح ناحية مغرب عنس قضاء ذمار .

الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢١ ، ح ٦ نفس الصفحة ، التوزيع السكانى في محافظة ذمار ، ص ١٥٥ .

جلس وجلس الناس فى حلقة كبيرة ، فبيناهم كذلك إذا أقبل بنو جعفر أربعين رجلا فى لباس وزى حسن وسلاح فسلموا من أقصى الحلقة وجلسوا ولم يستصحبوا أحدا لكبر نفوسهم عندهم . ولما قد عرفوه من باطن أهل مقرا أنهم منهم فقام شاعر من الحلقة فاستقبلهم بوجهه وولى الإمام قفاه وأنشد شعرا يمدحهم فيه ، فغاظ ذلك الإمام عليه السلام فقال للناس ارجموه فهب الناس ليرجموه وظن المبعد منهم أن الإمام قال ارجموهم فقام الناس كلهم فرجموا بنى جعفر وحملوا فأخذوا سلاحهم وثيابهم وأسلموهم من القتل ، فما زالوا يهربون وهم عراة إلى أن وصلوا أول حصونهم فقالوا لهم ما وراءكم فقالوا اهربوا فهربوا معهم ، ثم زادوا مروا بحصن آخر ففعلوا كذلك ثم وقع الرعب فى أهل الحصون فانهزموا من حصونهم وقراهم من كل جهة حتى أقاموا يطلبون أولادهم وحريمهم فى الجبال يومين ، ومنهم من لم يوجد لثلاثة أيام . ثم تقدم الإمام عليه السلام إلى مدر وأمر بخراب ثلاثة حصون لهم وخراب دار فى موضع يسمى الصفيف من دور بنى الصليحى وقرى غير ذلك ثم إنهم تودوا إلي الإمام بألفى دينار . وتقدم إلى ريمه وسأل ولده المطهر النهوض معه إلى الجوف فاستنظره إلى بعد صريم الذرة فأنظره . ووقف فى البلاد ثم تقدم إلى الحياف [١] فأقام به أياما وفى بشار [٢] أياما وأتى ذمار فى آخر شعبان فحلف عليه أهل ذمار وسألوه الإقامة عندهم شهر رمضان والتفرغ لعبادة الله تعالى فيه عندهم فأنعم لهم بذلك . فخرج من مشايخهم أهل الدين والطهارة واليسار ثلاثون رجلا

---

(١) الحياف ، محلة من قرية بنى قطنة ، عزلة توبان ، ناحية الحداء ، قضاء ذمار .
التوزيع السكانى فى محافظة ذمار ، ص ٤٧ .

(٢) بشار بكسر الباء ، قرية من عزلة الميثال ، ناحية الحدا ، قضاء ذمار .
التوزيع السكانى فى محافظة ذمار ، ص ٤٤ .

فاحتمل كل رجل منهم بمقامه عنده ليلة وجميع من معه ، فلما كان أول يوم من رمضان أتاه رجل من أهل حجبان يقال له أسعد بن عبد الله وذكر أن أهل الجبجب [١] موضع إبراهيم الحجلم خالفوا فى حصن فوق حجبان يقال له الجاهلى [٢] سروا من الجبجب فى ستين رجلا فلزموه في الليل وصعقوا من رأسه وشتموا أهل حجبان وتوعدوهم ، ففزع أهل حجبان وطلعوا عليهم فأخذوا سلاح بعضهم وجوروهم وأنزلوهم منه . وذلك أنه كان على بن يحيى من قبلهم وقد عزموا على الخلاف فى أشيح والجاهلى وهم قوم مطرفية مخالفون لجميع البرية ، ومن بوائقهم أنهم يقولون ما يسمع الكلام ولاترى الألوان ومانزل القرآن ومابقى لله صنع ولا لحى قادر من خلقه . لأنهم يقولون كون العرض فناؤه ووجوده عدمه وأفعال الخلق أعراض فمنها ما هو الفعل منهم ونسبوا الأفعال إلى الجمادات . وكان القوم يخفون هذا المعتقد فلما عزموا على الخلاف أظهروه فتقدم الإمام عليه السلام أول يوم من رمضان فأمسى بحجبان وأمر بعمارة الجاهلى ، وتقدم [إلى] [٣] ألهان وأراد دخول أشيح فأغلق بابه دونه وباب المنظر ، وكان فيه رجل من بنى مطر من خولان وفى أشيخ رجل يقال له حسن بن مختار فامتنع عليه . فأمر الإمام بحرب المنظر فحورب ثلاثة أيام وأنزل الخولانى منه ومن معه وغلب عليه الإمام وولى فيه رجلا من ألهان ، وزاد حاصر على بن يحيى فى حصن حدون ستة أيام ثم أنزله منه وطلعه الإمام فولى فيه واليا . وكان يريد

---

(١) الجبجب ، قرية من عزلة مخلاف ضوران ناحية ضوران ، قضاء آنس .
التوزيع السكانى فى محافظة ذمار ، ص ٣٦ .

(٢) الجاهلى قرية من عزلة مخلاف ضوران ناحية ضوران قضاء آنس .
التوزيع السكانى فى محافظة ذمار ، ص ٣٦ .

(٣) مابين الحاصرتين إضافة .

حصار أشيح فوصله كتاب من زيد بن عمرو وعبد الله بن يحيى يذكران له أمر اليمن والخروج إليه ، وقد كان سألهما ذلك وقالا إنا قد نهضنا فلاتتخلف عنا ولا تزد تتمنى علينا اليمن بعدها . وكان في مخلاف جعفر ؛ ذى جبلة ونواحيها مناكير كثيرة وكفر ظاهر ، فترك الإمام حصار أشيح وتقدم فوجد القوم قد نزلوا السحول [١] ، فلما وصل إليهم اضطرب اليمن وقد كان قبل وصول الإمام خاطبهم عمران بن محمد بن سبأ على دفع أربعة آلاف يصلحهم بها ويعودون . فلما وصل الإمام لم يقبلوها واشتد أمرهم وعظمت هيبتهم وتودى أهل إب وصالحوا. وكان أهل ذى جبلة قد هربوا منها فأراد الإمام خرابها ، فقال زيد إنا قد وُعدنا فيها بثلاثة آلاف دينار ونحن نريدها لشيوخ العرب . فقال رجل من جنب للإمام إن الناس يريدون يحلبون وأنت تريد تذبح فلم يساعدوه على خرابها، ثم إن ابن سبأ أخرج الأموال وطلب الدياوين [٢] قريبا في ذى جبلة ألفين وخمسمائة رجل وفى حصن حب [٣] خمسمائة رجل وفى حصن التعكر [٤] ألفا وفي نقيل البردان ألفا فلما لم يحصل لجنب شيء من أهل ذى جبلة رجعوا

---

(١) السحول ، عزلة بناحية المخادر ، قضاء المخادر محافظة إب .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ص ٤٦ ؛ التوزيع السكانى في محافظة إب ، جـ ١ ص ٥١ - ٥٤ .

(٢) الدياوين : الدواوين .
بن منظور ، لسان العرب ، مادة : دون .

(٣) حب بفتح الحاء وتشديد الباء حصن على ارتفاع ٣٥٠٠ متر ، أقيم في سرة جبل بعدان من أعمال إب .
السياغى ، معالم الآثار ، ص ١٠٤ ؛ محمد الأكوع ، اليمن الخضراء ، ص ٤٤ .

(٤) التعكر بفتح التاء المثناه وسكون العين وفتح الكاف ثم راء مهملة ، حصن مطل على مدينة ذى جبلة في الجنوب الغربى من إب
ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ص ١٦٩ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ص ٣٦ - ٣٧

يحاربونها فخربوا قرية فى ثقيفها يقال لها الدمنة وأقام الإمام عليه السلام شهرين هو والعسكر وهم ثلاثة آلاف فارس ورجل لايعتد، وأخذوا زرائع المخلاف وأخربوا قراه ومنازله ثم إن الجنبيين قد [١] طمعوا فدفع خمسة وعشرين [٢] ألفا وكسا كثيرة فقبلوها وأوثقوا عليها . فلما علم الإمام بذلك أراد أن ينهض وقال قد هاهنا بيع وشراء وأنا لا أقف لذلك ، وكان إذا نهض عائدا نهض معه من شيعته المذحجيين مائتا فارس ورجل كثير ، وكان إذا سمع أهل اليمن بنهوضه لايعطون جنبا شيئا. فلما علم الجنبيون بنهوضه وأنه عازم عليه هجموا عليه وسألوه التأنى عليهم وقالوا لا تحرمنا أخذ أموال الظلمة فنحن لك جند فتألفنا بها فإنا لا نعده إلا منك . فوقف ينفق على أصحابه من جنب إلي أن وصل المال ، وصل به حاتم ابن على إلى مسجد الحرة تحت ذى جبلة فلما علم الإمام أن جنبا قد قبضوا المال نهض ولم يعودوا إلى المحطة بالمال . وتقدم الإمام على حاشد إلى أن وصل تحت ريمه وبلغه أن أن مقرا قد اجتمعوا وحطوا على ريمه محاصرين لولده المطهر فى قدر سبعة آلاف ، فأمر قوما كانوا معه رماة إلى ولده المطهر فوصلوا إليه ونزلوا لأهل قرية يقال لها الموقعة [٣] وكانوا من أضر من خالف فقتلوا منهم خمسة رجال . فلما بلغ الإمام بيت نصر [٤] أمر لمشايخ من أهل مقرا وقال لهم ما الذى حملكم على ما أنتم فيه ، إن كنتم كرهتم المطهر فى بلادكم فاعطوه ما

---

(١) فى الأصل حو .

(٢) فى الأصل وعشرون .

(٣) الموقعة ، قرية من عزلة موشك ، ناحية مغرب عنس ، قضاء ذمار .
التوزيع السكاني في محافظة ذمار ، ص ١٥٨ .

(٤) بيت نصر ، عزلة من ناحية مغرب عنس ، قضاء ذمار .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ن جـ ٤ ص ٧٤٢ ؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٦٩٩؛
التوزيع السكانى فى محافظة ذمار ، ص ١٥٦ .

كان قد أنفق في هذا الحصن وأنا لا أعذره من الإياب معي إلى بلادنا فلوكنا نريد سوءً[1] لجمعنا أهل المغرب وأهل المشرق عليكم ، ولو كان لنا في البلاد رغبة لكان[2] غيركم أحق بالحرب منكم ، فدفعوا ألفي دينار في عمارة المطهر ، فكتب إليه والده يخبره بما صنع فقال أما أنا فلا أرغب في ذلك ولكني لا أعصي والدي ومعصية الوالد والإمام لا تجوز وهو إمامي ووالدي ، فلما لم يعذره والده من ذلك عمد إلي الحصن فخربه وباع الطعام ونزل ، فلما وصله قرت عينه به وحمد الله على ذلك وعلى سلامته .

قال : فلما صالح الإمام أهل مقرا ودفعوا ألفي دينار وكان باسم المطهر وسببه فلم يطمع في شيء منها وأعطاها والده ينفقها في سبيل الله . حدثني الإمام عليه السلام عنه أنه كان يعطيه شيئا يفرقه على الجنبيين أزوادا لهم وجرايا ولغيرهم فكان ما أخذ منه كَتَبَه وما أخرج كتبه ثم إذا كان منه استوقف أباه فحاسبه فلم يغادر شيئا مما يأخذه منه ، فيثني عليه والده عليه السلام ويقول يا بني لست تحتاج إلى كل هذا الحساب لأني لا أعتقد فيك إلا الخير . ثم نهض الإمام ونهض معه قوم من الجنبيين وكان معه السعر بن أبي الليل وأخوه الدحمس ، وتقدم إلى غيمان فلقيه حاتم بن أحمد إلى هنالك فجدد عليه العقود وأكد الأيمان والعهود وتقدم أسفل الرحبة إلى أن بلغ التو[3] من بلاد عذر وهو ينفق ما يقع في يده .

---

(١) في الأصل سواء .
(٢) في الأصل لكن .
(٣) التو بتشديد التاء ، قرية من أرض عذر الصفا من مشرق حاشد ، بالقرب من مطرة .
مسلم الحجي ، أخبار الأيئمة ، جـ ٤ ص ٢١ ، ١٧٣ ، أبو فراس بن دعثم ، السيرة المنصورية ، جـ ١ ص ٨٤ .

قال الراوى : حدثنى من أثق به أن الإمام عليه السلام وهب فى ساعة واحدة فى التو ثلثمائة دينار وتقدم الجوف هو وولده المطهر ومر بزراعته بعمران ومنها ما قد صرم ومنها ما لم يصرم وكانت زراعتها الباقية بُر وكمون وقضب فتركه ولم يدر من صرم باقيه . وتقدم إلى الحقل وقد كانت حدثت حرب بين الشرفاء بنى الهادى إلى الحق عليه السلام وبين أهل صعدة وغلب أهل صعدة على السوق، وقد كان الإمام عليه السلام تقدم قبل ذلك فى بناء سوق الجبجب قبل خروجه إلى صنعاء فى المخرج الأول سنة خمس وأربعين وأعانه عليه حى إسماعيل وعبد الله ابنا إبراهيم النصرى ومحمد بن على السارى رحمهم الله ، فلما وصله الإمام إلى أسل لقيه الشرفاء والربيعة إلى هنالك فحلفت له الربيعة وجددوا العقود وأمروا برد السوق وتحويله من صعدة إلى عنده . وكان وصوله يوم الخميس فأصبح الناس فتسوقوا يوم الجمعة وجاء وا من كل ناحية وكان ذلك فى ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة فثبت السوق وكمل ترتيبه وأموره كلها واتسقت أحواله . ووقع الحصار على صعدة وقد كان قبل هذه المدة قد نزل حسين وجعفر ابنا الشمرى إلى تهامة ووصلا الساعد [1] إلى الوهاس بن غانم فخوفاه بابن مهدى وأشارا عليه بدفع شىء من ماله معهما فأعطاهما مالا كثيرا، فلما صار معهما أمرا إلى على بن مهدى رجلا من أصحابها يحضه على الخروج لوهاس ، وقد قدَّما الحديث مع مشايخ الحكميين [2] مثل أبى بكر وعلى بن عمرو فأرسل الحكميون إلى ابن مهدى ووعدوه أنهم منه وإليه وكان بينه وبين وهاس

---

(١) الساعد من أرض حكم بن سعد بتهامة ما بين جيزان وتعشر .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٩٧ ، عمارة ، تاريخ اليمن ، ص ٧٢ .

(٢) بنو حكم ، الحكم بن سعد العشيرة ، من بطون مذحج ، لهم مواطن بالمخلاف السليمانى .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٤٨ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ص ٢٧٩ .

ذمة فكان آمنا له ، وبنو سليمان غافلون فى أوديتهم آمنون من جانبه . فعند ذلك أنهض ابن مهدى عسكرا كثيرا وقدم عليه أحمد بن على الحرامى ورؤساء من الحكميين فأتوا وهاس بغتة على غرة وليس معه غير عبيده وأهل المدينة وليس معه حصن ولا له مفزع فوقعوا فى أهل الساعد فقتلوهم ، وقاتل وهاس وولده إلي أن قتلا وهرب أكثر عبيده عنه . فلما بلغ الإمام عليه السلام ذلك غمه غما شديدا وأكثر غمه لسبى الحرائم وقال لا رحم الله وهاسا لقد كان لنا غما وعارا فى حياته ومماته ، ثم كتب إلى الأمير القاسم بن غانم يعزيه فى أخيه ويؤنبه وكافة بنى هاشم فيما جرى عليهم وكتب شعرا يقول فيه :

هو الدهر يرضى أهله ثم يغضب ... ويبنى لهم حينا وحينا يخرب

ويرفعهم حينا ويخفض مرة ... ويعطى ويستعطى ويكسو ويسلب

وما مسلك إلا له فيه مسلك ... ولا مذهب إلا له فيه مذهب

وما صح فعل منه حتى يتمه ... ولكنه دأباً كذا يتقلب

إذا جاء يوما حكمه بعجيبة ... أتى بعدها منه الذى هو أعجب

كفعل ابن مهدىٍّ اللعين وحزبه ... وهم ثلة ترعى المواشى وتحلب

وما أظهروا من منكر في تهامة ... وخطب جسيم صدْعُهُ ليس يشعب

وقد كانت الأحبوش فيها أعزة ... ملوكا لهم أمر ونهى ومرحب

وكان لهم بحر وبر ومشرق ... يمدهمُ بالمال دأبا ومغرب

فأخرجتهم من أرضهم وبلادهم ... وقد عجزت عنهم نزار ويعرب

وما كان هذا باقتدار وقوة ... وهم عصبة تجنى وتشرى وتوهب

ولكن أخافوا الناس حتى تمكنوا ... بقتل اليتامي والنسا ثم أرعبوا

وصالوا على الوهاس غدرا وبينه ... وبينهم عقد ولم يتطيبوا

وألفوه فى قوم قليل وقومه ... كثير وهم فى أرضهم عنه غيب

فآبوا بما يحويه وهو مجدل ... معا وابنه أوداجه تتسخب

فيا غاديا أبلغ بني حسن معا ... سلاما كنشر المسك بل هو أطيب

وخص به أبناء سليمان عن يد ... وقل لم تقن الخيل يوما وتركب

وخص الأمير الأوحد القرم قاسما ... بأزكى سلام وهو من ذاك أعذب

وعزٍّ له في صنوه ومصابه ... وقل إنني والله في ذاك مغضب

وإني مذ جاءت نعاة ابن غانم ... أبيت وفي الأحشاء نار تلهب

وما تم لي نوم كما كان آنفا ... ولا طاب لي عيش ولا لذ مشرب

فقل لرجال خاذلين لقاسم ... من أبناء سليمان ومن يتغيب

ألم تعلموا ما كان في قتل واحد ... أبيدت سراة الناس بكر وتغلب

ولما أريد الصلح قال وليه ... تردونه حيا وذلك يصعب

وإن سليمانا أبٌ لكمُ معا ... ولو لم يكن يا قوم يجمعكم أب

ولوكان وهاس لكم غير منصف ... فما عاده عنا وعنكم يجنّب

وأبلغ بني موسى معا وأميرهم ... أخا المجد عيسى والأقارب تُندب

وأبناء حسين قاسما وقبيله ... ومن لهم أصل شريف ومنصب

ومن في يمانيٍّ البلاد وغربها ... منَ آل على الغر حيث تشعبوا

وأبلغ بنى إدريس في الغرب ماجرى ... وإن بعدوا عنا هناك وغربوا

ومن حوت الصفراء منهم وينبع ... ومكة من آل الرسول ويثرب

سلامي وإلمامي وأبناء جعفر ... وقل مثلكم ياقَوم بالثار يطلب

كما طلبت قحطان يوما بثأرها من ... أهل زبيد حين ضيموا وأغضبوا

فعادوا بامرأة الصليحيِّ بعدما ... أباحوا حمى الأحبوش حين تغلبوا

وقل يا بنى الزهراء إن حريمكم يعذب ... في أرض الحصيب [1] ويضرب

فيال على دعوة يال جعفر ... ألم تنكفوا من ذا الفعال وتغضبوا

---

(١) الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد وسكون الياء اسم لمدينة زبيد الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ص ٢٦٢ .

وإنـي بـعـون الـلـه فـي ذاك قـائـم ... ولا أنـثـنـي عـنـه ولا أتـهـيـب

وقد عـاقـنـي حـرب لـسـكـان صـعـدة ... وذو الـلـب يـبـدو بـالـذي هـو أقـرب

هـمُ قـتـلـوا آل الـنـبـي وعـنـدهـم ... ودائـع وهــاس ولـم تـك تـنـهـب

وكـانـوا نـعـاجـا قـبـل ذا فـتـذيـبـوا ... ومـن عـجـب الـدنـيـا نـعـاج تـذيـب

وإنـي أوطـيـهـم وأقـبـل نـحـوهـم ... لحـرب أنـاس حـربـهـم لـيـس يـصـعـب

بـعـون إلـهـي ذي الجـلال ونـصـره ... فـلـي مـنـه نـصـر فـي الـزمـان مـجـرب

فقوموا جميعا يابني العم واصبروا ... ولا تـغـفـلـوا عـمـا جـرى وتـأهـبـوا

وصـلـى عـلـى خـيـر الـبـريـة ربـنـا ... وعـتـرتـه مـالاح فـي الأفـق كـوكـب

قال : ثم أقام الإمام عليه السلام بعد ذلك محاربا لأهل صعدة وحاصرا لهم ، ثم إنه طلع بلاد خولان ثم جرت فتنة على صعدة فقتل فيها رجل من أهل صعدة وهو جار لبني مالك فغضبوا فيه وركزوا على الجبجب والإمام غائب ، وأثبت في المركز [بنو] (١) شريف . وأتى طريق الغور فلقي عسرا في مسيره على قوم من تهامة شيخان لم يعرفوه ولم يعرفهم فما تخلص من بينهم إلا بالقهر مرارا . فلما وصل راحة وأقام بها مدة قريبا من شهر وكان الناس في حطمة شديدة وجوع وعسر فعاد من هنالك في أول شهر رمضان وأقام بعد ذلك مدة ، فلما كان في مدخل سنة ست وخمسين وهو ببلاد بني بحر وصل إليه ولده المطهر بن أحمد من الحقل واستأذنه في التقدم إلى الأمير القاسم بن غانم وكانت بينه وبين بني سليمان خلفه وقلة مساعدة منهم له ، وأراد المطهر أن يصلح بينهم فأذن له الإمام عليه السلام فتقدم إلى أن أمسى بالصيابة ثم تقدم فأمسى عند السلطان ابن بركة بن عمارة السليماني ثم تقدم إلى أن وصل إلى الأمير الأجل القاسم بن

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة .

غانم . وقد كان لقيه فى طريقه الشريف عطية بن عطا فى مائة فارس وخمسمائة راجل فتقدم معه إلى أن وصلوا الأمير فلقيهم فى خيل كثيرة ورجل وعنده الشريف الأجل أبو الفضائل بن على بن إدريس وموضعه يومئذ بالبردة [١] فسلم عليه المطهر بن أحمد وأصحابه وأهدى له حصانين قد كان أعدهما له وحلف من المكافأة فيهما ، فرحب به الأمير وقربه وأكرمه وحباه وفرح بوصوله إليه ، فلم يزل المطهر بن أحمد رحمه الله حتى أصلح بينهم وأثبت أحوالهم وحلفهم للأمير القاسم بن غانم وجمعهم فى موضع يقال له محل أبى تراب قريب من البردة ، واتجه به هنالك قوم حجاج من أهل صنعاء فيهم سبأ بن أحمد بن زرنون ويوسف بن محمد وهما من أحباب الإمام عليه السلام وخواصه . وقد كان الأمير قاسم أراد الإساءة إليهم ، فلما قابلهما المطهر وعرفهما سأل الأمير فيهما وفيمن معهما فأمنهم ولم يأخذ منهم شيئا ، فحسب [٢] الحاج المطهر بن أحمد وسألوه الرفاقة لهم فى طريقهم إلى صعدة فأنعم لهم بذلك ، وتقدم بهم إلى الحقو [٣] فلحقه إلى هنالك الشريف الأجل كليب بن موسى ومعه حاج من أهل صعدة فسأله الرفاقة لهم والصحابة من نفسه ومن غيره فرحب بهم وأنعم لهم وسار بهم وهو يتخطى القبائل ويجاوزهم بهم . فلما وصل وادى حمر وقد كان الإمام عليه السلام أذن للناس وفسح لهم فى نهب أهل صعدة فلما وصل بهم المطهر إلى هنالك عدا عليهم أهل الوادى ولم يعلموا بكون المطهر معهم ولا عرفوه وذلك فى

---

(١) يتضح من النص بعد ذلك أن البردة وأبى تراب مواضع على وادى بيش .

(٢) الحسب : الفعال ، مثل الشجاعة والجود ، وحسن الخلق والوفاء .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : حسب .

(٣) الحقو إلى الشمال من وادى قرى أحد روافد وادى بيش .
البلادى ، بين مكة واليمن ، ص ٢٤٧ ، ٢٥٧ .

الليل فأخذوا لهم جملين ، فلما تعرف لهم المطهر كفوا أيديهم عن النهب وردوا ما أخذوا لهم إلا ما لا خطر له مما غبى آخذه . ثم تقدم بهم إلى أن وصل إلى الإمام عليه السلام وهو بيسنم [١] فسلم عليه وأعلمه بخبره بما كان فى سفره وأحواله، ثم تقدم بهم إلى الجبجب وأوصل أهل صعدة إلى صعدة وعاد إلى موضعه فقرى من كان من الحاج هنالك وأكرمهم ، ثم إنهم لم يعذروه من التقدم معهم إلى صنعاء وقالوا له إنك قد أخرجتنا من بيش [٢] وأنقذتنا من الهلكة إلي أن أوصلتنا إلى موضعك ونحن لا نعذرك من التقدم معنا إلي صنعاء ، فرحب بهم وأنعم لهم فى ذلك وأجابهم إليه ، وقد كان فى غرضه أن يستنهض خيلا من همدان صنعاء للحقل وأهله .

ذكر نهوض المطهر إلى صنعاء ومقامه بها والمخرج إلى بنى مالك :

فتقدم وتقدم معه الشريف الأجل القاضى محمد بن الحسين بن يحيى والشريف الأجل الحسين بن جعفر بن المطهر وابنا عمه جعفر والمطهر ابنا محمد بن المطهر وأشراف من بنى القاسم والشيخ الأجل أحمد بن الحسين بن أحمد الضراب وغيرهم من خواصه وأصحابه وشيعته ، وتقدم إلى أن وصل الظاهر وضرب لقاء لجميع وادعة وبنى صريم والأشراف إلى بهمان [٣] فاجتمع من الناس بشر كثير ، وشرح عليهم التأهب للخروج إلى الإمام عليه السلام إلى

---

(١) فى الأصل يتبسم .

(٢) بيش ، واد يصب فى البحر الأحمر من جهة تهامة عسير فى شمال صبيا .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ص ١٣٣ .

(٣) قاع بهمان يقع إلى الجنوب من مدينة حوث فى ظاهر همدان .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢١ ، ح ٦ نفس الصفحة ، أبو فراس بن دعثم ، السيرة المنصورية ، جـ ٢ ص ٥٠ .

الحقل فأجابوه إلى ذلك فواعدهم لقدومه من صنعاء . ثم تقدم إلى السلطان الأجل محمد بن حاتم بن دعفان إلى بيت مساك [١] فأمسى هنالك وقد ابتدأه المرض من يومه ذلك ، فلما كان من الغد نهض وهو مريض لا يستمسك على الفرس فركب محملا وتقدم إلى أن قرب من صنعاء ، وقد علم بقدومه السلطان على بن حاتم ابن أحمد فخرج في لقائه ومعه كافة همدان فلقوه إلى موضع يقال له جراف المعر [٢] دون صنعاء ، فتجلد على مابه من المرض وركب فرسه فى لقائهم فسلم عليه السلطان وهمدان وأهل صنعاء وفرحوا به وبوصوله ورحبوا به، وتقدموا بين يديه إلى أن دخل صنعاء فى خلق كبير فنزل فى دار الشيخ الأجل منصور بن عواض بن شرع الضراب فأقام عنده أياما واشتد به الوجع وعظم عليه .

قال : وقد كان الإمام عليه السلام فى إقامته في بلاد خولان قد استدعاهم للخروج معه إلى الحقل فأجابوه . وخرج معه بنو جماعة وبنو بحر فى تراس كثيرة وقياس فوصل بهم الجبجب فى أول شهر جمادى الأولى سنة ست وخمسين فأقام بهم هنالك يومين ثم نهض إلى البطنة لبنى مالك فحط فى جبل فى وسط بلادهم يقال له كيفا ، واجتمعت بنو مالك ومعهم قوم من أهل صعدة فى

---

(١) مساك هى ساك ، قرية من عزلة خميس أبو نبية ناحية خارف ، قضاء خمر ، على بعد ثمانية كيلو مترات شرقى ريدة وتقع ما بين :
٤٠ً ٤٨َ ١٥ْ شمالا ، ١٠ً ٠٧َ ٤٤ْ شرقا .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٥٨ ،التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥ ؛ خريطة ج . ع . ى، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544A1 .

(٢) الجراف قرية من بني الحارث على مقربة من صنعاء من الناحية الشمالية ، وهى الآن أحد احياء مدينة صنعاء .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٦١ – ٣٦٢ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ١ ص ١٨٢ ، التعداد السكاني التعاونى لمدينة صنعاء ، حـ ١ ص ٢٤ .

القهرة [١] وفي الشط درب لمحمد بن الحسن بن قيس ، وقد كان محمد بن الحسن هذا سار بغير سيرة أبيه وصار أكبر المخالفين . فلما صار الإمام بعسكره في جبل كيفا ووقع بين الناس قتال وطراد خيل ثم تلاحم القتال ، وكانت خيل بني مالك مائة فارس معدة وقياس تقارب الألف وتراس قريب من ثلثمائة ، وكانت خيل بني الهادى قليلا مقدار عشرين فارسا فكفوا طراد الخيل وكان الإمام لم يأمر بقتال بعد ، فكان أكثر أصحابه وقوفا في الجبل وهو يريد يعبئ الناس للقتال من الغد فأراد الله سبحانه تعجيل النصر فأرسل ريحا من المغرب سوداء تحثو بالتراب والبطحاء [٢] ما رأى الناس أشد منها ، فانهزمت بنو مالك أقبح هزيمة . ولقد كان القوم ينهزمون إلى دربهم فإذا وصلوه أخذوا عنه يمينا وشمالا ولم يدخلوه ويريدون ينهزمون إلى درب آخر، فيأتون وقد انهزم أهله فيفعلون كذلك إلى أن عطلوا مقدار عشرين دربا ، فدخلت الدروب وأخذ ما فيها وحرق طعام كثير وغير ذلك . فلما رأى الأمام ما قد لحق ببني مالك من الذل والصغار وكشف الحريم وانتهاب الأموال لحقته الرحمة والرأفة عليهم فأمر من يكف الناس عن الخراب والنهب فتثاقل عليه الناس ، فركب فرسه وأمر بضرب الريح ونهض راجعا إلى الجبجب . فلما علم العسكر بنهوضه لحقوه وهو موقف لهم فوق القهرة عن موضع يقال له المسليح [٣] إلى أن تلاحقوا وساروا معه إلى أن وصل الجبجب مؤيدا منصورا مظفرا محبورا، فبات العسكر هنالك ثم فسح لهم فآب كلٌ إلى موضعه . وكانت امرأته الشريفة الفاضلة أم المطهر الأكبر ابنة

---

(١) القهرة قرية من عزلة الطويلة من بلاد سحار .
التوزيع السكاني في محافظة صعدة ، ص ٨٨ .

(٢) البطحاء : الحصى الصغار .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : بطح .

(٣) المواقع المذكورة من بلد بني مالك تقع في ناحية سحار .

سبأ بن أحمد بن جعفر مريضة فتوفيت في تلك الأيام رحمها الله فأقام الإمام أياما في شأن العزاء ، ثم طلع يريد المغرب فبات [في] [١] بلد الربيعة ، فأتاه العلم هنالك بوفاة حي [٢] ولده المطهر رحمة الله عليه بصنعاء وذلك أنه أقام مريضا أربعة عشر يوما وتوفي يوم الخميس في شهر جمادى الأولى سنة ست وخمسين فاغتم عليه الناس كلهم المؤالف والمخالف غما شديدا لما كان فيه من حسن الأخلاق والكرم والمروءة والهمة السنية وما لم تجتمع تلك الخلال إلا فيه . فخرج السلطان الأجل علي بن حاتم وكافة همدان وأهل صنعاء والشريف الأجل محمد بن عبد الله العفيف والقاضي الأجل جعفر ابن أحمد بن أبي يحيى ، ومن حضر من بني شهاب وسنحان والأبناء وكثير من الناس فطلب الشريف العفيف أن يحمله إلى سناع ويقبره هنالك ، وطلب أهل صنعاء أن يقبر عندهم ، فغلب على ذلك السلطان الأجل علي بن حاتم وقبره بالمنظر بين قبور أهله وأراد بذلك ليكون لهم جارا من الإمام عليه السلام وبات عافية [٣] منه . وفي ذلك قال بعد مدة في أبيات له بعد وفاة أخيه محمد بن حاتم :

وهون وجدي أن صنوي ووالدي ‍ ‍ ‍ ‍ وجدي حلول في جوار المطهر

قال : فلما أخرجت جنازة المطهر رحمه الله وحمل إلى المنظر ، قام القاضي الأجل جعفر بن أحمد بن أبي يحيى فخطب ووعظ وذكر ورغب ، وقام فصلى بالناس عليه الشريف الأجل محمد بن الحسن ، ثم حمل إلى قبره ودفن رحمة الله عليه ، وقام الشريف الأجل محمد بن الحسن فتكلم مع السلطان الأجل ومن

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة

(٢) حَيُّ فلان : فلان نفسه .

ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : حيا .

(٣) كذا في الأصل والعافية دفاع الله تعالى عن العبد .

ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : عفا .

حضر من القبائل وقال إنكم غير جاهلين لما عقدتموه لحى [١] مولانا المطهر رحمه الله من الخروج والنهوض إلى الإمام عليه السلام ، وقد جرى عليه ما جرى والحمد لله على قضائه وقد أردنا منكم التمام بما عقدتموه من الكلام والنهوض إلى الإمام عليه السلام . فأجابه الكل منهم بالسمع والطاعة والإجابة وقالوا الكل غير مختلف عن الوصول إلى الإمام والدخول تحت أمره وصدرت مكاتبتهم بذلك وبالتعزية ومكاتبات أهل اليمن ، وصدر من السلطان الأجل على بن حاتم في مكاتبته شعر يقول فيه :

ألا ليت مولانا المطهر إذ ثوى ... بصنعاء مارمت إليها ركائبه
ويا ليته لما تودع أهله ... بصعدة قد سدت عليه مذاهبه
ويا ليت أبناء حاتم يوم موته ... فدته وما قامت عليه نوادبه
وليت علىُّ الألعرى [٢] بن حاتم ... فداه بعينيه وما هو كاسبه
تكورت الشمس المنيرة واغتدى ... إليها كليل لاح فيه كواكبه
ورجت أزال والمخاليف حولها ... وهد من الدرب المنيع جوانبه
فيا يومه والله ما يوم حاتم ... أبينا يدانى يومه ويقاربه
فضاقت علينا الأرض والله والسما ... وقد سهدت إخوانه وأصحابه
يقل له خرم الأنوف وجدعها ... ولو قطعت من كل كف رواجبه
وعُقِّرَت الخيل الجياد وحطمت ... رماح ومن بيض الحديد قواضبه
وجزت شعور المحصنات وسودت ... وجوه وقامت صارخات نوادبه
ولكن سلكنا فيه سيرة أهله ... وما فعلت أشياعه وأقاربه
فيابن أمير المؤمنين ومن له ... سوابق مجد ليس تحصى مناقبه

(١) حى فلان : أى فى حياته .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : حيا .
(٢) العُرَى : سادات الناس .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : عرا .

غزتنا صروف الدهر بابنك إذ ثوى ... لَدَيْنَا ليلٌ حطت علينا نوائبه

ودارت على همدان يوم مصابه ... لعظم مصاب إبن الإمام مصائبه

فياموت لم لم تفدناه بنصفنا ... ويسلم مولانا الذى أنت طالبه

ألا لا يُسَرُّ الشامتون بما جرى ... علينا فإن الدهر جمٌ عجائبه

فعز أمير المؤمنين وقل له ... لقد نابنا والله ما هو نائبه

فصبرك فات الصبر منا فهب لنا ... من الصبر مهما أنت للجود واهبه

أبا حسن إن لك اليوم طاعة ... وجرِّب فما للمرء إلا تجاربه

نوالى مواليك الولى وإننا ... نحارب فى أيامنا من تحاربه

وإن تبغ من همدان جيشا ونصرة ... تزرك على بعد المزار ركائبه

وصدر مع هذا الشعر كتاب الشريف الأجل محمد بن الحسن وشعر يقول فيه :

ألا مبلغ أهلى ودارى وإخوتى ... نجوم بنى الهادى الأباة الضراغم

وأحمد مولانا الإمام الذى له ... محل على برج السها والنعايم

بأنا خرجنا بالمطهر بيننا ... كبدر تجلى من متون الغمائم

فلما وصلنا ريدة نوهت به شكاويه [1] ... فى مهوى من الموت حاجم

وكان قضاء الله يوم أصابه ... بصنعاء دار الأطيبين الأكارم

رقوه وهل تشفى من الموت رقوة ... وفَدُّوهُ بالآباء بين المواسم

وبان لنا إذ ذاك وجد قلوبهم ... بأوجههم وبالخدود السواهم

فإن يك قد ولى المطهر وانقضى ... فخذ ولداً براً علىَّ بن حاتم

تجد عنده مالا وجاها ونجدة ... ونصرة مظلوم وإرغام ظالم

فيايام يايام بن أصيبا إمامكم ... يناديكمُ من صعدةٍ غير كاتم

---

(١) الشكو : المرض .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : شكا .

تباعد عنكم عن مقالة كاشح　　وأعرض عنكم في الليالي القدايم

فقوموا بجد يا صناديد يعرب　　وصبر ونصر صادق وعزايم

كما فعلت همدان يوم دعاهم　　سعد بن قيس في الأمور العظائم

قال : وصدرت مكاتبة القاضي الأجل جعفر بن أحمد بن أبي يحيى والشريف العفيف بالعزاء ومكاتبة الشيخ الأجل نشوان بن سعيد واعتذر من الشعر وقال والله ما أحسنت غير التمثل بقوم الشاعر :

لذا فَلْيَجِلُّ الخطب وليفدح الأمر　　وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

تكدرت الآمال بعد مطهر　　وأصبح مشغولا عن السفَر السفر

قال الراوي : فلما وردت الكتب بعلم وفاة المطهر بن أحمد رحمه الله إلى الإمام عليه السلام ، اغتم لذلك غما شديدا ، ووردت إليه قبائل خولان يعزونه واغتموا عليه غاية الغم ، وأقام الإمام بالجبجب لمن يفد إليه أياما ، وقال أبياتا من الشعر يرثي بها ولده المطهر رحمه الله وهي :

لولا المنون بأمر من لا يظلم　　أبعاد آجال لنا لاتخرم

وإذا أتت بأمر الله لم　　يتأخروا عنها ولم يتقدموا

لشربت كأس الموت بعد مطهر　　في الحال والناعي عليه يرحّم

لكنما آجالنا محتومة　　ووددت أني مت قبل ويسلم

ياالايمي في قلة الصبر إنتب　　فالصبر بعد مطهر متضرم

كيف العزاء ووجهه في مرمس　　بين الثرى وهو الأعز الأكرم

هو بضعة مني [1] فيكف تجلدي　　والبعض مني ميت مستعجم

وأنا فتابعه بلا شكٍّ وإن　　قدمته فغداً إليه أُقَدَّم

أو ما سمعت بحزن يعقوبٍ ولم　　يقطع بمهلك يوسف هل يعلم

---

(١) في الأصل عني .

وله الرّجال النافعون الكاملون سواه وهو كظيم قلب مغرم
قد كان يكفيني الأمور وقومه أيضا وتحمل ما يجل ويعظم
لم يأت فحشا في شبيبته ولم ينطق له أبدا بمعورة فمُ
بلغ الأشد وساد وهو مُنَصَّفٌ للأربعين ومات وهو متمم
وحوى النبالة والمروة ناشئا وقت الرضاع ومثله لايفطم
أما مكارمه فكل الناس يعرفها ومثل فعاله لا يكتم
يبكي عليه وليه وعدوه أبدا دما لو كان يسعده الدم
لمكارم الأخلاق والنفع المُعم ونعم ما يهوى إليه المعدم
يا أيها الوجه الصبيح عليت من نوب الزمان وصاحبتك الأنعم

قال : ثم إن الشريف الأجل محمد بن الحسن استنهض همدان فخرج معه السلطان ومائة فارس منهم [(١)] ، وقدم عليهم ابن عمه السلطان الأجل محمد بن حاتم فزادهم في جبل بني دعفان ، ثم تقدموا إلى أن وصلوا الإمام عليه السلام وهو بالجبجب فعزوا له وأقاموا عنده أياما ، ثم إنه أمر معهم الشريفين الأجلين عبد الله بن محمد المهول ومحمد بن الحسن وجماعة من الشرفاء وتقدموا بهم إلى نجران وذلك لغرض في نفسه عليه السلام . ثم تقدم هو إلى بلاد خولان فطلع المغرب ، بلاد شعب حي والأديم وهم قوم أهل شدة وقوة عارفين بالحرب ومراسه وجمع منهم تراسا كثيرة وقياسا ، عدد التراس ألف ترس ، فنهض بهم إلى الحقل وأتى وقد وصلت همدان والشرفاء من نجران . ووصل إليه قوم من الشرفاء بني القاسم فيهم الشريفان الأجلان القاسم بن جعفر والحسين بن القاسم بن محمد بن جعفر في قوم من أهل الظاهر وكان ذلك في شهر جمادى

---

(١) في الأصل السلطان منهم مائة فارس .

الاخرة سنة ست وخمسين . ثم وردت قبائل خولان فاجتمع من الناس بشر كثير وعسكر كثير قياسا من عشرين ألفا ، وكان ذلك الوقت فى القيظ فى حزيران وكان الحر فى البلاد شديدا ، فذكر الإمام عليه السلام أن الناس يتعبون من الحر والعطش ، وهم أن يأمر بمشينا على بئر الحائط بصعدة فعلم أن ذلك لا يتم ولا يكفى الناس ولا ينفعهم لكثرتهم . وكان الماءِ معدوما فى الضيعة والقطيع لعدم الدلى والأرشية ، وقد كان أهل صعدة كبسوا الآبار حول صعدة وطرحوا فيها الجيف والذرب [١] والحجارة والطين فما كان يتم لأحد منها شربا . فلما فكر الإمام عليه السلام فى ذلك وعسر عليه الأمر فيه فزع إلى الله سبحانه ودعا إليه وقال اللهم سهل لنا ماء وسيلا فى حفار صعدة يستفيض فيه الناس ويشربون، وذلك النهار يوم الأثنين وهو ببلد الربيعة . فتقدم إلى الجبجب وأتى والناس ملء البلاد قد أتعبهم طلب الماء . فبيناهم كذلك إذ أنشأ الله سبحانه عى مساقى وادى غراز [٢] فوقع المطر فاستكن الناس فى المضارب ، وكانت سبعة مضارب مضروبة قبلى سوق الجبجب ، واستكن قوم منهم فى الدروب والحوانيت والسوق، وبقى أخر الناس ليس معه كنان . وكان المطر عليهم خفيفا فلم يظن أحد أنه ينزل منه سيل ولا يصل إذ أتى البشير إلى الإمام عليه السلام يخبره بنزول السيل وأن حفار صعدة مملوءة ماء [٣] ، فحمد الإمام الله تعالى وأثنى عليه ، فكانت تلك من دلائله العجيبة وتأييداته الظاهرة المصيبة وجعلها الله سبحانه له برهانا

---

(١) الذرب تطلق على الشئ الفاسد .
الزبيدى ، تاج العروس ، مادة ذرب .

(١) غراز بضم الغين وفتح الراء ، قرية من عزلة غراز ، ناحية سحار ، قضاء صعدة .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صعدة ، ص ٣١ ؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٤٨٥ .

(٣) فى الأصل مملوة ملآما .

واضحا ودليلا لائحا ليعرف ذلك من حضر من المخالف والمؤالف ، فالحمد الله كثيرا على وضوح برهانه وعميم إحسانه . ومن ذلك أنه لم يعلم قبل أن سيل غراز بلغ خنادق صعدة ولا وصلها وما وقع مطر في تلك المدة في أي البلاد ، وكان فيه من البرد الشديد واللذاذة ما لم يكن فيما قبله ولا بعده ، ولقد كان نصف النهار كأنه الثلج من برده والحمد لله كثيرا .

قال : فلما كان في اليوم الثاني نهض الإمام عليه السلام بعساكره وجنوده فعبأهم للقتال وجعل كل قبيلة في جهة من جهات المدينة ، وقد كانت حصنت تحصينا عظيما وخندق عليها خندق مدوّر على جميعها ، وقد اجتمع فيها خلق كثير وقياس وتراس . فكان الإمام عليه السلام ومن معه من الأشراف ويرسم على باب الرمادة غربي المدينة ، وكانت الشرفاء بنو القاسم بن جعفر والحسين بن القاسم وأصحابهما وبنو مالك وغيرهم على باب السايلة قبلي المدينة ، وكانت همدان وقوم من خولان يماني المدينة ، وكانت بنو الهادي والربيعة ومن معهم شرقي المدينة .

فوقع القتال وكان يوما عظيما وكانوا ممن يَصلّي [1] الإمام ، وكانت رايته عليه السلام مع همدان فحاربوا حربا شديدا وفرضوا خولان السور وكبسوا الخندق ، ولم يقع خراب المدينة إلا من طريق خولان وذلك لنصيحتهم له عليه السلام ، ودخلت همدان معهم عليهم والراية معهم ، فلما رآها أهل صعدة وانهزموا أقبح هزيمة ودخلوا الدربين وطرحوا بالتراس والقياس وسائر السلاح .

---

(١) صليت لفلان : إذا عملت له في أمر تريد أن توقعه في هلكة .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة صلا .

فلما أواها [١] الشارع ولم تجد الخيل طريقا ، وهمّ أهل صعدة بالتحول من الدرب الجديد والهزيمة منه ، وقتل شيخ من مشايخ صعدة يقال له أحمد بن القاسم السنينة ، قتله [رجل من] [٢] خولان وكان أذيا بلسانه يتكلم على الإمام عليه السلام فقطع رأسه وخرج إلى الإمام به . وقتل معه من أهل صعدة خمسة رجال وأقام الناس يخربون المدينة ثلاثة أيام وينقلون خشبها وأبوابها ، وأهل صعدة محصورون فى دربهم . ثم نهض الإمام عليه السلام إلى الجبجب وفسح للناس في المراح فآب كل إلى موضعه وبلاده . وقال الإمام عليه السلام ذلك اليوم والناس يخربون المدينة أبيات رمل [٣] يقول فيها :

قـــل لأربـــاب الـــدروب	ولأبــطـــال الحــــروب
خـــندقـــوا مـــنـــى فـمــا	يــغـنـيـكـم غـيـر الـهـروب
أنـــا مـشـغـول مـدى الـدهـــ	ـــر بـتـذلـيـل الـصـعـوب
كـــم رئــيــس وخـــسـيـس	وســخـيـف ونجـيـب
وأخــى ظـــلـــم ومــــأتو	ن وداع ومــجـيــب
رام حـــربـــى وخـــلا فـــى	فــانـثـنـى غـيـر مـصـيـب
بـــين مـقـتـول ومــأسـو	رٍ طـريـد ومـنـيـب
كـيـف إلا فـــاجـــرٌ [٤] مـــن	شـرٍّ بـيـت فـى الجـريـب [٥]
وهـــو مـغـلـوب ضـعـيـف	عـوده غـيـر صـلـيـب

(١) فى الأصل أوابها .
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة .
(٣) الرَمَلُ : ضرب من عروض يجئ على فاعلاتن فاعلاتن .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة رمل .
(٤) فى الأصل تاجر .
(٥) الجُرَيْب ، بفتح الجيم وكسر الراء من الأماكن الدارسة بناحية الشرف ، محافظة حجة .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٦ – ١٢٧ ؛ عمارة ، تاريخ اليمن ، ص ٢٠٣ ح ٢ .

وهو كالحوتة تبدو	تارة بعد المغيب
فإذا يبدو له شخصي	توارى في القليب
فلان سرّ الأعادي	ما اعتراني من شحوب
وخطوب فادحات	وكلوم وندوب
فأبو الشبل حَرِيٌّ	بالبلا وقت المشيب
فلقد ساء هُمُ ما	نلتُ من فتح قريب

قال : فلما بلغ الإمام عليه السلام الغرض وشفى الغل من حرب صعدة وقمع المعاند من بني مالك وخراب دروبهم ، هم بالنقلة إلي الجوف بامرأته بنت فليته بن العطاف وأولادها ، وكره الإقامة بالجبجب لأمور لم تسره وذلك أنه صار فيه السوق يجمع من أخلاط الناس وغوغائهم [١] من أهل صعدة ، فسمع ما لا يحب سماعه من كثير أذاهم وارتفاع أصواتهم وهرجهم وقلة ميزتهم وأغمارهم . فلم يحب المجاورة لهم وأحب التحول منهم فسير أهله إلي مسلت ، ووقف بعدهم أياما فبلغه العلم من أهل صعدة وبني مالك والربيعة أنهم مستبشرون بانتقاله ومتوعدون للأشراف ويرسم بالقليعة بعده ونقم الثأر منهم ، فلحقته الحمية عليه السلام والرأفة على أقاربه وبني عمه وجيرانه ونظروا أنه لا يمكنه الإقامة في أي الدربين . فطلع حصن تلمص حماه الله تعالى بمن الله سبحانه وتوفيقه وبركته وتسديده في أول شهر رجب سنة ست وخمسين فأثار فيه العمارة ورتب فيه البناء. وتلمص هذا حصن عظيم قديم طود شامخ منفرد وحده من الجبال مطل على الحقل حاكم عليه مبني إلى جنبه مدينة صعدة القديمة ، وكانت من المدن العظيمة الكبار القديمة وكان اسمها في الجاهلية جماع . وأعلاها من يمانيها

(١) في الأصل وغوغاهم .

وادى غراز وادى جليل القدر فى الزراعة واسع كثير الفروع والمساقى التى تهريق إليه ، وهذا الحصن تلمص حماه الله كان ممن يسكنه فى الجاهلية نوال بن عتيك نازع الأكتاف وال لسيف بن ذى يزن الحميرى وكان يضرب به المثل . قال الشاعر :

أصبحتَ تُوعدُنى بأمر معضل ... حتى كأنك نازع الأكتاف

عبد ابن ذى يزن برأس تلمص ... بين الأرائك مسبل الأسجاف

وقال فيه الشاعر

تلمص القباب فى تلمص ... كالبيض من تحت الجلا المخلص

فيه نوال مثل ثعبان النصى (١) ... فحل لديه كل فحل كالخصى

سر نوال زايد لم ينقص ... يخلع أكتاف الرجال إن عصى

ودونه الخدام غير نُكّصَ ... يعضون بالأسياف من دون العصى

كم من قتيل لنوال مقعص (٢) ... وكم جريح بدم مغمص (٣)

وكم قنيص قبلها لم يقنص ... أصبح تحت المجلس المجصص

يرنو بعين من خلال الخصص (٤) ... وينثنى بينه والغصّص

فهو كمثل طائر فى قفص ... يرجو خلاصه ولم يخلص

قال : فطلعه الإمام عليه السلام وأثبت العمارة فيه والبناء وأحكم دوائره

---

(١) النُّصِى نبت معروف ، يقال له نصى مادام رطبا ، فإذا ابيض فهو الطريقة ، فإذا ضخم ويبس فهو الحلى .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة نصا .

(٢) الاقعاص : أن تضرب الشئ أو ترميه فيمت مكانه .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قعص .

(٣) غمص الناس : أى احتقرهم .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة غمص .

(٤) الخصاص : شبه كوة فى قبة أو نحوها ، والخصاص أيضا : الفُرَجُ التى بين قذذ السهم .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة خصص .

ومراشنيه [1] وطرقه ومناهله وقصر دار الإمارة في قبليه ، وبنى فيها بالجص والآجر الغرف والقباب ، فأقام الإمام عليه السلام بتلمص حماه الله إلى شهر المحرم مدخل سنة ثماني وخمسين . وأتاه العلم من السلطان الأجل ربيع بن جحاف الدعامي أنه أتى في ثلاثين فارسا غازيا إلى صعدة وأتى نصف الليل فوقف عند مسجد صعدة القديمة وأمر إلى الإمام يعلمه بوصوله ويستشيره أين يضرب الكمين إلى الصبح لأهل صعدة ، فأستر الإمام بوصوله وأمره أن يكمن في نسرين [2] . فلما أصبح أمر يرسم أن يستخرجوا الناس للحرب ويناشبوهم القتال ، فخرجت يرسم ولم يكونوا قد علموا بالكمين . فلما ترابط الناس للقتال خرج السلطان ربيع بخيله وأتوا طريق بني مالك ، وظن أهل صعدة ويرسم أنهم من بني مالك فاشتدت بهم أهل صعدة لأنهم أحلاف لهم وخافتهم يرسم فاستأخروا ، وأغارت الخيل فلم تعمل شيئا مع القياس والتراس غير قتل رجل وأسر آخر ، ولم يكره الإمام سلامة القوم لأجل قوم كانوا من بني سعد من خولان باتوا بصعدة وكانوا نظارة من وراء القتال ولو انهزم أهل صعدة لجرى فيهم القتل . فقال الإمام عليه السلام لعل هذه خيرة من الله سبحانه . فلما فرغ طلع السلطان الأجل ربيع بن جحاف إلى الإمام وسلموا عليه وأقاموا عنده أياما ، ثم نهض بهم إلى الجوف مستهل شهر صفر ، ثم تقدم إلى مسلت وأعطى خيل الدعاميين مائة دينار فأقام بمسلت مدة شهر ثم نهض إلى ناحية مسور . وكان هنالك موضع يقال له قلعة أبي يزيد بوادي البهام وكانت هذه القلعة لقوم

---

(١) الأمراش : مسايل الماء :
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة مرش .

(٢) نَسرين : بفتح السين ، موضع في شمال صعدة .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٣ ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٤ ، ص٧٢ .

مسلمين وأخذها سلطان يقال له منصور بن أبى النور العرجى وله بنو عم قريب من ثلثمائة مقاتل أهل شدة وبأس وشجاعة ومراس ولهم مواد من عشائرهم وأحلافهم ، وكان من حلفائهم السلطان الأجل منصور بن الحسين المنتابى [١] صاحب جبل مسور [٢] وجميع أهل لاعة [٣] وشاحذ [٤] والعضد والطرف [٥] . فوصل الشريف عبد الله بن سليمان إلى صنوه الإمام عليه السلام فذكر له أمر هؤلاء المظلومين وحصنهم وما قد نالهم من الضيق والعسر والظلم العظيم ممن لزمه عليهم ، وعول عليه وسأله القيام معهم والنصرة لهم ووعد قوما من العسكر شيئا لأن أهل القياس والخيل كانوا مع الإمام بحربه ، فقال الإمام عليه السلام والله لو أعطيت عشرة آلاف على [أن] [٦] أنزل نقيل المحدد - وهو الذى رجع منه الهادى إلى الحق عليه السلام . وقال ما افترض الله علىّ جهادا فى هذه

---

(١) آل المنتاب بضم الميم وسكون النون ، ينسون إلى المنتاب بن عمرو بن علاف . بن الهميسع بن حمير الأكبر ، منهم ملوك مسور آل المنتاب وهم أولاد ذى نواس من ملوك التبابعة .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ٧٥ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ٤ ص ٧٢٠ .

(٢) يقع جبل مسور على بعد ٣ كم شرقى قرية مسور ، وعلى بعد ١٣ كم جنوب شرق مدينة حجة .
خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1543B3 .

(٣) يمر وادى لاعة فى جنوب محافظة حجة وشمال محافظة المحويت .
خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1543B3 .

(٤) شاحذ هى ما يسمى الآن بالشاحذية ، سميت باسم شاحذ بن حديق .. بن حاشد ، وهى عزلة من ناحية الرجم قضاء الطويلة ، بمحافظة المحويت .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٣ ، ح١ ص ١٢٤ ، الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ٣ ص ٤٣٩ ؛ التعداد السكانى التعاونى لمحافظة المحويت ، ص ١٧٧ .

(٥) بلاد الطرف ، ذكرها الهمدانى فى مخلاف أقيان (شبام كوكبان) ، وعزلة جبل الطرف من ناحية المحويت ، وعزلة الطرف ، ناحية صعفان قضاء حراز .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢١٣ ، التعداد السكانى التعاونى لمحافظة المحويت ، ص ٣٥ ، التعداد السكانى لمحافظة صنعاء ، حـ ٢ ص ٥٦٣ - ٥٦٥ .

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة .

البلاد مع وعر البلاد وحصانة الحصن الذى نريده – ما فعلت إذاً ذلك ، ولكنى أطلب التقرب إلى الله سبحانه فى نصرة المظلوم ورفع يد الظالم وصلة الرحم فى مساعدة صنوى وإسعاف سؤاله ومقصده . فنهض عليه السلام ونزل نقيل المحدد ونقيل الثومة ونقلا متصلة به وعرة عسرة بعيدة ، قريب من مسيرة يومين لا تقدر الخيل على نزولها ولا تطؤها الإبل ، ولا ترى الأودية من رأس النقيل لبعدها بل تغطيها ظلمة كسواد الليل ، فصبر عليه السلام وترك موضع الخطر ولقيه السلطان الأجل الحسين بن منصور بن الحسين فسلم عليه وقبل قدميه وتواضع له وسار بين يديه حافيا راجلا فكان ذلك دليلا على ما أومأ [(١)] إليه سطيح فى ذكر المنصور فقال : ويصعدة رجل من أولاد الملوك ملوك اليمن كأنى به يسير بين يديه حافيا راجلا متذللا له داخلا فى طاعته ونافذ أوامره . فنزل الإمام عليه السلام ومعه هذا السلطان ومن معهما إلى أن حط فى موضع قريب من هذا الحصن ، فأتى وهو حصن حصين منيع شاهق يمتنع فيه عشرة رجال [فيقاومون] [(٢)] أولوفا كثيرة . وفيه الماء والطعام وثلثمائة مقاتل من بنى العرجى فكتب السلطان الحسين بن منصور إلى منصور بن أبى النور يقول له : إنى كنت حليفا لك فيما بيننا من العامة . فأما اليوم فنحن من الإمام لا نعدوا رسمه ولا ندخل فيما يكرهه ونحن وأنت مماليك له فلا تكن منا على نصرة لك . ثم بات الإمام تلك الليلة هنالك وأوقد منصور فى حصنه النار . وكان من عاداته أنه إذا أوقد النار أوقد كل حليف له وعشير مطيع ، فلما أوقد النار لم يوقد أحد ممن كان منه وإليه . فلما أوقد النار فى محطة الإمام عليه السلام أوقد جميع أهل ذلك

---

(١) فى الأصل أومى .
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة .

المغرب ، فعلم منصور بن أبى النور أن الناس قد انقلبوا عليه مع الإمام عليه السلام وخاف على قرى له وزرائع من قصب السكر والموز والهدس والحنا وغير ذلك ، فلم ير إلا أنه وصل إلى الإمام عليه السلام متوديا وطائعا ومرتسما وسامعا فسلم الحصن وبايع الإمام وسمع وأطاع ونزل من الحصن فسلمه الإمام عليه السلام إلى أهله ، ونهض سالما غانما فالحمد لله على ذلك . وتقدم إلى المصانع وكان قوم من الجنبيين هنالك أهل خيل وجماعة من بنى ربيح فيهم داعر ابن أبى العطاف فنهض بهم عليه السلام إلى أن وصل مسلت وتقدم إلى الجوف فأقام به أياما وأصلح بين آل دعام . وأستنهضهم معه فنهض معه ربيع والمؤمل ابنا جحاف ومرزوق بن يحيى ومحمد بن أرحب وقوم من آل دعام ، وقد كان تقدم معه من مسور قوم من السلاطين بنى عبد الحميد والشيخ الأجل على بن منصور بن جعفر فى مائة رجّال من حمير ، وتقدم بهم إلى أن بلغ موضعه تلمص حماه الله فأقام به أياما، وطلع بلاد بنى بحر وبنى جماعة وأنهض من الشريف الأجل محمد بن الحسين إلى القد اليمانى فنزل منهم بقوم كثير ومن الإمام أيضا بعسكر كثير .

فلما اجتمع العسكر كله بالحقل نهض بهم الإمام عليه السلام لقتال أهل صعدة فتحكموا ولم يخرجوا من الدربين فحارب الناس وكبسوا شيئا من الخندق وقتل قوم من أهل خارج وداخل وتمنع أهل صعدة فى الدربين ، وقد كان جعل لقوم من خولان فلم يحرصوا فى القتال وخافوا أن يؤخذ الدربان أو أحدهما فتقول حمير وهمدان وجنب أن لولاهم لم ينالوا ، فلزموا أيديهم وكسروا فى الفتنة والقتال وفسدوا غاية الفساد ، فانتقمهم الله سبحانه بعد ذلك بحطمة وجوع فى بلادهم ما سمع بمثله .

ثم إن الإمام عليه السلام أذن للجنبيين والهمدانيين والحميريين بالإياب ونقدهم بخمسمائة دينار ، وأعطى الدعاميين مائة دينار أيضا . وبلغ من أمر الحطمة في مغرب بلاد خولان أن كثيرا منهم ما كانوا يصلون الزرع . ولقد روى عن قوم كانوا يخرجون من سوق الحجاب في شهر رمضان وهم يقضمون الذرة والحب ماتم لهم صوم من الجوع ، وروى أن رجلا من رازح كان وصل من اليمن بمال من ذهب وفضة وبز فاشترى بذلك طينا واشترى جربة بمائة دينار ، فلما أفرغ ما معه عاد يطلب بيع شيء مما اشتراه فما وجد فيه شيئا وعرض الجربة التى أخذها بمائة فما أعطى [١] فيها شيئا ، ثم حصل له دينار فغدا سوق الحجاب فأخذ به مدا بمد الحجاب ، وراح به فأتى وقد مات أولاده فطعن نفسه بشفرته فمات . وفي هذه المدة وصل الشريف الأجل أبو الفضائل بن على بن إدريس السليماني [٢] من أرض وساع ، ووصل معه قوم كثير من بنى عمه ومواليهم موضعا يقال له الدبيب بجازان [٣] يريدون الهجرة إلى الإمام عليه السلام ووافقوا هذه الحطمة ، فبلغنى أنهم اشتروا الطعام ربع المد بدينار فلما وصلوا الدبيب تحيروا فيه [٤] فما زادوا أحسنوا [٥] يقدمون ولا يرجعون . وكانت معهم أموال

---

(١) في الأصل فأعطى .

(٢) ينسب الشرفاء العلويين أصحاب وساع بالمخلاف السليماني إلى على بن إدريس بن جعفر .. بن الحسن بن على بن أبي طالب .
ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص ١١٦ .

(٣) جازان بلد على ساحل البحر الأحمر في بلاد عسير ، من جهة صبيا وأبي عريش ، وإليها نسب وادى جازان النازل من بلاد خولان .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ١ ص ١٧١ ، حـ ٣ ص ٦٠٤ ؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ١١٦ .

(٤) المتحير : الذى لا يبرح مكانه واستحار الرجل بمكان كذا نزله أياما .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة حير .

(٥) كذا في الأصل .

من الماشية فتمتعوا بها لبنا ولحما بالأسحار، فأقاموا هنالك شهر رمضان ، وبلغت كتبهم الإمام فنهض إليهم فى أول شهر شوال ومر بالمشايخ الأجلاء السعر بن أبى الليل وإخوته فنهض معه منهم السعر والدحمس وحبان بن الرمس، وتقدم إلى أن وصلهم وأتى وهم فى موضع سدم وبئ لا يكون أى البلاد أوبأ [١] منه وفيه من البعوض والحر والروائح الكريهة من كثرة موت البهائم مالا مزيد عليه ، وموضع تأوى إليه الأسود والأحناش وجميع الهوام . وأتى وقد ألمت بهم جميع أصناف المحن وما بقى فيهم طاقة للمسير ولا للركوب من الهزال ، فطلب الإمام عليه السلام الإبل ليحملهم عليها فما وجدها . فمازال يتردد فى نهوجهم ثمانية أيام وقد لزمته فريضتهم حتى وجد إبلا فضاعف لأهلها الكرى ونهض بهم . فلما أن قربوا الإبل للرحيل وأدنوها بعد طلوع الشمس بقليل فمازالوا يروعون نفسهم للخروج إلى أن غربت الشمس ثم ساروا مقدار رمية الرامى بسهمه وحطوا . وبات الإمام وأبو الفضائل ومن معهما فى عشة ذات أشجار كثيرة موحشة كثيرة الحيات والبعوض والأسود ، ثم إن المطر وقع عليهم فمازال الغيث عريضا بعد عريض يتردد عليهم إلى أن مضى ثلث الليل وباتوا فى شر ليلة . ثم نهضوا من الغد فساروا مثل ما ساروا بالأمس مرتين وحطوا عند طلوع الشمس ثم نهضوا كذلك فأقاموا فى وادى جازان يسيرون ويحطون خمسة أيام وهم مسيرة بعض يوم ، والموت فيهم من جانب والأسد من جانب ، وكان من قرب إليهم من الأبقور [٢] ينزلون بالطعام برسالة الإمام عليه السلام إليهم فمازالوا كذلك إلى أن بلغوا الحجاب فأقاموا فيه يومين وفى واديه يومين وفى

---

(١) فى الأصل أوبى .

(٢) الأبقور قبيلة من خولان بن عمرو ، وبلاد الأبقور عزلة فى ناحية سحار ، قضاء صعدة . الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٩ ؛ التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صعدة ، ص ١٥

صادة يومين إلى أن وصلوا مجزا . ثم وصلوا إلى الإمام فأكرمهم وحباهم وقام بأحوالهم ، وأحل بعضهم بدرب الأشراف وبعضهم بالجبجب . وأطلع أبا الفضائل إلى عنده إلى تلمص حماه الله فأحله فى خلوة القبة بأعلا داره ومعه أولاده وحريمه وجواره وهم قدر أربعين نفسا . فكان وصولهم من وساع فيه دلالة على المنصور لقول أمير المؤمنين عليه السلام فى الملحمة الجوهرية وقد ذكر المنصور عليه السلام فقال : ويهاجر إليه الطيبون من أرض وساع . فأنفق الإمام عليه السلام على جميعهم وسمح لهم بزرائع كانت له بغراز والمرحبى والضيعة وقال « إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً » [١] . ولم تزل تلك أفعاله عليه السلام وطريقه الحميدة في صلته الرحم والقرابة والعامة والصحابة غير داخر شيئا مما فى يده ولا مستأثر لما يحتويه عنهم من سبده ولبده [٢] معتادا ذلك طول عمره فى يسر الدهر وعسره . قال ثم إن الإمام عليه السلام وصله شرفاء من بيت [٣] الجالد من بنى حمزة فيهم حمزة بن على وإبراهيم بن محمد بن الحسين وقاسم بن الحسين فأعلموه بقتل رجل منهم يقال له جعفر بن محمد بن الحسين بن حمزة ، وكان واليا للإمام فى حصن يعفر من بلد حاشد قتله قوم من حاشد بسهم ، فغضب الإمام عليه السلام لذلك غضبا شديدا ونهض معهم طالبا بدمه . فتقدم إلى أن وصل مسلت فى أول شهر ذى الحجة فأقام هنالك إلى أن عيد عيد الأضحى . قال سليمان بن يحيى مؤلف الكتاب لما أن صلى الإمام عليه السلام بنا صلاة العيد إستأذنته فى إنشاد قصيدة قلتها للتهنئة بالعيد فأذن عليه السلام وهى :

---

(١) سورة الإنسان ، آية ٩ .

(٢) السبد واللبد يطلقها العرب على أموالهم من الخيل والإبل والغنم والبقر. ابن منظور ، لسان العرب ، مادة لبد .

(٣) فى الأصل بنى .

شدت سعودك بالسها أطنابها ... ودعوت مجدك للعلا فأجابها

وبلغت غاية ما رأيت من النها ... وأصبت من عين الصواب صوابها

وسبقت فى شأو المكارم كل من ... قد حاز مسلكها ورام طلابها

أوصدت أبواب الضلالة معلنا ... وفتحت من سبل الهدى أبوابها

ووصلت أسبابا بسعدك لم يكن ... أحد ليبلغ واصلا أسبابها

فالأرض مشرقة بطلعتك التى ... أدنيت يابن الطاهرين إيابها

أضحى الولى بها قريرا ناعما ... والضد مكتئبا يخاف عقابها

لله من عيد رأينا شخصك الـ ... ـميمون فيه مبصّرا مرتابها

عيد زها الأعياد جمعا كلها ... وأعاد كل مسرة وأنابها

وطرا بكل غضارة [١] ونضارة ... وسعادة أسنى لقاك رغابها

فالعروة الوثقى أنت لمن غدى ... متمسكا إذ لا انفصام [٢] عابها [٣]

والغاية القصوى من الشرف الذى ... جاز الكواكب ساميا واجتابها

أنت المجلى والمصلى فى العلا ... وسواك يسلكها كذا [٤] فارتابها

ولك المعلا من قسيم حظوظها ... والنزر من قسم المنيح أصابها

أحرزت كل فضيلة مشهورة ... حقا وطلت من الملا طلابها

وضربت بالعزمات منك مضاربا ... أصمت عداك وما فللت ذبابها

فعظيم هيبتك التى شرفت بها ... تملا القلوب من العدى إرعابها

والكتب منك كتائبا من يقرها ... يعط القياد مفديا كتابها

يتخيل الألقاب خطى القنا ... والشكل ضربا والدماء لعابها

لو رمت شرق الأرض داخل غربها ... رعب يزلزل خيفة أربابها

---

(١) الغضارة : البهجة والنعمة وسعة العيش .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة غضر .

(٢) فى الأصل لانفصام .

(٣) فى الأصل عابها .

(٤) فى الأصل كنا .

أو تَضْحَ بـالـيمـنِ الجنـودُ مُغيرةً لَغَزَا الـشـامَ وأهـلـهُ مـا رابـهـا
دوخـت كـل قـبـيـلـة وكـتـيـبـة وأذقـتـهـا خـزيـا أطـال عـذابـهـا
وهـدمـت كـل مـعـاقـل ممـنـوعـة قـهـرا وحـزت عـن الـعـداة نـهـابـهـا
وفتحت من بعد الحصون مداينا غـادرتـهـا قـفـر الـعـراض يـبـابـهـا
وأدلـتـهـا بـعـد الـعـمـارة والـبـنـا وبـهـا المـسـاكن هـدمـهـا وخـرابـهـا
أوقـعـت فـى نجـران مـنـك وقـائـعـا وبـلاد وادعـة هـتـكـت حـجـابـهـا
وبصعدة أسمحت وبل مصايب مـطـرت سـحـائـبـهـا عـلـيـهـا دأبـهـا
وتـركـت سـاكـنـهـا حـيـارى تـبـتـغـى عـفـوا لـديـك فـمـا قـبلـت خـطـابـهـا
وكـذاك بـالجـوفـين قـدت جـحـافـلا تـغـشـى الـبـلاد وهـادهـا وهـضـابـهـا
وريـاض سـام والـقـلـيـس وريمـة ذللت مـن غلب الرقـاب صـعـابـهـا
وطـحـنـتـهـم بـالأعـوجـيـة والـقـنـا وأبـدت من غـضـب الـردى أحزابـهـا
وإلـى زبـيـد قـدت جـيـشـا أرعـنـا جـمـع المـذاكـى عـتـقـهـا وغـرابـهـا
وقـتـلـت والـيـهـا بـهـا مـسـتـظـهـرا وسقيت جيش الظلم فيها صابها
وأدلت أرض الله بعد محيضها طـهـرا وَمِنْ كُفْرٍ غـسـلـت إهـابـهـا
فـعـنـت لـهـيـبـتـك الملوك جـمـيـعـهـا وأتـتـك طـائـعـة تمـد رقـابـهـا
واسـتـسـلـمـت لـك بـالإثـارة عـن يـد طـوعـا وألـقـت فـى يـديـك لـبـانـهـا
أحـيـيـت سـنـة أحـمـد ووصـيـه إذ كـنـت يـا صـفـو الـنـبـى لـبـابـهـا
وقـفـوت آثـار الأئـمـة مـخـلـصـا وبشرت من بعد الفنا أحسابها
وحـويـت مـن شـرف الإمـامـة رتـبـة أوطـت عـلـى بـرج الـسـمـاك ركـابـهـا
كملت معانيها لديك وكنت يابـــن محـمـد نـبـراسـهـا وشـهـابـهـا
هـاتـا الـفـضـائـل لافـعـائـل مـدعٍ مـتـزنـدقٍ جـهـل الـفـروض وعـابـهـا

متسربل بالظلم فدم [١] غاشم خاض الجهالة غمرها وعبابها
قد عم أرض تهامة من ظلمه جورا ونجس سوحها وجنابها
فأذقه يا صفو النبي محمد ما قد أذقت من الملا كذابها
وانهض فليس بمعجز لك يا أبا حسن ولو عبر البحار وجابها
فجليل نصرك بالعدى لك كافيٌ يوم القتال طعانها وضرابها
دمت الزمان أبا المطهر سالما في نعمة يكسو التقى أثوابها
بذرى تلمص ذروة العز التي نصبت برغم الكاشحين قبابها
تفديك عن ريب الزمان نفوسنا المولعات بفرط حبك دأبها
وبأفضل الصلوات خصك ربنا والطاهرين أولى التقى أحقابها

قال : وكان الإمام عليه السلام لما أتى مسلت بلغه أن أهل الظاهر من بني صريم ووادعة شربوا الخمر في كثير من قراهم وأتوا بالمنكر فأظهر البراءة منهم وأبدى الغضب لله عليهم ، ووصله قوم منهم بشئ من أموال الله فردهم به ولم يقبله منهم فاضطربوا وخافوا خوفا عظيما . فلما كان بعد العيد أمر للسلاطين بني دعام من الجوف فوصلوه إلى شوابة ونهض بهم وبذيبان وتقدم إلى أن وصل محصم [٢] من بلد ذيبان ووصل إلى قوم من أهل أكانط [٣] من حاشد ومرهبة

---

(١) الفدم من الناس : الأحمق قليل الفهم .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة فدم .

(٢) محصم بكسر الميم وسكون الحاء وكسر الصاد ، بلد على مسافة ٢١ كم شرقي ريدة . وهي قرية من عزلة بني سليمان ، ناحية أرحب ، وتقع ما بين : ٣٦ً ٥٠َ ١٥ْ شمالا ، ١٤ً ١٤َ ٤٥ْ شرقاً .
الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢١٧ - ٢١٨ ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ ١ ص ٩٨ ؛ خريطة ج . ع . ي ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544C1 .

(٣) أكانط وتسمى اليوم كانط ، قرية من عزلة خميس القايفي ، ناحية خارف ، قضاء خمر ، على مسافة ١٥ كم شرقي ريدة ، وتقع ما بين : ٤٠ً ٤٩َ ١٥ْ شمالا ، ٤٢ً ١٠َ ٤٥ْ شرقا. =

أيضا ، وتقدم إلى بيت الجالد فأمسى هنالك عند الشرفاء الأجلاء بنى حمزة فوصلت إليه كافة حاشد وقالوا له إنه قد طلع على هذا الشريف سهم ولم يعرف صاحبه فخذنا يا مولانا بأحكام الله ، فصرف الحديث إلى الشريف الأجل عبد الله بن الحسين بن حمزة إذ هو عم المقتول وأكبر الشرفاء وأعلمهم ، فحكم عليهم بدية كاملة ألف مثقال ونجمها عليهم فى ثلاث سنين كل سنة ألف دينار من دنانير الوقت .

وكان الإمام عليه السلام قد كتب إلى السلطان على بن حاتم يستنهضه فى همدان وكتب إلى منصور بن جعفر يستنهضه أيضا فى حمير وإلى صاحب كوكبان أيضا ، وأمر لهمدان وسنحان وبكيل وتأهب لمخرج كبير وواعدهم إلى ريدة يريد به الظاهر ، فأجابه الكل وتأهب السلطان على بن حاتم للخروج وضرب مضاربه وأعد الزاد وأحمال الدقيق لعسكره . وكان غرض الإمام أن يوطئهم الظاهر ويقمع بهم أهل الفساد من وادعة وبنى صريم فلم يشعر إذ وصله وبنى صريم إلى بيت الجالد ، وصل من بنى شرحبيل المفدا بن كليب وعلى بن عبد الله الرزاقى وحسان بن المزين ، وكثير من مشايخهم وقد كانوا خافوا واضطربوا وحيروا أكثر أموالهم من حد دلوان [(١)] إلى حوث . فوصلوا إلى الإمام عليه السلام واستعطفوه وسألوه العفو عنهم وارتسموا بكل ما يرسم عليهم من أداء حقوق الله تعالى واتباع أوامره والدخول تحت طاعته ، فأسعدهم إلى ذلك وأجابهم إليه وجدد عليهم العقود وأكد الأيمان والعهود . ثم أمر إلى السلطان

= السياغى ، معالم الآثار اليمنية ، ص ٦٥ ، التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ٢ ص٤٢٢؛ خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544A1 .

(١) دلوان قرية من عزلة الظاهر . ناحية خمر .
التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥ ؛ التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ ٢ ص ٤٠٧ .

علی بن حاتم وجميع من كاتبه يأمرهم بالوقوف فی بلادهم وتخليف المخرج فرجع بعض عسكر السلطان من البون ، وعاد الإمام عليه السلام إلى مسلت وأقام بها أياما ، وبلغه خبر موت الشريف أبی الفضائل رحمه الله فغمه ذلك غما شديدا وقال فی ذلك الوقت شعره الذی يقول فيه :

أری نفسی تتوق إلى البراری | وقلبی يطمئن إلى القفار
وتكره قرب أهل الحضر نفسی | وعينی لا تقر إلى القرار
لأن الحضر للأقوام وعث | لكل مهجر ولكل ساری
وعادتی السری فی كل نهج | ولا تنفك نعلی من غباری
يقل الليل عن فكری وهمی | وتنسينيه أشغال النهار
زمانی كله تعب وهم | فما أفتی أحارب أو أداری
نهضت بحمل أعباء كبار | بأعوان ذوی همم صغار
ولولا الله لم أبلغ عشير الصغار من الأمور ولا الكبار
ولو كانت عظامی من حديد | لفلتها النوايب أو حجار
ولكن عون خالقنا كفانی | وهمتی الشريفة واصطباری
وكم من حاسد يزرا علينا | وذی جهل بنا خال العذار
يری جری الجواد لديه هونا | ويعظم عنده جری الحمار
وأن أخا العماية ليس يدری | أأحجار تقلب أو دراری
وقد قامت معی أنصار صدق | وأعوان ذوو همم كبار
أعانونی وآسونی بنصح | وإنهم الخيار بنو الخيار
كمن بسناع من أبنا علی | ومن أضحی يدرس فی بشار
فمنهم من قضی نحبا ومنهم | أخو صبر وعزم وانتظار
ومنهم من أتانی من بعيد | وخلی داره واختار داری
كمثل أبی الفضائل ذی المعالی | كريم المنتمی محض النجار

وجاء مهاجرا ولنا معينا ... ومصطبرا على بعد المزار
وصادف عصر سوء لم يشاهد ... له مثلا على الأقوام طارى
أطل على البرية بالبلايا ... وأعسر فيه أصحاب اليسار
ولما يأت من عسر وبؤس ... ولا ضيق [ ] [١] ولا اضطرار
فوافته المنية فى فنائى ... وحكم إلهنا فى الخلق جارى
فيا عجبا لآمال طوال ... لنا فى عرض أعمار قصار
وواعجبا لدنيا ليس فيها ... نعيم قط يخلو من غيار
فما لذاتها إلا غرور ... وما حسناتها إلا عوارى

قال الراوى : وقد كان وصل إلى الإمام عليه السلام وهو ببيت الجالد الشريف الأجل محمد بن عبد الله العفيف وجماعة من الشرفاء بنى أبى الحسين العلوين وأهل سناع فسلموا عليه ، وأعلموه بحوادث حدثت عليهم وعلى القاضى الأجل جعفر بن أحمد بن أبى يحيى من المطرفية بوقش وغيرها . وذلك أن القاضى الأجل لما وصل من العراق وأتى إلى الأمام عليه السلام وهو بذمار وقت مخرجه إلى زبيد فاعتذر إليه فى أمور كانت منه مع المطرفية فيما سلف ، ولما وصل إلى العراق تبين له أنه على غير شئ فعذره الإمام وجعله فى حل ، وقال له هل علمت ياقاضى أحدا ممن قابلته فى العراق يقول بشئ مما تقوله المطرفية أو تعتقده أو تعمل به ، أو وجدت فى كتاب أو سمعت بأحد يقول بقولهم . فقال : لا . قال له : فإنه يجب عليك [أن] [٢] تردهم عن جهلهم وتنكر بدعهم فإن النبى صلى الله عليه وأهله يقول : إذا ظهرت البدع من بعدى فليظهر العالم علمه فإن لم يفعل فعليه لعنة الله . فقال له القاضى قد عرفت ماتقول ولكن القوم كثير وقد صاروا

---

(١) بياض فى الأصل .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة .

ملء يمنننا هذا . ولو أبيت أنكر عليهم لرمونى بقوس واحدة . وأنت يا مولانا تقرب وتبعد وأنا أخاف القوم ولاطاقة لى بهم ، فوقع كلام الإمام فى أذن القاضى فعمل به وهو ممن علم وعمل ، فتقدم وأظهر كتبه التى وصل بها من العراق وتعرض للتدريس والتعليم . فوصل إليه الفقيه الأجل أحمد بن الحسين وكان أبوه من مشايخ أهل وقش ومحمد بن حسين الفقيه وكذلك أبوه كذلك إلا أنه كان يكن من بغض الإمام مالا يكنه أحد . ومن جملة من أتى إلى القاضى سليمان بن ناصر وعلى بن إبراهيم وجماعة ممن يريد الله واليوم الآخر ، فدرسوا عنده وتبين لهم أنهم كانوا على غير شئ ، فأما أحمد بن الحسين الفقيه فقد كان هداه الله إلى الصواب قبل ذلك على يدى الإمام لأنه كان ممن وصله إلى المقيلد فى بدء الأمر مع ربيح بن قبايل ومع الشريف العفيف . فلما سمع الناس بإقامة القاضى للتدريس فى سناع وشاع خبره وانتشر ذكره ووصله الناس من بعيد وقريب ، فعند ذلك وقع مع أهل وقش منه مالا مزيد عليه من الغم لوجهين ، أما أحدهما فغاروا منه وعلموا أنه يستخرج الناس حتى يستوليهم ويأخذ ما فى أيديهم ، والوجه الاخر أنه يبين ويظهر للناس ما هم يكتمون من مساوئهم وقبيح اعتقادهم، فاضطربوا منه وضربوا الملاقى وكاتبوا أصحابهم فى جميع مكامنهم التى يسمونها [هجرا] [1] . وتكلموا على القاضى بما ليس فيه وهجوه وقالوا للناس هو باطنى ابن باطنى فقال لهم هلموا إلى المناصفة فأظهر ما فيكم وتظهروا ما فىّ بين يدى حاكم ، قالوا ومن الحاكم قال إمام الزمان ، فأبوا ذلك . قال فهلموا نتفاتش عند العامة وضرب لهم مثلا فقال مثلى ومثلكم مثل رجال عشرة قد صحبهم رجل أجنبى ليس منهم دخلوا منزل رجل فتضيفوه فضافهم وأكرمهم

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة .

وتركهم فى منزله وأمنهم عليه ، فوجدوا فيه صندوقا فيه ألف دينار ، فقام العشرة فكسروا قفله واستخرجوا الألف الدينار واقتسموها فأخذ كل واحد منهم مائة فصرها فى ثيابه وذلك الأجنبى ينظرهم . فلما وصل صاحب البيت نظر الصندوق قد كسر وأخذ منه المال . فقال لهم إنكم أخذتم من الصندوق ألف دينار وقد أمنتكم ، فقال العشرة إما أن ترضانا شهودا لك فإنا نشهد أن هذا الرجل الأجنبى أخذها ونحن ننظر . فقال الرجل الأجنبى أما أنا فلم آخذ شيئا ولا أنا أقول أنهم أخذوا ، ولكن أفتشنا فلم يقم منا أحد بعد ، ففتش البرئ فلم يجد معه شيئا وفتش الآخرين فوجد مع كل واحد مائة منهم ، فضرب القاضى هذا المثل لمن لا يسمعه . ولجوا فى جهلهم وطغيانهم ونزل إليهم إلى وقش ، وأمر بكتب الأئمة عليهم السلام التى هى فى وقش فجمع منها شيئا فقال لهم هلموا نتدبر ما فى هذه الكتب ونعرف من الذى خالفها منا ومنكم ، فلم يسمعوا له كلاما وآذوه وقام فى وجهه رجلان باطنيان يقال لأحدهما مسلم اللحجى من أهل شظب [(١)] وآخر يقال له يحيى بن حسين يلقب بالفقيه فآذياه وسباه ، فعاد إلى سناع ومعه صهره طريف بن الحسين السنحانى وأصحابه من الشرفاء والمسلمين . فلما وصل سناع عارضوه بأغمار من بنى شهاب وكان معه شرفاء من بنى الهادى إلى الحق يحيى [بن الحسين] [(٢)] عليه السلام منهم محمد ابن أحمد بن يحيى بن يحيى وعلى بن جعفر بن حمزة ، ومن بنى حمزة جماعة منهم الشريف الأجل حمزة بن سليمان وجعفر وإبراهيم ابنا محمد بن الحسين ، ومن بنى العباس رجال وكان له فى مسجد سناع مدرسة فعارضه المطرفية بمدرسة أخرى فى

---

(١) شظب بالفتح ، جبل واسع يطل على مركز السودة وإليه تنسب سودة شظب .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ٣ ص ٤٥٢؛ المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٣٦٥ .
(٢) مابين الحاصرتين إضافة .

جانب المسجد ، فقام الشريف على بن جعفر فأطفأ سراجهم فعادوا فأطفأوا مصباح القاضى وأصحابه ووقع بينهم كلام فارتفع القاضى إلى منزله فرجموا لهج بيته فى الليل . فتقدم إلي السلطان أحمد بن الجبير بن سلمة الشهابى وسأله الجوار وطلب أن يبنى هجرة تحت قيفان قريبا من وقش فلم يتم له ذلك ، فتقدم إلى نواحى عنس فبنى هجرة فى العشاو [1] ثم تقدم إلى بشار وأثبت مدرسة هنالك والتأم إليه قوم كثير من عنس وزبيد .

قال : فلما أن وصل الشريف العفيف إلى الإمام عليه السلام إلى بيت الجالد وقص عليه القصص قال قد وجبت على فريضة القاضى ونصرته ونصرة من قد صحبه وعودى فيه ، فواعد الشريف العفيف للتقدم إليه وعزم عليه . فلما عاد إلى مسلت وأقام بها أياما تقدم فى شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين طريق مسور والباقر إلى أن وصل حضور الأحبوب فوصله الشريف العفيف والقاضى جعفر بن أحمد بن يحيى إلى هنالك وأعلماه بجميع ما لحقهم من المطرفيه ، وضرب القاضى الأجل مثلا آخر للمطرفية فقال ، مثلهم ومثلى كمثل عراة فى مسجد وهم فى ظلمة الليل وأصواتهم مرتفعة بالقراءة والصلاة وهم يصلون عراة إلى غير قبلة فدخل عليهم رجل بمصباح فوجدهم على أقبح فعال عراة ، فأجمعوا على الذى دخل بالمصباح يلعنونه ويسبونه ، فقال ليس لى جرم غير أنى دخلت بمصباح فقالوا بلى إنك أظهرت ما كنا نكتمه فهذا مثلى ومثل القوم . فلما وصل الشريف الأجل والقاضى إلى حضور الأحبوب تقدم الإمام عليه السلام وهما معه

---

(١) العشاو قرية من عزلة وادى الحار ، ناحية عنس ، محافظة ذمار .
التوزيع السكانى فى محافظة ذمار ، ص ٥٩ ؛ التعداد السكانى التعاونى لمحافظ ذمار ، جـ ١ ص ٢٢ .

ومن زادهم من المسلمين من أهل سناع وغيرهم ، فضرب مواعيد لأهل حضور وتحدث معهم وعرفهم بخلاف المطرفية في الدين وماهم عليه وأنهم قد نكثوا البيعة وأظهروا البدعة ، فتبرأ أهل حضور منهم وواعدهم وتقدم إلى بلد بكيل فجمعهم وتحدث معهم مثل ذلك . وكان في بلاد بكيل رجل من آل عبد الرحمن من جنب وهو يحبهم ويعتقد معتقد المطرفية يقال له زياد بن غانم وقد كان ممن بايع وجاهد ولكنه ممن نكص على عقبيه ، فرد على الإمام الكلام وناب عنهم وقال ، إنهم قوم مسلمون أهل هجر وصلاة وتعليم ولم يأتوا بخطأ ، فغضب الإمام عليه السلام وسكته وقال : وما معرفتك بالمسلمين وأنت لاتدرى ما [(١)] الإسلام ومن أهله؟ فراح الجنبى فلزمه داء من آخر نهاره يقال له الاستسقا لا يشبع ولا يروى، وكبر بطنه حتى صار عاليا عليه فأقام قدر أربعة أشهر على الموت ثم مات لا رحمه الله . وكان رجل من آل الأشعث أيضا حريصا في معونتهم وفيما يضر الإمام فمرض فمات في تلك المدة أقبح ميتة . فلما عرف الإمام عليه السلام بحالهم تقدم إلى بلاد عنس وزبيد يريد الجمع لهم ، فلما وصل ناحية ذمار وقد كان أصحاب ابن مهدى خرجوا إلى مخلاف جعفر بعد أن ملكوا أكثر اليمن فوصلوا في قدر ثمان مائة فارس وقدر ألف رجال مابين قايس وتارس ، ومعهم ألف جمل تحمل أزوادهم ومعهم البقرات يحلبونها والبقر يذبحون منها وقد كانوا أضروا بجنب . فلما علمت جنب بوصول الإمام وهم في محطة في نقيل صيد[(٢)] في أعلاه عند حصن سمارة وقد وقف فيها عبد الله بن يحيى وزيد بن عمرو

---

(١) في الأصل من .

(٢) صيد بسكون الياء ، جبل في بنى سرحة ، في رأسه النقيل ، وهو طريق المسافرين من المخادر إلى بلاد يريم ، ويعرف الآن بنقيل سمارة .
ياقوت ، معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٣٠٣ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ١ ص ٤٨ .

وشيوخ من عبيدة وغيرهم ، ففرحوا بوصول الإمام عليه السلام وأهرجوا بالكلام إلى أهل تهامة بأن الأمام قد وصل ناصرا لنا وممدا . فلما علم بذلك جنود ابن مهدى واشتوروا وقالوا إن سيدهم على بن مهدى أوصاهم أن لا يقابلوا الإمام أحمد بن سليمان ولا ينتصبوا لحرب . وقالوا هم أحق من حفظ وصية سيدهم فانقلبوا إلى زبيد ، فلما وصلوا زبيد وصلهم العلم أن الإمام قد تقدم إلى بلاد عنس وزبيد وأنه لم يأت فى شأن جنب ولا قاربهم ، فلما علموا بذلك انقلبوا لثمانية أيام ووصلوا السحول ووقع بينهم وبين جنب لقية فهزموا جنبا وقتلوا منهم رجالا قدر عشرين رجلا وأخذوا خيلا كثيرة ودروعا وحازوا محطتهم وأخذوا إبلهم وأزوادهم وجميع ما كان فى المحطة . فلما كان ذلك تزعزعت ذمار وأهلها وخافوا خوفا شديدا فعمد إلى الإمام عليه السلام مشايخ أهل ذمار وقد حيزوا أكثر أموالهم إلى صنعاء وإلى بلاد بكيل ، فعاد معهم الإمام إلى ذمار وأقرهم فى منازلهم وجمع جنبا وحلفهم على طاعة الله وطاعته فحلفوا وأمرهم بالإجتماع فى حلة فى ذمار قريبا من مضربه فاجتمعوا وأقاموا هنالك مدة . فلما علم بذلك أهل زبيد وكانت عك جمهور عسكرر ابن مهدى وهم الذين نصروه وقاموا معه ، وكان شيخ من رؤسائهم يقال له أحمد بن على الحرامى قد كان خرج من جملة ابن مهدى ووقف فى موضع من حازة تهامة قريب من ظاهر نبهان [١] مخالفا عليهم ، فعند ذلك كاتب الإمام واستدعاه واستنهضه إلى تهامة ووعده إنه يُدخل عكاً فى طاعته . وكاتبه فكتب إليه الإمام كتبا وكان فيها كتاب دعوة نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله المتوكل على الله والداعى إليه والمجاهد

---

(١) نَبْهان جبل بالجنوب من مخلاف الحدب من أعمال بنى شهاب الأسفل .
السياغى ، معالم الآثار ، ص ٣٤ ، المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٦٩٢ .

في سبيله أمير المؤمنين أحمد بن سليمان بن الهادى إلى الحق المبين يحيى بن الحسين بن رسول الله صلى الله عليهم أجمعين وآلهم الطيبين ، إلى الكافة من المسلمين الراغبين في الاعتصام بحبل الدين سلام عليكم . فإنى أحمد إليكم الله الذى بهر برهانه وغمر إحسانه وعمت آلاؤه وحسن بلاؤه ، وأسأله أن يصلى على جدنا محمد خاتم الأنبياء ووصيه سيد الأوصياء ، والشجرة التى أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وعلى عترته الأبرار المصطفين الأخيار الذين هم ينابيع العلم وعيونه ورضاب الحق ومعينه مفاتيح أقفاله ومصابيح حرامه وحلاله . قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله حكاية عن ربه عز وجل أنه قال : أنت شجرةٌ عليٌ أغصانها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها ، خلقتها من طينة عليين وخلقت شيعتكم منكم إنهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف لم يزدادوا لكم إلا حبا . وقد شيد ذلك ما روى عن جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله فى أهل بيته أنه قال فى كل خلف من أهل بيتى عدول ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين . ثم إنى أتيتكم عباد الله من فضل أهل بيت نبيكم على مالا يتوارى نوره ولا يتبارى يسيره ، فإنهم علائق للنجاة ووثائق للفوز من المهلكات . قال جدنا رسول الله صلى الله عليه وآهله : مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى . فكما علمتم عباد الله أن أمة نوح كلها هلكت إلا من ركب السفينة فكذلك يهلك من أمة نبينا صلى الله عليه وآله من لم يتمسك بعترته الطاهرة الأمينة ، وهذا موضع التشبيه بين الأمتين والتنبيه على عظم خطر الحالتين والذى لا يتمارى فيه العارفون ولا يختلف فى صحته المتفقون « وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إلاَّ

الْعَالِمُونَ » [١]. فرض الله سبحانه مودتنا أهل البيت على قاصى الأمة ودانيها ومطيع البرية وعاصيها فقال عز من قائل « قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » [٢] . وقال رسول الله صلى الله عليه وأهله : أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى . وروى عنه عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى جعل أجرى عليكم المودة فى القربى وإنى سائلكم غدا ومحف لكم فى المساءلة وحرم بغضنا على الأحمر والأسود، وجعلنا بابا إلى عذاب الأبد والهلاك المخلد وإحباط محاسن الأعمال وحرمان الجزيل من النوال . وقد شهد بذلك ماروى عن جابر بن عبد الله قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وقال : أيها الناس من بغضنا أهل البيت بعثه الله يهوديا . قلت يارسول الله وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ، قال وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم . ثم أمر بمتابعتنا وضمن النجاة لأهلنا ونهى عن مخالفتنا وعلق الضلالة بمن فعلها فقال عز من قائل « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ » [٣] . فنحن أولوا الأمر الذين أمر الله سبحانه بطاعتهم وأوجب على عباده فرض متابعتهم . وقد روى رواية مشهورة عن جدنا رسول الله صلى الله عليه وأهله أنه قال : إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتى أهل بيتى . وجعلنا كالنجوم للهداية إلى الدين والبيان لمعالم اليقين بما ورد عن لسان رسوله الأمين صلى الله عليه وأهله الأكرمين أنه قال : مثل أهلى بيتى كالنجوم كلما أفل نجم طلع نجم . ولما انتهى الأمر فى هذا الزمان إلىّ ووجب فريضة النظر فى الملمات علىّ ورأيت ما

---

(١) سورة العنكبوت ، آية ٤٣ .
(٢) سورة الشورى ، آية ٢٣ .
(٣) سورة النساء ، آية ٥٩ .

شاع من الطغيان والمنكر وظهر من الفساد فى البر والبحر لم يسعنى دين الإسلام ولا جاز لى فى مذاهب الأسلاف الكرام أن أتسربل سرابيل الونى ولا أن أسدل على نفسى أستار الهوينا ولا أن أركن إلى زينة الحياة الدنيا ولا أن أطلب لذتها التى تبيد وتفنى . وقد سمعت الله تعالى يقول « مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (١) . فعلمت أن لزوم الفريضة لى بالدعاء للحق إلى الله والجهاد فى سبيل الله . قال تعالى : « وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ » (٢) . وقال : « وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (٣) . ولا شك فى وجوب الإجابة عليكم وتوجه فرضها إليكم قال الله عز من قائل « يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ » (٤) . معاشر المسلمين أجيبوا دعوتى فإنى أدعوكم إلى أن تحيوا ما أحياه كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وإلى توحيد الله سبحانه العلى الكبير حتى لا يشبهه أحد من خلقه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير (٥) . وتعديله حتى لا يجوّر فى شئ من فعله « إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون » (٦) . وتصديقه حتى لا يكذب فى شئ مما

---

(١) سورة هود ، آية ١٥ ، ١٦ .
(٢) سورة فصلت ، آية ٣٣ .
(٣) سورة آل عمران ، آية ١٠٤ .
(٤) سورة الأحقاف ، آية ٣١ ، ٣٢ .
(٥) اقتباس من سورة الشورى ، آية ١١ .
(٦) سورة يونس ، آية ٤٤ .

نطق به القرآن الكريم: « وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ »[(١)] . وإلى موالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله ، فأوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فيه . وقد ورد عن جدنا رسول الله صلى الله عليه وأهله أنه قال: من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان ، وإلى إقام الصلاة فإنها عماد الدين وشعار المسلمين ، وإيتاء الزكاة فإنها جنة من النار وطهرة من الأوزار وصوم شهر الصيام والحج إلى بيت الله الحرام ، وبر الوالدين وصلة الأرحام ، وأداء الأمانات إلى البار[(٢)] والفاجر والحكم بالحق في الرضا والغضب ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله الذى هو من الإسلام بمنزلة الرأس من الجسد وهو واقع على كل مسلم بالنفس والمال اللذين اشتراهما الله سبحانه من عباده بالجنة التى عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . قال الله عز من قائل « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»[(٣)] . ثم إن القيام بما يجب بعد هذا من فرائض الله سبحانه التى هى طريق إلي الجنة واجتناب معاصيه التى هى طريق إلى النار ؛ فاذكروا عباد الله لذات المعاصى وبقاء تبعاتها ، واعلموا أنه لاخير فى لذة من بعدها النار ، واتقوا معاصى الله فى الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم ، واجتنبوا سوء الظن بربكم وسوء الاعتقاد فيه ؛ فإن « الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا »[(٤)] . واجتنبوا مكارهه منكم « وَذَرُوا

---

(١) سورة الأنعام ، آية ١١٥ .

(٢) فى الأصل البر .

(٣) سورة التوبة ، آية ١١١ .

(٤) سورة الفتح ، آية ٦ .

ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ » (١) . ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تكسبوا الحرام ولا تظلموا الأيتام « وَلا تَبْخَسُوا النَّاس أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِيــــن » (٢) . ولا تشربوا الخمر ولا شيئا من المسكرات فإنها أم الخبائث ، ولا تقربوا الزنا ولا تجمعوا الربا ، وانتهوا عما نهاكم عنه ربكم . قال الله سبحانه « وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُم (٣) وَإِيَّاكُمْ (٤) إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيراً . وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيــلاً . وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنــصُوراً . وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيــمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً . وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً . وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً . وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً . كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا . ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ الـــلَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا » (٥) . واتقوا الله في السر والعلن ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأدعوكم إلى خصلة هي نظام الإيمان وكمال الأديان ، وهي محبة أهل بيت نبيكم واختيار طريقهم طريقا لكم ، فقد روى عن جدنا رسول الله صلى الله عليه وأهله أنه قال : لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه ، وأهلي أحب إليه من أهله ، وعترتي أحب إليه من عترتـــه

---

(١) سورة الأنعام ، آية ١٢٠ .

(٢) سورة الشعراء ، آية ١٨٣ .

(٣) في الأصل نرزقكم .

(٤) في الأصل وإياهم .

(٥) سورة الإسراء ، آية ٣١ – ٣٩ .

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» [١] . فإن أطعتمونى وجدتمونى هاديا مهديا أحملكم على المحجة البيضاء بعون الله وحسن توفيقه ، عليما بموارد الأمور ومصادرها ، ورعا عن مظالم العباد التى هى ظلمات يوم القيامة ، نقى الجيب مأمون السر [٢] والإعلان من الفحش والريب ، صحيح الطوية سليم القلب على الرعية ، رحيما بالمؤمنين شديدا على الكافرين ، عادلا فى القضية قاسما بالسوية ، حافظا لبيضة الإسلام حائطا لأركان الدين عن الإنهدام ، سمحا بوضع الحقوق فى مواضعها ، مقداما عند تلاطم أمواج الحروب وتدافعها ، مجاهدا فى سبيل الله بذالا لنفسى وما حوته يدى فى مرضاة الله ، معروف النسب من العترة الطاهرة فى بحبوحة شرفها وفوق كاهل عزها ، تابعا لآبائى أعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين هم عروة الله الوثقى وأهل البر والتقوى ، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده [٣] ، هداة الخلق إلى الحق المبين وسفينة الحياة من العذاب المهين « قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ »[٤]. « إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ » [٥] « فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا [٦] عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ » [٧] . عباد الله فاسمعوا دعائى وأجيبوا ندائى وأعينونى على إقامة قناة الدين ، ورفع منار الحق اليقين ، وقوموا فى ذلك بالجد والاجتهاد ، وأشعروه نفوسكم فى الأغوار

---

(١) سورة يوسف ، آية ١٠٨ .

(٢) فى الأصل الشر .

(٣) اقتباس من سورة الأنعام ، آية ٩٠ .

(٤) سورة الشورى ، آية ٢٣ .

(٥) سورة ص ، آية ٨٧ ، سورة التكوير ، آية ٢٧ .

(٦) فى الأصل فإن . وكذلك فى آخر كلمة المبين فإنها فى الأصل المؤمنين .

(٧) سورة النور ، آية ٥٤ .

والإنجاد ، وانظروا لمعادكم ماذا تقدمون ، واتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون [١] ، وشمروا عن سوق الجد فى الأمور ، وأخلصوا فى الورود والصدور ، واعلموا بما روى عن جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المواعظ النافعة والحكم البالغة ، وإذ قال يا معشر المسلمين شمروا فإن الأمر جد، وتأهبوا فإن الرحيل قريب ، وتزودوا فإن السفر بعيد ، وخففوا أثقالكم فإن وراء كم عقبة كئود لا يقطعها إلا المخفون ، أيها الناس إن بين يدى الساعة أمورا شدادا وأهوالا عظاما وزمانا صعبا ، يتملك فيه الظلمة ويتصدر فيه الفسقة ، فيضطهد فيه الآمرون بالمعروف، ويضام الناهون عن المنكر ، فأعدوا لذلك الإيمان وعضوا عليه بالنواجذ . والجأوا إلى العمل الصالح وأكرهوا عليه النفوس ، واصبروا على الضراء تفضوا إلي النعيم الدائم ، وهذا منه صلى الله عليه وآله إرشاد وبيان وتعريف بنوائب الزمان ، ولعل هذا الوقت هو الذى عناه صلى الله عليه وآله بهذه الصفة ، ومثّل صورته فى قلوب أهل المعرفة ، وقد ظهر فى كافة النواحى والأقطار ، وانكشف عند البادين والحضار ، ما حدث ممن بتهامة من الظلمة الفجار الفسقة الكفار ، الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيهاالفساد فبدلوا الأحكام تبديلا ، ورضوا بالكفر من الإسلام بديلا ، وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا [٢] . « وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا [٣] آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ » [٤] عباد الله فانصرونى على جهادهم وجهاد من شاكلهم فى ظلمهم

---

(١) اقتباس من سورة آل عمران ، آية ١٠٢ .

(٢) اقتباس من سورة الأعراف ، آية ١٤٦ .

(٣) فى الأصل عليه .

(٤) سورة الأعراف ، آية ٢٨ .

وعنادهم فإني لا أعلم أمرا من الجهاد أرضى لله سبحانه من غزوهم إلى عقر دارهم ، والمسير إلى استئصال شأفتهم ودمائهم . « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ . إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [1] . وتزودوا فإن خير الزاد التقوى [2] . واجعلوه ذخيرتكم ليوم المعاد ، «فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ » [3] . « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » [4] . والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . وصلى الله على سيدنا محمد النبي جدنا قائد الغر المحجلين ، وعلى أخيه إمام المتقين ومجاهد الناكثين [5] والقاسطين والمارقين ، وعلى زوجته فاطمة سيدة نساء العالمين ، وعلى ولديهما الحسن والحسين سيدى شباب أهل الجنة من الأولين والآخرين ، وعلى الأئمة من ولديهما الطيبين ، وسلام عليهم أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . تم ذلك .

قال : فلما وصلت هذه الدعوة والكتب التى معها إلى ابن الحرامى أوقف عليها جميع أصحابه وكان فيهم ابن عم له يقال له محمد بن كبانة وهو من فقهاء الشافعية ، فلما وقف على الكتب أمر بها فطرحت فى مشهد ابن مهدى بزبيد فوقعت فى يدى عبد الله بن على بن مهدى من إخوته ؛ فعلموا أن الخلل معهم

---

(١) سورة التوبة ، آية ٣٨ - ٣٩ .
(٢) اقتباس من سورة البقرة ، آية ١٩٧ .
(٣) سورة غافر ، آية ٤٤ .
(٤) سورة النحل ، آية ٩٠ .
(٥) فى الأصل الماكثين .

وأنه قد وقع فيهم ، فمازالوا يبذلون لابن الحرامي ولمشايخ عك الأموال الجزيلة ويعدونهم الجميل منهم والملك حتى استمالوهم وأدنوهم ثم فتكوا فيهم فقتلوهم وفيهم الشيخ ابن الحرامي وابن الأفعس ، ومن وجوه عك ثلثمائة فارس وخمسين فارسا وقوما من الحبشة فأمنوا شرهم وضعفوا بذلك نفوسهم ، لأن هؤلاء المقتولين من عك وجوه أصحابهم وجندهم ومن رؤسائهم وأهل حدهم فضعف أمرهم واختل حالهم ولم يبق لهم طاقة يبلغون بها حيث كانوا يبلغون . وافترق أولاد ابن مهدى وباقى أصحابهم فى ذات بينهم ، وألقى الله سبحانه بينهم العداوة والبغضاء ، وذلك من توفيق الله وتسديده وعونه وتأييده للإمام عليه السلام . قال الله تبارك وتعالى « أَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ » [(١)] .

قال : وقد كان الإمام عليه السلام وجه القاضى الأجل على بن عبد الأعلى بن أبى يحيى إلي عدن داعيا له ، وأمر معه بهذه الدعوة التى قدمنا نسختها ، فلما وصل بها عدن ، ودخل على عمران بن محمد بن سبأ فأعلمه بأخبار الإمام عليه السلام ، وما قد عزم عليه من أمر الحلة والقيام، وذلك أن الإمام عليه السلام قد كان حرك الناس وضرب مواعيد لهم وملاقى ، منها لقاء إلى جهران حضره السلطان على بن حاتم وكافة همدان وجنب وسنحان ومذحج وغيرهم من قبائل قحطان فجدد عليهم الأيمان والعهود وأخذ منهم المواثيق من العقود على المنهض معه لزبيد لحرب أهل الكفر والعناد فأجابوه إلى ذلك . واجتمعت جنب إلى حلة لهم بذمار حول مضرب الإمام عليه السلام ، وأتوا من نواحى بلادهم . قال : فلما

---

(١) سورة المائدة ، آية ٦٤ .

أن أعلم القاضى المقدم ذكره عمران بن محمد [١] بن سبأ بذلك سره وأجذله وقال: إن ابن مهدى قد كان أضر بمخاليفه وأخذ أكثر بلدانه واستولى عليها ، فأخذ لحجا وأبين والجند [٢] والجوة [٣] والسحول ، وأحرق مسجد الجند وما كان فيه من المصاحف ، وقتل فيه الأطفال والعجائز العواكف وغيرهم من ضعفة الخلق . وقد كان عمران بن محمد منه فى خوف عظيم على باقى بلدانه ، فسره قيام الإمام عليه السلام وإجماع الناس معه على القيام ، فقال القاضى أوقفنى على هذه الدعوة التى معك ، قال هى إلى غيرك . قال : لابد أن توقفنى عليها فسلمها إليه فقرأها وتدبر ما فيها وأعجب بها وحفظها وأقامت معه ما تفارق يده، وكلما دخل عليه القاضى وجدها بين يديه ينظر فيها . ثم إنه سفر إلى الإمام عليه السلام هذا القاضى ورجلا معه من يام يقال له محمد بن على فوصلا إلى الإمام وسألاه اللقاء له والمواجهة إلى المخلاف فكره ذلك . وقد كان عمران بن محمد أهدى هدايا سنية وعطايا جزيلة للإمام وأعلم بها القاضى فلم يلتفت الإمام إلى شئ من ذلك وكره لقاءه إلى هنالك . قال : فلما أن ضعف أمر أولاد ابن مهدى وفل حدهم وانكسرت شوكتهم وقرب الإمام عليه السلام منهم إلى حصن سماه [٤] بمقرا فطلعه فأقام به مدة أيام . فلما علموا به فروا من زبيد

---

(١) فى الأصل أحمد .

(٢) الجند بفتح الجيم والنون ، مدينة فى الشمال الشرقى من مدينة تعز بمسافة ٢٢ كيلوا ، سميت باسم جند بن شهران

نشوان ، منتخبات ، ص ٢٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ص ١٦٩ ، المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٣) الجوة بضم الجيم وهمزة على الواو ومفتوحة ثم هاء ، تقع فى جبل الصلو تحت قلعة الدملوة . الجندى ، السلوك ، جـ ١ ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٤) حصن سماه فى عزلة علي الشرقى ناحية عتمة ، قضاء ذمار .

الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٣ ص ٥٧٧ ، التوزيع السكانى فى محافظة ذمار ، ص ١٣٩ .

وحيزوا أموالهم من زبيد [١] إلى قوارير ، ودخلهم الرعب والخوف ، فعلم الإمام عليه السلام أنه إن نزل لهم بمن قد أجابه من قحطان أخذهم لا محالة وأفناهم عن آخرهم وأهلكهم . وقد كانت في أيديهم سبايا من بني سليمان ومن همدان وخولان وحمير والحبشة ، فعلم الإمام عليه السلام إذ ذلك أنهم يقهرون ويغلبون وتؤخذ السبايا التي في أيديهم وتغلب عليهم هذه الجموع ولا يحتكمون حينئذ له لما معهم من الحنق عليهم والضيم ، وإن معرتهم غير مأمونة إلى أن يحكم برأيه ويأمر بأمره . وقال هؤلاء يأخذون هذه السبايا ويفرقونها أيدي سبأ [٢] في البلاد فرأى أن يجعل ذلك المخرج في وقت آخر إلى أن يستنهض بني سليمان وكافة بني حسن ويكونوا أولى بأخذ الثأر وأطوع للأمر من غيرهم وأحق بالعز من سواهم ؛ فرأى المعاودة عليه السلام إلى بلاده وأمر جنبا فتفرقوا من حلتهم وأمر بقلع مضربه من هنالك ، وقد كان لما هم [٣] أيضا على المطرفية بالمخرج إليهم والمحاربة لهم حتى يعودوا عما هم فيه من البدع والضلال ونكث البيعة وسوء الفعال وهو عليه السلام ببلاد زُبَيْد فارتاعوا لذلك ، ووصل إليهم شيخهم إبراهيم ابن عبد الله الحجلم في جماعة من أصحابه وصلوا بحريم لهم ونفر فعمدوا إليه وهو في جانبه بصياح وحضرت عنس وزبيد فاعترف إبراهيم الحجلم وأصحابه بالخطأ ونكث البيعة وأنهم قد أتوا بخلاف الدين ، وأقروا للإمام عليه السلام بالإمامة وطلبوا منه الصفح عنهم والعفو والقبول لتوبتهم فتاب عليهم وعفا عنهم .

---

(١) وادي زُبَيْد في بلاد عنس جنوب ذمار وهو غير زُبَيْد صعدة .
الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ص ٣٤٧ ، ص ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٢) ذهبوا أيدي سبأ ، وتفرقوا أيد سبأ . أي تفرقوا تفرقا لا اجتماع معه .
الميداني ، مجموع الأمثال ، جـ ١ ص ٢٧٥ .

(٣) في الأصل هن .

وتقدم إلى بلاد بنى شهاب ، فافترقت أهل وقش فرقتين ، فرقة هربوا من الإمام وأضروا على الأنام ، وفرقة أطاعوا وتابوا واستغفروا فقبل منهم ، ودخل وقشا [١] وأحل بها القاضى الأجل جعفر بن أحمد بن أبى يحيى بأهله . ثم أقام هنالك وكتب كتابا ألفه وسماه كتاب الرد على من طعن فى السيرة تأليف الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بن الهادى إلى الحق ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلواته على محمد النبى وأهله أجمعين أما بعد : فإنه سألنى بعض إخواننا من المسلمين عما طعن به بعض المخالفين علينا فى السيرة والقيام ، والاستعانة بالجند والأعوان [٢] ، وغيرهم من العصاة فأجبته بأن لا مطعن علينا فى ذلك ؛ لأن لى فى ذلك أسوة برسول الله صلى الله عليه وأهله وسلم ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام ، وبأئمة الهدى على جميعهم السلام ، فمن طعن علىّ فى ذلك فقد طعن على رسول الله صلى الله عليه وأهل بيته ، لأنه استعان بالمنافقين كعبد الله بن أُبى بن سلول وبأصحابه وبالمخالفين فى الدين كالأقرع بن حابس وعيينه بن حصن وغيرهم ، و كذلك أمير المؤمنين عليه السلام كان جنده أهل الكوفة ، وكانوا قد سمعوا قول رسول الله صلى الله عليه علىٌّ منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى ، وقوله من كنت مولاه فعلى مولاه وغير ذلك من أدلة إمامته عليه السلام ، ثم قدّموا عليه بعد ذلك أبا بكر وعمر وعثمان ، فلما خافوا معاوية بن أبى سفيان فى قتلهم لعثمان رجعوا إلى على عليه السلام فأقاموه

---

(١) فى الأصل وقش .

(٢) فى الأصل : الأعوام .

لدنيا لا للآخرة . ولهذا كان يشكوهم ويذكرهم بضعف الأديان ويقول فيهم بأشباه الرجال ولا رجال ، والله لوددت أن معاوية بن أبى سفيان صارفنى بكم صرف الدنانير بالدراهم فيأخذ عشرة ويعطينى واحدا . ويبين ذلك ما فعلوه معه فى آخر أيام صفين من التفرق عليه والخروج عليه . كذلك الحسن بن على عليه السلام قام بالقوم الذين قام بهم أبوه فبايعهم على النصرة له والقيام معه ، فلما تجهز بهم لحرب معاوية فى عسكر عظيم فكان صاحب مقدمته عبيد الله بن العباس خذله واستسلم إلى معاوية طمعا فى حطام الدنيا ، فلما بلغ الخبر إلى باقى عسكر الحسن عليه السلام ثاروا عليه فانتهبوا متاعه ودخلوا سرادقه وجرحه رجل منهم فلم يكن ضعف أمره إلا من أنصاره . وكذلك قصة الحسين بن على فى مكاتبة أهل الكوفة له وبذلهم لنصرته والقيام معه ، فلما وصلهم بعد أن أخذ له مسلم بن عقيل البيعة على بشر كثير منهم فخذلوه وخرج أهل الكوفة لمحاربته حتى حدث عليه ما حدث منهم فكان خذلانه بأيدى أنصاره .

وكذلك زيد بن على عليهما السلام لما قام ودعا بايعه بشر كثير من أهل الكوفة ثم ظهر خذلانهم له وأسعر من نصره . وفى الرواية أنه أرسل صاحب رايته فدعا أهل البيعة وهم بجامع الكوفة فقال يا أهل المسجد هذه راية زيد بن على فسدوا آذانهم ، فأدخلها من كوة المسجد فأكبوا ساجدين لأن لا يسمعوا ذلك ولا يروه . وكان أكثر من بايعه مخالفاً له فى المذهب على ما ذلك ظاهر من أهل العلم . وكذلك محمد وإبراهيم ابنا عبد الله وأخوهما يحيى كانا ممن قام ودعا للنصرة إن أقواما [١] مخالفين فى المذهب ظهر خذلانهم ثم كذلك محمد بن إبراهيم لما قام ودعا كان أمير جيشه أبا السرايا ولم يعلم أن الذى حمله على نصره هو طلب

---

(١) فى الأصل : أقوام .

الدنيا وإنما كان ذلك لعداوة بينه وبين بنى العباس . وكذلك القاسم بن إبراهيم فقيامه مشهور لمن بايعه من المحسنين [ ] [1] فسألوه عن أبى بكر وعمر فقال إنه كان لنا أب صديق وأم صديقة [ ] [2] وهما غضبانان عليهما ونحن غاضبون لغضبهما ومرقوا عنه عند ذلك . وكذلك الهادى إلى الحق عليه السلام لما قام دخل اليمن وهم مطبقون على الجبر والكفر فاستعان ببعضهم على محاربة البعض الآخر كاليرسميين والفُطيميين [3] والعشيين [4] حتى جرى على يديه ما جرى . وكذلك الناصر عليه السلام فإنه كان يستعين بقبيلة على قبيلة وكان أكثرهم يخالفون الدين ، غير قائمين بما يجب عليهم . وعلى هذا السبيل جرت أحوال الأئمة عليهم السلام وكتبهم أظهر بجواز الاستنصار بالمخالفين وذلك مشهور وكتب لا تنزع واردة بذلك كالأحكام وغيره ، فهذا ثابت معلوم فى شريعتنا ومن سيرة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الأئمة الطاهرين بعده . وعلى هذا جرت شرائع من قبله . فإن موسى صلى الله عليه كان يستنصر بأقوام لم يكن منهم من يلتزم بحبل طاعته إلا الشاذ النادر ولهذا قالوا اذهب أنت وربك فقاتلا إن هاهنا قاعدون [5] . وكانوا مطبقين إلا من عصم الله منهم على الجهل بالله وبدينه ، وترك القيام بما يجب عليهم ، ولهذا قالوا له لما جاوزوا البحر ونجوا ن الغرق « فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا

---

(١) بياض فى الأصل بمقدار كلمة واحدة .

(٢) بياض فى الأصل بمقدار كلمة واحدة .

(٣) الفُطَمْيون من قبائل صعدة ، يسكنون قرية الغيل بينها وبين صعدة ما يقرب من نصف ميل . العباسى ، سيرة الهادى ، ص ١٣٣ .

(٤) هكذا فى الأصل وفى سيرة الهادى العنِّيون . العباسى ، سيرة الهادى ، ص ٤٠٦ .

(٥) اقتباس من سورة المائدة ، آية ٢٤ .

لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ » [١] . ومع ذلك فإنه صلى الله عليه استقام على مسايرتهم وأقام بعد ذلك معهم وهم يتيهون فى الأرض بعد أن أمرهم بدخول الباب سجدا فأبوا . وقصصه مشهورة فى هذا وفى غيره مما لو أوردناه لطال ؛ فالطاعن علينا فى الاستنصار بالعصاة هو طاعن على من قدمنا ذكره من أنبياء الله سبحانه وأئمة الهدى ، ولكن الجهل يحمل أهله على إنكار مالا يعلمون وقد قال الله حجته : « بل كذبوا بما لم يحيطون بعلمه ولما يأتيهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين » [٢] . وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : الناس أعداء ما جهلوا. وعنه عليه السلام أنه قال : من جهل شيئا عاداه. وقد روى عن النبى عليه السلام أنه قال : إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ؛ وعنه عليه السلام أنه قال : إن الله يؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم . هذا وأمثاله مما يوضح أن الاستنصار بالعصاة جائز وما علمنا أن خرجنا معهم مخرجا إلا ومعنا من أهل الدين طائفة قوم يتمكن بها من إنفاذ أحكام الله سبحانه على من عصاه ، ولم يكن سائرهم يتمالؤون على العناد والمخالفة لنا بل لا ينصر أمرنا إلا من غلب فى ظننا أنا نقدر على إنفاذ حكم الله فيه بمن أطاع ولا يطعن علينا فى ذلك . ومما طعنوا به علينا المصالحة لحاتم ابن أحمد وسائر الجند من همدان ، ولا مطعن علينا فى ذلك لأنا بذلنا الجهد فى محاربتهم ولم نرض بمصالحتهم لما وجدنا الأنصار عليهم فى ذلك . ولما صالحتهم جنب وهم أقوى جندنا ولم يبق معنا من الجند من يتمكن من جهادهم به صالحناهم على صيانة المسلمين وأمانهم وصيانة كل من يتعلق بنا وينسب إلينا كالأبناء وبنى

---

(١) سورة الأعراف ، آيه ١٣٨ .

(٢) سورة يونس ، آية ٣٩ .

شهاب وغيرهم ، وقطع خطبة الباطنية وجمعتهم فرأينا ذلك أصلح للإسلام والمسلمين . وسعينا فى تقليل الظلم والكفر بحسب الإمكان لما لم نتمكن من إزالته بالكلية ولو كان علينا فى ذلك طعن لكان بمثله الطعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ صالح المشريكين فى عام الحديبية ، ومن جملة صلحهم أن من أسلم منهم إلى رسول الله صلى الله عليهٔ وآله منهم رده إليهم ، ومن ارتد من أصحابه رده . وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله من اختار الكفر على الإيمان فأبعده الله ، وكذلك فقد صالح أمير المؤمنين عليه السلام معاوية على عقد الهدنة وتحكيم الحكمين وذلك مشهور ومعروف ، وكذلك الحسن بن على عليهما السلام فإنه صالح معاوية صلحا مشهورا لَماً لم يقدر على جهاده واستولى معاوية على أكثر البلاد جميعها ، ولما أنكر عليه الجهال صلحه وأكثر الناس عليه الكلام فى مهادنته لمعاوية قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وآله وذكر قصة موسى وهارون عليهما السلام وفعل قومهما وكونهما مستضعفين فى بقية منهم ، وذكر ما كان من النبى صلى الله عليه وآله من اللقية لقومه واكتنانه فى الغار . وذكر ما كان من لقية أمير المومنين عليه السلام من عقلته من أخذ حقه وكان ذلك لفقد الأنصار . ثم ذكر قيامه بعد أبيه محتذيا مثاله . قال: وخرجت فى جمهور من الناس ، فلما صرت فى مظلم ساباط عدا على بعض المخالفين فطعننى بحربة كادت تأتى على نفسى ، فحملت إلى المدائن جريحا يومها أريد أن استقل من جراحتى لأنهض لقتال عدوى ، فبينا أنا كذلك إذ صرخ صارخ عسكرى ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل، فوثب الناس على فنقضوا بيعتى وانتهبوا أمتعتى وأخذوا خاتمى من يدى وسلبوا أحجال حرمتى .فجعلت أناشدهم الله فى حرمتى فنظرت فإذا أنا قليل الناصر كثير الواتر ولم يبق معى إلا طائفة من أهل بيتى لو قدمت بها لأقدمت ، ولو

أقدمت لقتلت ، ولو قتلت لباد الدين ، فدخلت فى التقية التى دخل فيها هارون ومحمد صلى الله عليهما وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين . ومن جملة ما تعلقوا به هو ما نأخذه من الأموال من مخالف أو موافق على جهة البر أو الإكراه وذلك مما لا مطعن علينا فيه ، لأن من أخذنا ذلك منه هو ممن عليه من حقوق الله سبحانه من زكاة ومظالم أكثر مما نأخذه منه من ذلك ، ولسنا مكلفين فى ذلك إلا بما نعلمه أو يغلب فى ظننا . ولا شك فى أن الإمام يجوز له استيفاء حقوق الله سبحانه برضا من عليه أو بكرهه فهذا هو الذى نعتمد عليه فى كل ما نأخذه من الأموال ولسنا نأخذ شيئا من ذلك لنسقط به حقا ، ولا لندخل به فى باطل ، وجواز ذلك معلوم فى الشريعة . بلى قد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه أحرق سكة كان فيها طعام لقوم محتكرين بالكوفة ولا شك أن إحراقه أكبر من أخذه ، ولا شك أنه يجب على الناس معونة الإمام بأموالهم إذا احتاج إليها ، كما يجب عليهم المعونة بنفوسهم . والمروى المأثور عن الهادى إلى الحق عليه السلام أنه طلب أن يأخذ من أهل صنعاء ربع أموالهم ليدفع بها شر ابن فضل ويجاهد فى سبيل الله ، فلما امتنعوا من تسليمه إليه مضى منهم وتركهم على ما ذلك مروى منه عليه السلام . ولا شك أن هذا الذى كان يأخذه عليه السلام من أهل صنعاء أكثر مما نأخذه أضعافا مضاعفة ، وهو عليه السلام قدوتنا فيما نفعله ، فالطاعن علينا هو طاعن عليه . فأما خراب فلم يقع ذلك منا إلا فى دور قوم ظهر عنادهم ، وكانوا فيما بدا كفارا [1] محاربين كأهل غيل جلاجل ومن يجرى مجراهم ، ولا شك أن للإمام أن يسطو على دورهم التى هى دور حرب بما أمكنه من قبض واستهلاك وذلك ظاهر من الشريعة . وأما من كان عليهم من الحقوق

---

(١) فى الأصل كفار .

أكثر مما هو لهم من الأملاك يكون للإمام أن يقبض على جميع ما هو لهم على وجه التضمين [١] ؛ فإن رأى أن هلاك تلك الأموال أصلح لإظهار الشدة والنكير على الظلمة ، ولقلة التمكن من الاستيلاء عليهم والخوف من أن يتركها على حالها فيقوى بها أمر الظلمة فيكون ذلك لما يراه من المصالح كما فعله أمير المؤمنين عليه السلام من تحريق طعام المحتكرين . وكما روى عن الهادى إلى الحق عليه السلام أنه أمر بقطع نخل أهل نجران وعنب علاف وخراب قرية تعرف بقرية النميص وهى لأهل علاف ، وخراب قرية تعرف ببطيحة بناحية حيدان ، وكان خرابها بيد أخيه عبد الله بن الحسين وذلك ظاهر مشهور لما حاربوه ونصبوا له العداوة ؛ وأمثال ذلك كثير . وأما خراب دور من ظهر منه عناد علينا وعداوة لنا ولم يكن معدودا من جملة من ذكرنا من الكفار ولا المصلحة فى الأموال ، فإن الوجه فى ذلك أنا إنما نفعله للتأديب والزجر عن أمثال ما فعلوه ، والأصل فى هذا ما فعله أمير المؤمنين عليه السلام فى طعام المحتكرين وما فعله الهادى عليه السلام فى قطع النخيل وخراب الديار لأن ذلك إنما جاز من حيث أنه تأديب وزجر عن ذلك الفعل القبيح فلا مطعن علينا فى شئ مما ذكر المخالف . ومما طعنوا به علينا محاربتنا لأهل صعده وحصارهم والامتناع من قبول توديتهم وصلحهم ، وإدام الحرب عليهم وسومهم أن يخرجوا من مساكنهم ودورهم ، فلا مطعن علينا فى ذلك لأنا لم نفعل ذلك إلا لما هم عليه من عدواتنا والسعى فى إفساد أمرنا سرا وجهرا بالحرب والعناد وأعمال الحيلة من الغيالة بالسموم . فهم ألبوا الأعداء لبيت النبوة عليهم السلام وقد ظهر ذلك منهم بقتلهم للأمير

---

(١) التضمين : القياس .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ضمن .

محسن بن الحسن رحمه الله ، وببذلهم الجهد فى الحرب وتوهين أمرنا وهم مع ذلك مستولون على هجرة الهادى إلى الحق عليه السلام ، مظهرون للقتال العظيم فيها والأماكن الطاهرة وموضع الدربين مغتصب فى أيديهم . لأن موضع أحدهما لأولاد الهادى عليه السلام وموضع الثانى بعضه مقبرة والبعض الآخر لأولاد الهادى عليه السلام ، فلهذا أمرناهم بالإرتحال من هذه المنازل وحاربناهم على الإمتناع من ذلك مع ما هم عليه من العداوة لنا ظاهرا وباطنا . فأى مطعن علينا فيما فعلناه بأهل صعدة لولا الجهل والغفلة عن أمور الدين ؟ ولو كان على الأمة حرج فى خراب الدور أو المنوع أو الحصون التى يتعزز فيها المخالفون ويحاربون الأئمة لما خرب الهادى إلى الحق عليه السلام القرى والمنازل التى ذكرناها ؛ وإذا كانت هذه المواضع مستقرا لأهل الفساد لا يمتنعون من إنفاذ أحكام الله سبحانه عليهم إلا بها ولا تقوم قناة الظلم والقتال إلا فيها كان خرابها من أعظم الصلاح فى الدين وأكبر القرب إلى رب العالمين . ولهذا ومثله فعل الهادى عليه السلام بمن فعل ما ذكرناه من قطع النخيل والأعناب وخراب المنازل والديار ، فطعن جهال الشيعة علينا هو طعن على من تقدمنا من أسلافنا الطاهرين ، واعتراض على الأئمة السابقين ، وذلك هو الخسران المبين . ومما طعنوا به علينا هو تركنا لصلاة الجمعة فى بعض الأوقات ، وذلك مما لا مطعن علينا فيه لأنا لا نتركها إلا لعذر من الأعذار ، فمتى عرض عذر يوجب تركها تركناها ، مثل مطر لا نتمكن معه من إقامتها ، أو حرب قاطع أو غير ذلك من الأعذار فتعدادها مما يتعذر ، ومتى أمكننا إقامتها لم نتركها فلا مطعن علينا فى ذلك . وهذا حد ما وجدته من الجواب والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

تمام سيرة الإمام المتوكل على الله عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله . ذكر أيام لزمه بعد ما أصابه عليه السلام ما أصاب من كمه العمى قال الراوى : فلما ناله ذلك استبشر به المخالفون لمذهبه وعقيدة آبائه عليهم السلام إذ لم يكن لهم طاقة على مناوأته قبل ذلك لما يعرف من عزائمه القوية وشيمه الهادية ، فعند ذلك اتفق أهل البغى والعدوان من أهل الظاهر وتقدم منهم من تقدم إلى جهة فليته بن قاسم القاسمى فقالواله نحن على مذهبك وغير راضين بهذا الإمام ، وقد هو على هذه الحالة ؛ فاغتنم الفرصة فالبلاد بلدكم يال القاسم وأنت أولى بها منه لقلة معرفتهم بما تقدم من الهادى إلى الحق عليه السلام فى اليمن من جهاد الكفار وإظهار الحق ونفى المذاهب الرديئة وإقامة أود مذهب الزيدية ، فلما كان ذلك ساعدهم فليته إلى التقدم معهم من حضور وجهاته وأمر إلى كافة الحسينية وادعى ما هو متبار عنه، فخرج ولقيه جميع من قد شاهره وباطنه ، وكثر الفساد من جهات الظاهر واستبدلوا الشك باليقين وباينوا داعى الحق المبين . فلما بلغ بجمعه إلى أثافت وكان جابر بن المكم من أكثر من اجتهد فى ذلك وجماعة من العرجليين [١] . وقد كانت حلة الإمام عليه السلام بأثافت ببيت فليته بن العطاف النهمى والإمام يومئذ فى الجهات الشامية من الظاهر فخرجت امرأته من أثافت إلى مسلت فدخل فليته ومن صحبه من الأشراف والشيع وأهل البلاد إلى المصنعة فحلف الجميع لفليته بالسمع والطاعة والجهاد معه للإمام أحمد بن سليمان سلام الله عليه . فلما علم بذلك تقدم إلى حوث ولقيه جزيل من وادعة وبنى قيس ، فركز إليهم وتقدم متوجها

---

(١) العرجليون : بنو عرجلة من قبائل حاشد من عذر .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٣ ص ٥٩٨ .

إلى بهمان لينظر من المخالف والمؤالف ، وكان ممن صحبه من أهل وداده ومذهبة جماعة من الشرفاء الهاديين منهم الأمير الأجل سليمان بن محمد القاضى والمطهر بن الحسين فى جماعة من آل المطهر بن على عليه السلام ، ومن أهل المحبة لهم من بكيل جماعة قليل فيهم الشيخ الأجل خفيف بن سعدان الحيانى وكان راميا بصيرا شديد العزيمة كثير المحبة للحق وأهله ، ومن أهل مسلت جماعة فلما علم بهم الجمع الذي مع فليته خرجوا فى لقائه إلى بهمان فهربت وادعة والمفسد من القيسيين وكانوا كما قال الله تعالى « فاذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهُنا قاعدُونَ » [1] . فلما كثرت القوم عليهم ولم يبق معهم إلا جماعة قليل ممن تقدم ذكره دخل درب القُدحان وهو غير نافع لغير مانع فالتوت به القوم من كل جهة فلم يقاتل معه من العرب إلا خفيف الحيانى ورجل من أهل مسلت أو رجلان أحدهما عطاف بن دعفان الزرينى والثانى منصور بن مرداس وقع فيه ضرب وطعن وسلم . واستخُرج الإمام عليه السلام من الدرب فانتهب ما كان معه من بهائم وأثاث ولحاف وسلاح ولزم معه الشريف المطهر بن الحسين . فلما وصل به القوم إلى أثافت نزلوة منزلة هنالك ، وكثرت أذية من لا خير فيه من شيع فليته الذين كانوا يكنون له البغضاء والعداوة منهم رجل من أهل القويع من بنى صريم دخل عليه ذات يوم فقال ما حالك ؟ فقال الإمام : وكيف حال المحبوس ؟ قال له الرجل : ما أراك إلا على فرش ووسائد ومنزل جيد فليس هذا حبسا بل راحة زائدة ، فقال عليه السلام أما حبس مثلى فهو هذا وأما حبس مثلك فمع البغلة فى الحر الأسفل ، فشكا من كلام الإمام فقال رجل من كبار آل القاسم وهوالقاسم بن يعقوب من أصحهم وأمثلهم على كل حال : أما هو فصدق فى كلامه لك . هذا

---

(١) سورة المائدة ، آية ٢٤ .

هو كبيرنا آل القاسم بن إبراهيم وزعيم الكل ونحن لا ننكر ذلك ولا نجهل سبقه وسعيه ولم يلزمه صاحبنا إلا خشية منه فقد أخطأت وأصاب ، وسعى فى إخراج الشريف المطهر بن الحسين بن جعفر حتى خرج . ومنهم من يأكل الثوم وما يشاكله من المكروهات في مجالس الفضلاء ، ويأتى معه لعلمهم بكراهيته لذلك . ولم يبق في البلاد حوله نباهة ولا منع لمن بينهم من أحباب الإمام عليه السلام وقرابته، فخرج الشريف الأجل الحسين بن جعفر وولداه المطهر وعلى من مسلت إلى جهة الشرفاء الأجلاء بنى حمزة بذيبين ، سكنوا هنالك بأهلهم ، ولم يبق إلا من بنى نصير ومن بنى زرنون بمسلت جماعة. وقد نزلت شيع فليته يطلبون من بقى هنالك فإنكتم بنو زرنون ومن معهم بمصلى لأحدهم، فقال محمد بن أبى الخير بن زرنون لاخير فى إمام نختبئ منه ونخشى صولته فى غير موجب لذلك. فأقام الإمام عليه السلام بثافت أياما وقد خرجت بنت فليته بن العطاف إلى جهة بكيل وهى بنت سلطانهم. وفى عرض ذلك وقعت المكاتبة والمطالعة من السلطان على بن حاتم اليامى إلى فليته فى أمر الإمام ويقبح عليهم لزمه ويشير بإطلاقه ، ويطالع السلاطين من نهم وبنى دعام والشخ الأجل على بن دعفان البحيرى ويأمرهم بالإجتماع والحركة إلى جهة فليته لإخراج الإمام عليه السلام .

حاشية:

سبب خروجه ما أخبرنا به الشريف الفاضل الزاهد محمد بن أحمد بن على الطيب بن محمد الحسينى الموسوى من ولد موسى بن جعفر الصادق عليه السلام قال : أخبرنا الأديب قاسم بن أحمد النفيس أن الإمام المتوكل على الله عليه السلام لما لزم بمصنعه ثافت كنت ممن يختلف إليه ، فلما كان ذات يوم ابتدأني الإمام الحديث فقال لى أسر عليك سرا لا يظهر إلا إلى من هو له ؟

فقلت نعم : فحلفني بالله تعالى لا أظهرت له سرا ، فلما حلفت قال لى امض من ساعتك إلى امرأتى تبرة ابنة السلطان فليته بن العطاف النهمى وكانت بمسلت فقل لها تمضى من ساعتها إلى السلطان مؤمل بن جحاف النهمى وتهجم عليه وتقصده فى أنه يطلع ببكيل جميعهم ويصلون إلى ثافت ويقابلون فليته فى إخراجى وإلا حاربوه . قال الأديب رحمه الله فأبلغت الرسالة فى الحال فصدرت امرأة الإمام فى الحال فعند ذلك طلع السلطان وجمع من قبائل بكيل ووصلوا إلى ثافت وقصدوا فليته فرحب بهم وطلب ضيفتهم فأقسم السلطان مؤمل لا ذقنا لكم ضيفة حتى توجبوا لنا حاجتنا فرحب بهم فليته . وكان ذلك سبب خروج الإمام عليه السلام وصلى الله على محمد وآله .

رجع [الحديث] [1] فعند ذلك اجتمعت بكيل من جهة الجوف : السلطان الأجل مؤمل بن جحاف وإخوته وبنو عمه آل دعام ومن نهم من رؤسائهم وجمع الشيخ على بن دعفان أكثر سفيان [2] والمشايخ الأجلاء من جبل مرهبة منهم الشيخ الأجل أحمد بن مظفر المرقى وسعد بن مظفر وأحمد بن منصور وكافة عيال مظفر والشيخ الناصح خفيف بن سعدان الحيانى رحمه الله وبنو عمه بنو حيان ورؤساء ذيبان وأهل البأس منهم والشدة ، فاجتمع الكل ممن ذكرنا فنهضوا فى زهاء من ألف وخمسمائة قوس يزيد أو ينقص وفرسانها إلى أن بلغوا مسجد الهادى عليه السلام فى الجبانة شرقى أثافت . وجرت المشورة بين كبارهم أنه يقع الخطاب من كبارهم لفليته ومن معه فى إخراج الإمام عليه السلام فإن فعل وإلا أعملوا النظر فيمن يحوزونه من الشرفاء أصحاب فليته بن

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة .

(٢) فى الأصل سفين .

قاسم . فطلع بعض البكيليين إلى تحت جوار البركة ووقع الخطاب فعسر ذلك على فليته وقد كان من إخوته رجلان أو ثلاثة يخرجون يلعبون خيلهم قريبا من البركة. فقال البكيليون إن خرج أصحابنا بالإمام وإلا قطعنا بين هؤلاد وبين الباب ولزمناهم حتى يخرج فعند ذلك خرجوا بالإمام وهو راكب لفرس من خيلهم .

حاشية :

روى لى من أثق به أن الفرس التى أركبوا الأمام عليه السلام عليها هى فرس معيوبة جدا أركبوه عليها وطلبوها أن تسقطه فتكسر رقبته فيخلصوا منه ، فلما ركبها عليه السلام زال عيبها ولم يتله منها مكروه بل تواطت [١] به ببركته وفضله عند الله تعالى . رجع [الحديث] [٢] بعد أن استحلفهم فليته أنه يروح إلى جهة الشام وكانت يمينه للإمام [٣] أنه قال وإلا فعليك صيام عشر سنين لتروح تلك الجهة ولا جاءنا منك سوء بعدها . قال الإمام عليه السلام : إلا عشرين سنة . واعتقد فليته لجهله وقلة عقله أن ذلك يمينا فخرجوا بالإمام إلى موضع بين أثافت ومسلت فاستوقفهم لما علم أين قد صار ، فتحدث مع بكيل وشكا عليهم ما لحقه من بنى عمه بعد فعله الجميل وما قدمه فيهم ومعهم من النقم بثأرهم فى عيان وفى زبيد وغير ذلك من أفعاله فيهم ، وما فعلته العشائر معه من القبيح ومجازاتهم له على فعله الذى تقدم من الإحسان وإظهار الحق لهم وقمع الباطل عنهم . فدعا على من حاربه ونابذه وبايع عليه بؤلئك القوم وقال خلفنى الله عليهم

---

(١) الوطئ من كل شئ ما سهل ولان .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة وطأ .
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة .
(٣) فى الأصل الإمام .

بالسلطان الجائر والجراد الثائر ، وأعانكم ياكافة بكيل ونصركم وهداكم وكافاكم عنا بالحسنى وجزاكم الخير الأسنى وجمع لكم خير الآخرة والدنيا فلقد فعلتم ما أنتم أهله ووفقكم للخير ، فراوده بعض المشايخ البكيليين وشاوره على القدوم معه وهو الشيخ الأجل أحمد بن مظفر المرقى فقال الإمام : قد صرنا نحابى هؤلاء السلاطين مؤمل بن جحاف وأصحابه وقد عقدنالهم أنا نتوجه طريق الشام فنزل إلى مسلت ، وهم الذين بقى ودادهم معه وأهل عرار [١] فتودعوه عليه السلام .

وفى [٢] عرض ذلك وصله جماعة من كبراء آل الهادى عليه السلام منهم الشريف الفاضل المحسن بن يحيى بن يحيى والقاضى محمد بن الحسن رحمة الله عليهما وجماعة من بنى عمهما ، وتقدم معه من بنى عمه آل المطهر الحسين بن جعفر وولده المطهر بن الحسين وابنا عمه جعفر والمطهر ابنا محمد ، فتوجه طريق الشام إلى أن وصل العروم بخيوان ، ثم نقل من بنى معمر بالعروم إلى هجر الهراثم فأقام أياما عند المجعمريين بالهجر . فلما استقبح مشايخ وادعة فعالهم معه وضياعهم له وركنوا بسلامته عليه السلام [٣] . وكان مما قاله فيهم بعد لزمه فى القدحان .

لا تركنن إلى الأنذال وادعة فالودع تسعة آلاف بدينار

قال : فأقام الإمام بالهجر أياما ووصلته كبار بنى شرحبيل من وادعة فسلموا عليه واعتذروا إليه وسألوه القدوم معهم إلى حوث . ففعل ذلك لغرض فى نفسه

---

(١) عرار بلدة من ناحية ريدة .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، جـ ٣ ص ٥٩٧ .
(٢) فى الأصل وقد فى .
(٣) كذا فى الأصل والمعنى غير تام .

عليه السلام فتقدم معهم إلى قرية حوث فأقام بها أياما وأمر إلى الشرفاء الأجلاء المكنا إلى ذيبين وهم الشريف الفاضل العالم العامل حمزة بن سليمان وموسى بن داود من أولاد على بن حمزة رحمة الله عليهما وإلى الأمير الأجل محمد بن القاسم رحمة الله عليه وإخوته وبنى عمه وهم أحبابه وأقاربه وأنسابه . وكانت الجهات البكيلية فى أيديهم من قبل الإمام عليه السلام فأمر إليهم أن يصلوا إليه إلى حوث ويكون طريقهم على المشايخ الأجلاء آل مظفر وبنى حيان فيمن أمكنهم، وقد كان رجل من بنى بحير يقال له حسين بن مشيع عقد لقليته أن الإمام أحمد لا يمضى عليه خرفان [١] . فلما وصل الرسول إلى الشرفاء الفضلاء المقدم ذكرهم خرجوا فى الحال متوجهين إليه ومروا بالكساد [٢] والسنحين [٣] ، أحمد بن مظفر وأخوه على وخفيف بن سعدان الحيانى فاجتمع منهم مع الشرفاء مقدار مائتى قوس أو يزيدون ، فلما وصلوا إلى الإمام عليه السلام فرح بهم ودعا لهم ، فركب بغلته ورجع معهم متوجها طريق اليمن . وعلم قليته ومن قد بايعه فخرجوا إلى شق خرفان وقد سبقهم الإمام ومن معه إلى طريق الكساد . « وردَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ » [٤] . فطلب كل شيخ من أهل الجبل أن يروح الإمام عليه السلام معه فغلب منهم أهل الكساد ، وكان غرضه ذلك لقرب الطريق إلى جهة الشرفاء الحمزيين . وراح الأمير محمد بن

---

(١) خرفان بفتح الخاء وسكون الراء ، جبل وقرية من عزلة مرهبة ، ناحية نيبين ، قضاء عمران .
الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٠ ح٣ ؛ الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ٢ ص٢٥٢،

(٢) الكساد قرية من عزلة مرهبة ناحية نيبين .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ ٢ ص ٥١٦ .

(٣) ربما المقصود الخيسين وهى قرية من عزلة مرهبة ناحية نيبين .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ ٢ ص ٥١٦ .

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٢٥ .

القاسم إلى جهة الشيخ أحمد بن مظفر إلى الحانين ، والتقوا بعد ذلك يوما ثانيا إلى بين يديه عليه السلام إلى بركة الكساد وتقدموا إلى الشرفاء الأجلاء إلى ذيبين فأكرموه وأتحفوه وفرحوا بوصوله إلى ديارهم ولم يدعوا شيئا من المعروف إلا فعلوه . فأثنى عليهم وتوجه طريق صنعاء إلى السلطان الأجل على بن حاتم بعد أبيات حسنة قد كانت تقدمت منه إلى السلطان بإقامته فى حوث . وقال فيما نابه من الشرفاء ومن زادهم أبياتا أيضا الذى حفظ منها :

أبُنَىَّ إنـى فـى الحـياة وبـعـدهـا	أوصيك أن أخا الوصاة الأقرب
لا تـنـسـين أباك يـعـثـر بيـنـهـم	أعمى يدب على اليدين وينكب
ويـجـر للـحـبس الشـديد ويـعـده	يـؤذى بـكـل كـريـهـة ويـعـذب
لـكـنـنـى أسـد فـروس نـالـه	كمه العمى فسطا عليه الثعلب
وكذلك الثعبان يجرح بعضه	فـالذر يـتـبـع جـرحـه والجـنـدب
نـسـيوا صـنـايـعـنـا ومـا قـدمـتـه	بـعـيان حـيث تشـتـتوا وتـشـعـبوا
زعـموا وقـالوا لا تـقـيم بـأرضـنـا	وكذاك لا يـنـجـيك مـنـا الجـبـجـب
[ ] [1] بنو الهادى ووالدهم كما	قـربـوا الـبـلاد ولا إلـيـهـا قـربـوا
.................................]	[.................................. [2]

رجع الحديث قال : فلما وصل الأمام عليه السلام إلى السلطان الأجل على بن حاتم وكان له طريقة غير طريقة أبيه حاتم بن أحمد مع الإمام، وكان مقبحا على أبيه أكثر أفعاله معه عليه السلام فعند ذلك لقيه السلطان وهمدان ومن حضر من جنب وسنحان وبنى شهاب ، وهم من أكثر القبائل هنالك محبة لأهل البيت عليهم السلام وعلى مذهبهم ولهم سبق معه عليه السلام « أعنى بنى دعفان »

---

(١) بياض فى الأصل مقدار كلمة واحدة .

(٢) بياض فى الأصل بعدد ستة عشر بيتا .

فوصل ومعه الشرفاء المتقدم ذكرهم من آل الهادى عليه السلام ومن كبراء بنى حمزة وأفاضلهم وممن يواليه من سائر بنى القاسم جماعة ، ومن بنى العباس بن على عليه السلام جماعة ممن خالطه الأنف على الدين ، وعلى ما لحق إمام المسلمين والداعى إلى الحق المبين . فأقام عند السلطان أياما بهره فيها بالأشعار ويحكى له الأخبار والآثار فما حفظ مما قاله [إلا] [1] الأبيات التى يقول فيها :

أنا ابن سليمان وإن كنت فى الحبس ... ولى شرف يعلو على البدر والشمس

إلى قوله

يقولون لى لم لا تخاف ابن حاتم ... عليا على تلك الحوادث بالأمس

فقلت لهم قد كنت عند فليته ... فأخرجنى رأس الحجاز من الحبس

قال : فلما كان ذات يوم من تلك الأيام ، أيام إقامته عند السلطان دخل الشريف الحسين بن جعفر وهو ولد ابن عمه وابن أخيه عليه السلام ومعه أبيات من قوله بعد قول الإمام ، فأمر من أنشدها بين يديه يقول فى ذلك :

أرى الليل قد ولى وذا ضوء فجره ... كَيُسْرٍ بدى من بعد شدة عسره

تنفس لما أن بدى نجم صبحه ... علىٌّ حليف المجد أوحد عصره

متوج همدان بن حاتم إنه ... أخو العزم والتدبير صاحب دهره

تردى رداء المجد واكتسب الثنا ... فلا فخر فيما قد سمعنا كفخره

فيا رأس قحطان وذروة عزها ... ومن خضعت جمعا له خوف قهره

أتاك إمام قد عرفت مكانه ... محل الثريا فى السما دون قدره

وما أحد فى الناس يجهل فضله ... وما منهم إلا مطيع لأمره

وقد ناله من معشر قد أعزهم ... فعال لهم لا تنطوى بعد نشره

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة .

وليس لأى الناس فى كل بلدة كلام سوى ذكراك فى أمر نصره
فكم سائل فيما صنعت كأنه عليل يُرَجِّى منك إحياء ضره
أبا حسن تبقى مدى الدهر كلما صنعت ولا يمضى الزمان بذكره
فكن قيل همدان الذى قيل إنه سينصره فى الدهر آخر عمره
فلا هو يرجو اليوم غيرك ناصرا ولانحن نرجو الحق إلا بنصره
وإن الذى أمَّلْتَهُ هو هين فكل مقال فيه من فوق خُبْرِهْ
ودم سالما يحيا بك المجد والعلا مدى الدهر فيه ما غنى الحمام بوكره

قال الراوى : فلما سمع السلطان هذه الأبيات بعد المقدمة من الإمام عليه السلام [ ] [1] إلى الميدان وكتب إلى كل قبيلة ممن يليه وحرك المخرج فخرج السلطان الأجل وجمع عساكره من همدان وجنب وسنحان وبنى شهاب . وقد كان الإمام عليه السلام عند رجل من كبار أهل صنعاء وأهل المذهب الشريف فكان من ذلك الرجل وجمع كبار الزيدية من أهل صنعاء وحدّه وسناع وقال لهم : قد حضر هذا الإمام وهو الذى أحيا الإسلام وأوضح الأحكام بعد جده الهادى عليه السلام ، وقد صار فى آخر عمره ونحن نحتاج نجمع إليه ونتودعه فقد ربما ألاَّ نزيد نلتقى به .

---

(١) بياض فى الأصل مقدار ثلاث كلمات .



قائمة المصادر والمراجع

إبراهيم الدسوقى شتا

المعجم الفارسى الكبير ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

أحمد بن سليمان بن محمد ... ابن الهادى يحيى بن الحسين

حقائق المعرفة ، مخطوط مصور بمكتبة الدكتور رضوان السيد الأستاذ بالجامعة اللبنانية .

أحمد بن يحيى بن أحمد بن على سارى

الدر المنثور فى أنساب السادة والشيعة بحوث ، مخطوط رقم ٩٧ تاريخ وتراجم ، المكتبة الغربية بالجامع الكبير ، صنعاء .

إسماعيل بن على الأكوع .

البلدان اليمانية عند ياقوت الحموى ، الكويت ، ١٩٨٥ .

البكرى : أبى عبيد الله بن عبد العزيز .

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، ١٩٨٣ .

البلادى : عاتق بن غيث .

بين مكة وحضر موت ، مكة المكرمة ، ١٩٨٢ .

الجندى : أبى عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب .

السلوك فى طبقات العلماء والملوك ، تحقيق محمد بن على بن الحسين الأكوع ، صنعاء ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٩ .

الجمهورية العربية اليمنة .

أ - خريطة ١ : ٥٠٠٠٠٠ ، صنعاء ، مصلحة المساحة ، ١٩٨٥ .

ب - خريطة ١ : ٥٠٠٠٠ ، المملكة المتحدة ، ١٩٧٩ - ١٩٨٨ .

الجهاز المركزى للتخطيط .

أ - التوزيع السكانى ، صنعاء ، ١٩٧٨ .

ب - النتائج النهائية للتعداد السكانيالتعاونى ، صنعاء ، ١٩٨١ .

جـ - التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥ .

د - النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦ .

الحجرى : محمد بن أحمد

مجموع بلدان اليمن وقبائلها ،تحقيق إسماعيل بن على الأكوع ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ١٩٨٤ .

ابن حزم : أبى محمد على بن أحمد

جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ١٩٧١

حميد بن أحمد المحلى .

الحدائق الوردية فى مناقب الأئمة الزيدية ، مخطوط مصور، صنعاء ، ١٩٨٢ .

ابن رسول : عمر بن يوسف

طرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب ، تحقيق ك . و . سترستين ، بيروت ، ١٩٨٥ .

زبارة : محمد بن محمد

أئمة اليمن ، تعز ، ١٩٥٢ .

الزبيدى : السيد محمد مرتضى الزبيدى

تاج العروس من جواهر القاموس ، بيروت .

سليمان بن أحمد المحلى

البرهان الرائق المخلص من ورط المضايق ، مخطوط رقم ٦٧٣ ، مكتبة الأوقاف بالجامع الكبير ، صنعاء .

السياغى : حسين أحمد .

معالم الآثار اليمنيه ، صنعاء ، ١٩٨٠ .

الشرفى : أحمد بن محمد بن صلاح

اللالىء المضية فى أخبار أئمة الزيدية ، نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة .

العباسى : على بن محمد بن عبد الله .

سيرة الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين ، تحقيق سهيل زكار ، بيروت ، ١٩٧٢ .

عبد الغنى محمود عبد العاطى .

« المطرفية فى اليمن بين العلم والسياسة » ، دورية كلية الآداب جامعة المنصورة ، العدد الحادى عشر ، مايو ١٩٩١ ، ص ٩٧ - ١٤٤ .

عبد الله بن زيد العنسى .

التمييز بين الإسلام والمطرفية الطغام ، مخطوط مصور بمكتبة الدكتور رضوان السيد عن النسخة الموجودة بمكتبة محمد سارى .

ابن عبد المجيد : تاج الدين عبد الباقى

تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ، تحقيق مصطفى حجازى ، صنعاء ، ١٩٨٥ .

عمارة بن على اليمنى .

تاريخ اليمن المسمى المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، صنعاء ، ١٩٨٥ .

أبوفراس بن دعثم :

السيرة المنصورية : سيرة الإمام عبد الله بن حمزة ، تحقيق عبد الغنى محمود عبد العاطى ، بيروت ، ١٩٩٣ .

كحالة : عمر رضا .

قبائل العرب القديمة والحديثة ، بيروت ، ١٩٧٨ - ١٩٧٩ .

ابن المجاور : جمال الدين أبى الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيبانى الدمشقى .

صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تأريخ المستبصر لابن المجاور ، تحقيق أوسكر لوففرين ، بيروت ، ١٩٨٦ .

محمد بن على الأكوع .

اليمن الخضراء مهد الحضارة ، القاهرة ، ١٩٧١ .

محمد فؤاد عبد الباقى .

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، القاهرة ، دار الشعب .

مسلم اللحجى : ابو الغمر مسلم بن محمد بن جعفر اللحجى .

كتاب أخبار الزيدية من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم باليمن ، مخطوط بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض .

المقحفى : إبراهيم أحمد .

معجم البلدان والقبائل اليمنية ، صنعاء ، ١٩٨٥ .

ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم .

لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة .

نشوان بن سعيد الحميرى .

منتخبات فى أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشر عظيم الدين أحمد ، ليدن ، ١٩١٦ .

الهمدانى : الحسن بن أحمد بن يعقوب

أ - صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، ١٩٨٣ .

ب - كتاب الإكليل ، جـ ٢ ، جـ ٨ ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، بيروت ١٩٨٦ ، دمشق ١٩٧٩ .

الوصابى : وجيه الدين الحبيشى .

تاريخ وصاب المسمى الاعتبار فى التواريخ والآثار ، تحقيق عبد الله محمد الحبشى ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٩ .

الويسى : حسين بن على

اليمن الكبرى ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

ياقوت الحموى : شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى .

معجم البلدان ، بيروت ، ١٩٧٥ .

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد .

غاية الأمانى في أخبار القطر اليمانى ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

أولا : كشاف الأعلام

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

ثانياً : كشاف الأمم والشعوب والقبائل والفرق

(أ)

(ب)

(ج)

(ح)

ثالثاً : كشاف الأماكن والبلدان

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ى)

رقم الإيداع ٢٠٠٢/٥٥٩١

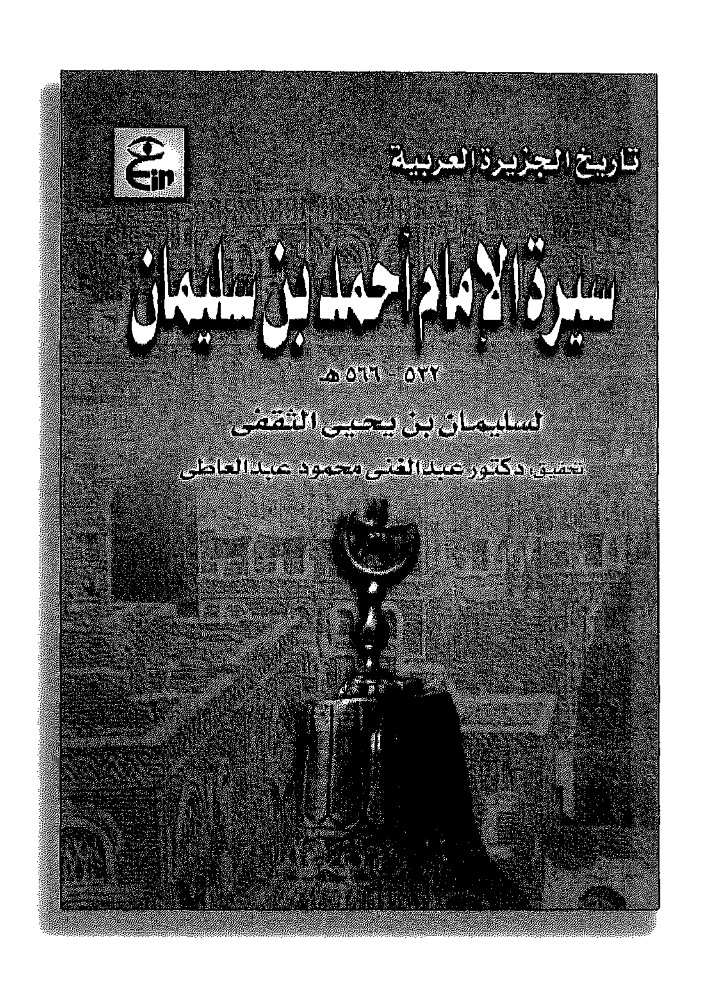
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 322 - 084 - 2

دار روتابرينت للطباعة ت : ٧٩٥٢٣٦٢ - ٧٩٥٠٦٩٤

مهندس / يوسف عز

٥٣ شارع نوبار - باب اللوق







للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية
FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES